طبعة جديدة

طه باقر

ملحمة كلكامش





01 10 38/ل7

الايداع القانوني : 2007 - 1466

ردمك : 4 - 548 - 62 - 9961 - 978

© موفم للنشر - الجزائر 2007

ملحمة كَلكَامش

الأنيس

السلسلة الأدبية

تحت إشراف مصطفى سواق

. صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة

الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007

يُهدى ويُوضع في المكتبات ولا يباع

طـه باقــر

ملحمة كَلكَامش

ملحمة

تقديم : محمد حسين الأعرجـي



تقديم

تاريخ الملحمة

الملحمة التي أريدُ الحديثَ عنها ـ أعني ملحمة كلكامش Gilgamesh ـ هي أقدم ملحمةٍ عرفها العالمُ بكلّ حضاراته القديمة، لم تسبقها ملحمةٌ أخرى مما نعرف؛ فإذْ يختلف الباحثون على تحديد زمنِ أشهر مَلْحَمتيْنِ هما: الإلياذة والأوديسّة فمن راجعٍ بهما إلى القرنِ الثامن قبل الميلاد، ومرتفعٍ بهما إلى القرن العاشر قبلَ الميلاد، ومتوسّطٍ بهما بين القرنيْن [1]، نجد المتخصّصين في حضارة العراق القديم (Mesopotamia) يُجمعون على أنَّ ملحمتَنا هذه تسبق بوجودها تَيْنِكَ الملحمتين ـ على أسوأ التقديرات ـ بألف عامٍ، أيْ أنّ عمرها أربعةُ آلافِ عامٍ من أعوامنا هذه. فقد كُتبتْ في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد [2] على ألواح طينيّة عِدَّتُها اثنى عشر لوحاً في كل واحدٍ منها ستةُ أعمدةٍ، أو ستّةُ حقولٍ ـ إن شئتَ ـ على وجه التقريب [3] أمّا كتابتها فهي بالخط المسماري، وإنما سُمّي كذلك، لشدّةِ شَبَهِ صُور حروفه الهجائية بالمسامير.

تدوين الملحمة

وكان الفضل في تدوين الملحمة ـ كما نعرفها اليوم ـ على ألواحها الطينيّة يعود للملك الآشوري آشور بانيبال (باني بَعْل) الذي حكم إمبراطوريتَه الآشورية، وعاصمتُها نَينوى بشمال العراق (وتعرف نينوى اليوم بالموْصِل) أقول: حكم هذه الإمبراطوريّةَ من سنة 688 حتى سنة 626 قبل الميلاد؛ إذ لم يكن هذا العاهل العراقيُّ قائداً عظيماً آستطاع ـ كما يقول ساندرز ـ أن يحتاج مصرَ وسوسة [4] فحسب، وإنما كان مُولعاً بثقافة بلده وحضارتِهِ، مُعتزّاً بهما أحسن ما يكون الاعتزاز، فكان من آيات ذلك أنّه «أرسل أتباعه ليفحصوا سجّلات مراكز العلم القديمة في بابل وأوروك ونيبور، ولينسخوا ويترجموا إلى اللغة الساميّة الأكديّة المعاصرة تلك النصوص التي كانت مكتوبة باللغة السومرية...» [5] فكان من بين النصوص التي تُرجمت عن لغتها الأصليّة ـ أعني السومريّة ـ ملحمتُنا هذه.

اكتشاف الملحمة

وَحُفظت ألواحُ الملحمة في مكتبة قصر آشور بانيبال (باني بعل) إلى جانب آلاف الألواح التي كانت فيها، ثم دار الزمن دورَته ألفيْنِ وخمسمائةً من السنين، وأرضُ نينوى تضمُّ أحشاءها على كنوز آشور الخالدة التي لم يكن يعرف أحدٌ نفاسة ما تضمُّ حتى مجيءِ القرن التاسع عشر الميلادي يوم بدأ شابٌّ انكَليزيٌّ آسمُه: أوستن هنري لايارد Austin Henry Layard تنقيباته في نينوى عام 1839،

ثم جاء بعده شريكه وخليفته راسام Rassam فكشف «في عام 1853 ذلك الجزء من المكتبة الذي كانت به الألواح الخاصة بالدراسة الآشورية المقارنة لملحمة كَلكَامش» [6].

ولكن لم يتنبّه العالمُ إلى أهمية هذه الألواح إلاّ في سنة 1872 يوم ألقى جورج سمث (George Smith) ـ وكان ذلك في كانون الأول (ديسمبر) من السنة محاضرةً في الجمعية الآثاريّة للتوراة بلندن أعلن فيها أنّه اكتشف روايةً آشوريّة عن الطوفان، وكان يعني بهذه الرواية اللوح الحادي عشر من الملحمة [7]. فكان ذلك الحديث فاتحة اهتمام العالمَ بِها فتُرجمت إلى أهمّ لغاته، حتى إنها مترجمةٌ اليوم إلى «الألمانيّة»، والإنكَليزيّة، والفرنسية، والروسيّة، والإيطالية، والجيكيّة، والهولندية، والدينمركيّة، والفنلندية، . والجورجيّة، وحتى العبريّة الحديثة » [8]، ولم تكن كلُّ تلك الترجمات ـ على ما يبدو ـ نابعةً من كونها أثراً تاريخيّاً فحسب، وإنما بأعتبارها أثراً أدبيّاً ما يزال يحتفظ بقيمته الجماليّة الأخّاذة رغم مرور أربعين قرناً عليه، مما يجعله من خوالد الآداب الإنسانيّة في العالم.

نواة الملحمة

وهذه الملحمة ـ شأنها في ذلك شأن نظيراتها من ملاحم العالم القديم ـ ملحمةٌ شعريّة، وهي ـ شأن الملاحم أيضا ـ ذاتُ أصل تاريخيّ، فبطلها «كَلكَامش» كان من ملوك مدينة الوركاء الأولى، «والمرجّح أنه حكم في حدود 2600 أو 2500 قبل الميلاد، وقد

خصّصت له أثباتُ الملوك السومريّة حُكم 126عاماً . . . [و] هو الذي شيَّد أسوار الوركاء، وذكر هذا الحديث في الملحمة أيضاً» [9].

ومن المعروف عن كَلكَامش «أنّه كان ملكًا عظيماً، وبطلاً شجاعاً بحيث صار رمزاًللقوّة، والإقدام، والمغامرة» [10] بل إنّ من معاني اسمه في السومريّة «الرجل الذي سيُنبت شجرةً جديدة»، والمقصود بالشجرة ـ كما هي طبيعة الأمور ـ سُلالة بشرية، ومن معانيه بالبابلية: «المحارب الذي في المقدَّمة» [11]، مما جعل مواطنيه من العراقيين القدامى (السومريين) ينشئون القصص التي تدور عليه، وعلى بطولته، فكان مجموعُ هذه القصص السومريّة أربعاً تتحدّث ـ في الأساس ـ عنه، وعن صديقه أنكيدو، فقد وُجدت نصوص أدبيّة سومرية، منها ما يتعلق بأعمال كَلكَامش وأنكيدو، والعفريت خمبابا، وقصة حبّ عشتار لكَلكَامش، وقصّة الثور السماويّ. أما رواية الطوفان فقد وجدت لها جملة نصوص سومريّة. . .» [12] وتهيّأ لهذه القصص من يجمعها على شكل ملحمةٍ، فكان أحدَهم : سين ـ ليقي ـ أُونِنّي، «الذي ورد اسمه في إحدى نسخ الملحمة . . . والمرجّع أن الصيغة النهائية التي جاءت فيها إلينا الملحمة تُعزى إلى هذا الكاتب من حدود سنة 1250ق. م» [13] وكان تناولها الأدباء البابليون قبل ذلك، ومنهم ـ على وجه الخصوص: سِين. ليقي. أونِنّي ـ فخلقوا منها ملحمةً ذات موضوع جديد، وأسلوب جديد، وهدف جديد [14] ليس هو.

البطولة التي تـغـنّى بها السومريّون وإنما هو شيءٌ آخر يقف إلى جانبها، ويطاولها في الأهميّة فيفوقها، أعني به: لغز الموت، والبحث عن الخلود.

شهرة الملحمة

وقدِّر لهذه الملحمة ـ يوم اكتملت ـ أن تنتشر في أقاليم الشرق الأدنى من العالم القديم بعد إذ ٱنتشرت في أنحاء العراق كافة فلم تعد تقتصر على جنوبه [15] ـ موطن حضارة السومريّين ـ فعثر على نسخ من بعض أجزائها في الأناضول ـ موطن حضارة الحيثيين ـ بلغتها الأكديّة الساميّة، «وقد ترجمت أيضاً إلى اللغة الحيثية، وهي لغة هندية ـ أوربية، وإلى اللغة الحوريّة، وعُثر على أجزاء في سلطان تيب Sultantep بجنوبيِّ تركيا، في حين تشير شذرةٌ هامة من مدينة ماجدو بفلسطين إلى وجود ترجمة كنعانيّة. . .» [16]، ويعود زمن النسخة الفلسطينية (الكنعانيّة) إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، مما يقطع بتأثّر كتبة التوراة بحديث الملحمة عن الطوفان، ومما يجعل دفاع ساندرز عن نقاء التوراة من هذا التأثر [17] شيئاً أقرب إلى العصبيّة الدينية منه إلى شيءٍ آخر.

وتجاوزت الملحمةُ أقاليم الشرق الأدنى إلى سواها مما جعل أعمال الملك كَلكَامش تنسب إلى سواه في حضارة الإغريق من أمثال: هرقل، وأخيل، وأوديسيوس، والإسكندر ذي القرنين، حتى ذهب المرحوم الأستاذ طه باقر إلى «أنّ أسس قصص هرقل تستند ـ

بالدرجة الأولى ـ إلى أصول مستقاةٍ من ملحمة كَلكَامش وصلت إلى بلاد اليونان عن طريق الفينيقيين، فكلا البطلين من أصل إلهيّ، وكلاهما اتخذ صاحباً وصديقاً حميماً: أنكيدو بالنسبة إلى كَلكَامش، ويوليوس . . . بالنسبة إلى هرقل. وكان السبب في جلب الكوارث إلى كلٍّ منهما امرأةٌ إلـهـةٌ: عشتار في حالة كَلكَامش، ودنييريا . . . أو الإلهة هيرا بالنسبة إلى هرقل، وكلاهما قتل الأسود، وتغلّب على الثيران السماوية المقدّسة. ووجد هرقل العشب السحريَّ للخلود كما فعل كَلكَامش، وزار هرقلُ جزيرةَ الموتِ كما أبحر كَلكَامش عبر بحر الموت . . . إلى غير ذلك من نقاط الشبه الكثيرة» [18] مما يجعل الموضوع برمّته موضوعاً مغرياً من موضوعات الأدب المقارن.

أمّا الرومان فقد عرفوا كَلكَامش ـ في القرن الثاني الميلادي ـ باسمه حين تحدّث الكاتب الروماني إليانوس عنه فسماه: كَلكَاموس Gilgamos. [19]

ولا أطيل الحديثَ عن شهرة الملحمة في الحضارات القديمة، فبحسبي منها ما بلغته الملحمة من إعجاب الأجيال المتعاقبة بها، وتقديرهم إياها ما بلّغها أن تغلق بوابات قرننا هذا: القرن العشرين، وهي تستعدّ لسماع إعجاب القرون القادمة مُفتّحة الآفاق.

لقد ذهب كَلكَامش يبحث عن الخلود لنفسه وللبشرية فلم يُوفّق، ووفِّقت قصّة البحث إليه فكانت خالدةً من الخوالد.

موضوع الملحمة

ولعلّ هذا الخلود هو مايسوقني الآن إلى موضوع الملحمة وقيمتها فأقول:

إن موضوع الملحمة يدور على كَلكَامش ملك أوروك (الوركاء)، الذي «ثلثاه إله، وثلثه الباقي بشر»، هذا الملك الذي دفعته إلى الظلم قوّتُه، وقدرتُه، وتماسُكُ بناء جسمه ـ ولعل الذي أوحى بهذا التماسك مدّة حُكمه الطويلة ـ فكان طولُه ـ كما تقول الملحمة ـ «أحدَ عشرَ ذراعاً، وعرضُ صدره تسعةَ أشبار»، فكان من ظلمه أنه:

«لم يترك... أبناً طليقاً لأبيه
لم تنقطع مظالـمُه عن الناس ليل نهار
لم يترك... عذراء طليقةً لأمّها
ولا أبنةَ المُقاتلِ. ولا خطيبةَ البطل...»

وضجّت مدينةُ أوروك من ظلمه، ولكنها كانت عاجزةً ـ إزاء قوته الجبارة الخارقة ـ عن الوقوف بوجهه، فقرّرت أن تتوجّه إلى الإلهة «أورورو» التي خلقت كَلكَامش مخاطبة إياها:

«يا أورورو، أنت التي خلقتْ هذا الرجل
فاْخلقي الآن غريماً له
وليكن مضاهياً له في قوّة اللبّ والعزم
وليكونا في صراعٍ مُستديمٍ لتنال أوروكُ الراحةَ والسلام».

واستجابت أورورو لأهلِ المدينة فخلقت أنكيدو مثيلاً له «في البنية، ولكنه أقصر قامةً، وأقوى عظماً».

ونشأ أنكيدو متوحشاً يعيش مع الظباء، والأسود، والنمور، يأكل مما تأكل، ويشربُ مما تشرب، وآتّفق أن رآه صيّادٌ ذات يومٍ يردُ الماء مع الوحوش؛ فَذُعر منه ومن هيأتِهِ التي آتسمت بشعر كثيف أسود ينبت على جسمه جميعاً، فما كان من أنكيدو إلاّ أن قطع شِباكَ صيده، وَرَدَمَ أَوْجَارَه التي حفَرها لتقع فيها طرائده، فشكا الصيّادُ ذلك إلى أبيه فأشار عليه بما يفعل، ونصحه أن يشكوه إلى كَلكَامش، ففعل.

وإذ رُوِّض أنكيدو، ودخل أوروك هاجراً حياته المتوحشة البدائية في الغابات، آشتبك مع كَلكَامش في مصارعةٍ كان من أبرز نتائجها مانما في نفس كلٍّ من البطلين من إعجابٍ بصاحبه، فاتَّخذ كَلكَامش من خصمه صديقاً، ووجد من الحبّ له في نفسه ما يرفعه فوق مرتبة الصديق الحميم، فاتخذه أخاً، فبدأت حياتُهما المشتركة، وبدأت مغامراتهما المشتركة.

وكان من هذه المغامرات توجُّهُهُما إلى غابة الأرز، «ولعلّها كانت غابة الأمانوس بشماليّ سوريا، أو ربّما في عيلام بجنوب شرقيّ فارس» [20]، لقتل «خمبابا» المارد؛ وإذ نجحا في مسعاهما، وانتصرا على «خمبابا» بقتله، عادا إلى أوروك يحتفلان، فازداد على عُجبه كَلكَامشُ عُجباً آخر، وآزداد المعجبون ببطولته إعجاباً آخر، وكان من بين هؤلاء المعجبين الإلهة عشتار؛ وبلغت من إعجابها بكَلكَامش ومن كَلَفِها ببطولته أن آقترحت عليه الزواج منها، فرفض ذلك رفضاً جارحاً مُهيناً إياها قائلاً:

«أيٌّ خيرٍ سأناله لو أخذتُك زوجةً
أنت! ما أنت إلاّ الموقد الذي تخمد نارُه في البرد
أنت كالباب الخلفيِّ لا يصدّ ريحاً ولا عاصفة
. . . أنتِ قيرٌ [قارٌ] يلوّث من يحمله
أنت قِربةٌ تبلِّلُ حاملها . . .»

وإزاء هذه الإهانة رأت عشتار أن تطلب من أبيها الإله «آنو» أن يخلق لها ثوراً سماويّاً يغلب كَلكَامش، ويُهلكه، ففعل «آنو» بعد تردّدٍ، وكان الثور السماويُّ من القوّة بحيث يُهلك بِخُوارِهِ وحدَه عِدَّةً من الناس، ولكن البطلين الصديقين، كَلكَامش وأنكيدو، صارعاه فقتلاه.

وفي هذه المصارعة قوّةٌ وشجاعةٌ ليس بعدهما شيءٌ آسمه: قوّة أو شجاعة. وتضحية أنكيدو بنفسه من أجل صديقه كَلكَامش في مصارعةٍ لم تكن أعدّتها عشتار إلاّ لكَلكَامش، مما يعزّز من مكانة أنكيدو في نفس بطلنا. أما قوّته ـ بل قل: قُوّتهما معاً ـ في مصارعة الثور السماويّ فمن شأنها أن تُنسي كَلكَامش ـ إن لم تُنسِهما معاً ـ طائف الموت الذي يمكن أن يُلمَّ بهما أو بأحدهما في أية لحظة، ومن أين يأتي الموت لأحدهما ومعه كلُّ هذا الفَتَاءِ والقوّة؟ ومن هنا كان أمر آحتضار أنكيدو ـ بعد هذه المبارزة البطولية ـ أمراً غير قابل للتصديق في نفس كَلكَامش، وباعثاً على الهلع، والفزع، وعلى ماهو أكثر منهما.

لم يكن أنكيدو ـ لولا أن الآلهةِ خصّت نفسها بالخلود دون البشر ـ يشكو شيئاً ينبىءُ بموته، ولو كان ما ينبىءُ لهان الأمر، أو لربّما هان، ولكنّه ـ وتلك هي الصدمة التي زعزعت جبروت كَلكَامش ـ مات، بمرأى منه، وبمحضرٍ من وفائه؛ إذ أحضر الصُّنَّاعَ يصنعون له تمثالاً من الذهب واللّازَوَرْدِ، فصنعوا، ولكن أيُّ عزاءٍ في التمثال إزاء الحقيقة الأزليّة الخالدة ما بقيت على الأرض حياة، أعني بها: الموت؟

ومن هنا يبدأ العاصف المأساوي في حياة البطل، ومن هنا يبدأ وعيه بالوجود: لماذا يموت، ولماذا لا يخلد، ولماذا تخلد الآلهة؟ لابدّ للخلود من طريق، وإلاّ فلماذا كتب الخلود على جدّه: أوتو ـ نبشتم؟ ويقصد الحفيدُ الجدَّ فلا يبلغه إلاّ بعد رحلة شاقةٍ، كان من جملة آيات مشقّتها الرجالُ العقارب «الذين يبعثون الرُّعبَ والهلَعَ، ونظراتُهم الموت، ويطغى جلالُهم المرعبُ على الجبال، الذين يحرسون الشمس في شروقها وغروبها»، وإذ يبلغه يسأله عن لغز الحياة والموت ـ ذلك السؤال الذي يشغل الإنسان ـ ولعلّه إذ يتظاهر بهذا السؤال كان يُخفي ماهو أعمق منه هو التمييز بين البشر بطول الأعمار، وقصرها. وإلاّ فلماذا يخلد الجدُّ أوتو ـ نبشتم، ويموت الحفيد كَلكَامش، وكان مات ـ من قبل ـ صديقه أنكيدو؟

ويدرك الجدُّ ما يدور بخاطر حفيده، فيسرد كيف حدث الطوفان، وكيف أنبأه به إله الحكمة: «إيا» طالباً منه أن يبني الفُلك ليخلّص البشرية من غضب الإله «إنليل» الأرعن، هذا

الإله الذي قرّر ـ في لحظة غضب عاصف ـ فناء البشرية جميعاً، وأوشك أن يتمَّ له ما أراد لولا أن سَـرّب الخبر «إيا» إلى أتو ـ نبشتم فبنى الفلك فنجا من نجا لتستمّر الحياة. وهكذا ٱجتمع مجلس الآلهة بزعامة «إنليل» نفسه، فقرّر أن يكون أوتو ـ نبشتم خالداً مثل إلهٍ جزاء عمله.

والآن، من يجمع مجلس الآلهة ليتخذ قرارَ خلود كَلكَامش؟ كان ذلك سؤال أوتو لحفيده، وكان ذلك ٱنكسار كَلكَامش أيضاً. وإذا كان انكسارُ العظيم تأريخاً، فإن ٱنكسار عظيمنا يؤرِّخ للوعي البشريّ بحقائق الوجود.

وأشفقت زوجُ أوتو ـ نبشم ـ وذلك شأن المرأة أبداً ـ على كَلكَامش، وماعاناه في سفره أن ينتهي إلى مثل هذه الخيبة وذلك الانكسار، فاقترحت على زوجها ألاّ يعود حفيدُه بهما، وأن يَهَبَه شيئاً يُساوي مشقّةَ سفره، وأهواله؛ فوقع عطفها وشفقتها من قلبه بحيث خاطب كَلكَامش:

«سأكشف لك عن سرٍّ من أسرار الآلهة:
يوجد نباتٌ مثلُ الشوكِ ينبت في المياه
وشوكُه يَخِزُ يديْكَ كما يفعلُ الوردُ
فإذا ما حصلت يداك على هذا النبات وجدتَ الحياة. . . ».

ويقطف صاحبُنا هذا النباتَ، الشوكَ الذي يُشبه الورد ـ وما أعمق تشبيهَ الحياة به وما أبهى ـ يقطفه، بعد غوصٍ مرهق، ويفرح

به، ويَعِدُ نفسَه بالعودةِ إلى أوروك، يريد أن يشرك معه «الناس ليأكلوا منه». أما هو فسيأكلُه في آخر أيّامه ليعود إليه شبابه. ويتوقف بعد سير طويل ـ وهو في طريقه إلى مدينته ـ عند بئر يغتسل بمائها، فَتَشَمُّ حيَّةٌ فيها شذى النبات فتختطفه، ثم تنزعُ جلدها. ويعود كَلكَامش ـ بعد أن اَخْتُطف منه النبات ـ كما بدأ:

«هو الذي رأى كلَّ شيءٍ فغنّي بذكرِهِ يا بلادي
لقد سَلَكَ طرقاً بعيدةً متقلِّباً ما بين التعب والراحة
فَنَقَشَ في نُصبٍ كلَّ ماعاناه وَخَبره
بنى أسوارَ أوروك المحصَّنة
وحَرَمَ (إي ـ أنّا) المقدّس، والمعبد الطاهر. . .».

هذا هو موضوع الملحمة، وهذا هو ما قالته، ولكن ماهو أهمّ من هذا هو كيف قالته.

الموت بين الحضارتين العراقية والمصرية

وإذا كانت الملحمة قد أجابت عن سؤال شغل البشرية من يوم خَلْقِ أوّلِ إنسانٍ على وجه هذه الأرض، وربّما سيبقى يشغل بالَ آخرِ إنسانٍ يكون عليها، ذلك هو: الموت، حتى بعد أن لطّفت الدياناتُ السماويّة من حدّة السؤال، بل حتى بعد أن ألغته عَقَدِيّاً بإعطائها للحياة معنًى وللموتِ معنًى وللخلود في الحياة الآخرةِ معنًى؛ فإنّ الحضارات القديمة ـ وهي حضاراتٌ وثنيّةٌ ناسوتيّة ـ لم

تستطع أن تفعل ذلك أو شيئاً يقربُ منه. ومن هنا ألحّت فكرة الموت عليها إلحاحاً عنيفاً. وبحسبنا من هذا كلّه أن ننظر إلى الأهرامات المصريّة، وإلى المومياوات فيها.

على أن الذي يلفت النظر حقّاً هو أن الحضارة العراقية، وقد سألتْ عن كيف يكون الخلود، كانت إجابتُها ـ برغم قِدَمِها، وسبقها الحضارةَ المصريةَ ـ أرقى من إجابة الحضارة الفرعونيّة؛ فإذْ آمنت الحضارةُ المصريّةُ القديمة أن الخلود يكون في حياةٍ ثانيةٍ اعتباطيّة ـ أعني ليست الحياةُ الثانيةُ هذه جزاءً عن عمل صالح ـ يُبعث فيها الموتى، فهيّأت لهم طعامَهم وشرابَهم وزينتَهم، حتى كان من أمرِ هذا البعث أن خاطب حوريس أباه الميت: أوزيريس بأن ينهض من موته؛ لأنه جاء يجمع عظامَه، ويربط عضلاته، ويصل أعضاءه، ويُعطيه آذاناً تسمع؛ وعيوناً ترى، وسواعد تعمل [21]، أقول: إذ آمنت الحضارة المصرية بخلود اعتباطيٍّ تعاد فيه الحياة كيفما اتفق، رأت الحضارةُ العراقية أن الخلود مما اختصتْ به الآلهةُ وحدها، وأن خلود الإنسان لا يكون إلاّ بعمله، وبعمران الأرض، سواء أتَمَّ ذلك ببناء أسوار أوروك ـ كما فعل كَلكَامش ـ أم ببناء معبد «إي ـ أنّا». أمّا ماعدا ذلك فليس هنالك خلودٌ جسديٌّ للإنسان على وجه هذه الأرض.

وترتّب عن هذين المعتقدَيْن أن حنّطت الحضارةُ المصريةُ موتاها العظامَ من ملوكٍ، وأشباههم، على حين رأت الحضارة العراقية أن تدفنهم رماداً، وتُقيم لهمُ التماثيل؛ وليس قليل الدلالة أن يطلب

كَلكَامش من صُنّاع مدينة «أوروك» صناعة تمثالٍ لأنكيدو من الذهب واللاّزورد ـ كما سبق أن رأينا ـ أثناء احتضاره، وبعد موته، وألاّ يفكّر بطريقةٍ أخرى في خلوده.

وليس قليل الدّلالة أيضاً ـ وأنا أقارن ولا أُفاضل ـ أن نجد فيضان النيل في مصر يعالجُ بموت فتاةٍ تُلقى فيه يُسمّونها: عروسَ النيل، وأنْ نجد فيضان الفراتيْن في العراق يتولاّه أوتو ـ نبشتم ببناء الفُلك.

ولا أريد أن أستطرد فأتعقّبَ كلّ وجوه الاختلاف والتباين؛ وإنّما أريد أنْ أتعقّبَ فكرةً سنحت لآمرىءٍ غير مُتخصّصٍ رأى أن يثيرها عسى أن يجد لها جواباً؛ فقد لفت نظره أيضاً أن الحضارة المصرية تكاد تكون قد دارت على الموت ومشتقّاتِهِ، على حين دارت الحضارة العراقية على الحياة وأسبابها؛ وإلاّ فإنّه مما يستحقُّ الوقوف أن يكون أبرزَ إنجازات الحضارة المصريّة الماديّة قبورُ موتاها التي صمدت على عوادي الدّهر وتحدّتها أعني: الأهرامات، على حين يكون أبرزَ إنجازات الحضارة العراقية: جنائنُ بابل المعلّقة التي ذبلت كما ذبل كَلكَامش.

ومما يستحقّ الوقوف والتأمل معاً ـ من دون مقارنةٍ ـ أن تكون أوّلَ شريعةٍ للحياة قد أُنجزت هي شريعةُ حمورابي (1792 ـ 1750) ق.م في العراق، حتّى لكأن العراقيّين بها أثاروا من شؤون الحياة يُمهّدون لضرورةٍ أن تفتي السماءُ في شؤون الأرض، بعد إذ وقفت فتاواهم عند قصور بني الأرض، وعند ما جُبلوا عليه من نقصٍ.

وإذ أنجزت الحضارة المصريّةُ «كتابَ الموتى» كانت الحضارةُ العراقية قد أنجزت ملحمة كَلكَامش: ملحمة الحياة وكتابها في العصور القديمة والحاضرة.

ولا أريد أن أفاضل ـ كما قلتُ ـ بين الحضارتين، وإنما أردت أن أعرض إلى ما توهَّمت أنه السِّرُّ في آختلافهما، أعني بذلك أن الحضارة العراقية لم تكن تؤمن بشيءٍ آسمه البعث، أو النشور، وإنما كانت تؤمن بأن ليس بعد الحياة الدّنيا حياةٌ، ومن هنا كانت تسمّي هذه الحضارةُ العالَمَ السفليَّ الذي هو: عالم الموت «أرضَ اللاّرجعة». فإذا كان ذلك كذلك؛ أفيكون غريباً أن يكون أبو الطيّب المتنبّي عراقيّـاً في قوله:

تَمَتَّـعْ مـن سُهـادٍ أو رقــادٍ ولا تأمـلْ كـرًى بعـد الرِّجـامِ
فإنّ لثالـثِ الحاليـْـن معـنًى سوى معنى انتباهِكَ والمنام [23]

أما كيف قالت الملحمة كلَّ هذا؛ فذلك سرٌ من أجمل أسرارها.
وأريد أن أقف ـ بادىء ذي بدءٍ ـ عند تطوّر شخصية البطل في هذا البناء فأقول:

جمال الملحمة الفني

إنّ هنالك سؤالاً لا يمكن أن يُفـارق قـارىء هـذه الملحمـة غير المتخصـّص بلـه العجلان ـ لا سيما أن المتخصّصيـن مرّوا عليـه وكأنـّه لا يستحق الوقوف عنده فلم يُثره أحدٌ منهم ـ هو أنـّه : كـيـف يكون كَلكَامش بمثل كلّ تلك القسوة،

والجبروت، والبطش ثم يبلغ حبُّ الناس له من مُواطنيه أن يُخلِّدوه بمثل هذا الأثر الأدبّي العظيم، ونبلغ نحن أن نرى في خيبة بحثه خيبتنا جميعاً؟

والحقّ أننا لا نستطيع الإجابة عن هذا السؤال ما لم نُدركْ التطوّر العاصف الذي زعزع كيان كَلكَامش يوم مات أنكيدو. صحيحٌ أنه حزن عليه؛ لأنه صديقُه وأخوه، ولكنّ ما هو أهمُّ من ذلك ما ساوره من إحساسٍ بأن أنكيدو هو نظيره في الخَلْق ـ كما يقول الإمام عليٌّ بن أبي طالب ـ قبل أن يكون صديقَه الوفيَّ. وإذا كان ردَّ فعله على وفاته باعتباره صديقاً أن صنع له تمثالاً ـ كما ألمحتُ ـ وأنه لم يدفنه عدمَ تصديق بموته:

«ندبتُه ستّةَ أيامٍ وسبعَ ليالٍ
مُعللاً نفسي بأنّه سيقوم من كثرة بكائي ونُواحي
وٱمتنعت عن تسليمه للقبر
أبقيتُه ستّةَ أيام وسبعَ ليالٍ حتّى تجمّع الدودُ على وجهِهِ
فأفزعني الموتُ حتى همتُ على وجهي في الصحاري
إنّ النازلة التي حلّتْ بصاحبي تقضُّ مضجعي
آه، لقد غدا صاحبي الذي أحببتُه تراباً
وأنا سأضطجعُ مثله فلا أقومُ أبدَ الآبدين
فيا صاحبةَ الحانةِ، وأنا أنظر إلى وجهك،
أيكونُ في وُسعي ألاّ أرى الموتَ . . . »؟!

أقول : إذا كان ردَّ فعله إزاء موت أنكيدو هو ذلك ؛ فإنّ ردّ فعله إزاءه من حيث هو إنسانٌ شيئان، أولهما: أنه رأى في وجه صاحبة الحانة موتاً خبيئاً ، وتذكرةً به فخاطبها : «فيا صاحبة الحانة ـ وأنا أنظر إلى وجهك ـ أيكون في وُسعي ألاّ أرى الموت» ؟ وثانيهما: أنه يوم حصل على نبات الخلود لم يفكّر بخلوده هو فحسب ، وإلاّ فما كان أسهل عليه أن يأكل من النبتة ساعة حصوله عليها ، ولكنه لم يفعل ذلك ، وإنما قال :

«لأحملنَّه معي إلى أوروك المحصَّنة
وأشركَ معي الناسَ ليأكلوا منه
وأنا سآكلُه في آخِرِ أيامي . . . » .

وكانت الملحمة قد مهّدت لكل ذلك ، بقول كَلكَامش ، وهو يصف موت صديقه :

«إنّه أنكيدو صاحبي ، وخلّي الذي أحببتُه حبّاً جماً .
لقد أنتهى إلى ما يصير إليه البشرُ جميعاً» .

وإذن ، فإن كَلكَامش كان يعرف مصير البشر جميعاً ، ولكن لم تتعمّق هذه المعرفةُ في نفسِهِ كما تعمّقت بعد موت أنكيدو ، ومن هنا كان بحثه عن الخلود ليس بحثاً عنه له وحده ، وإنّما هو لنا جميعاً ؛ لئلا يُفجع صديقٌ بصديقه ـ كما فُجع هو بموت أنكيدو ـ فترتّب على ذلك أن أصبح مصيره هو مصيرنا جميعاً . وإذ يكون البطلُ جزءاً منّا ، وتكون أمنيتُه التي يخيبُ في تحقيقها أُمنيتَنا تصير خيبتُه أَلَمَنا جميعاً مثلما كان طماحُه نُبْلَنا جميعاً .

ولم تُصرّح الملحمة بكل ذلك، وإنّما نثرته بشكل خفيٍّ لا يكاد يلفت النظر هنا وهناك وهنالك، وكانّها تريد أن تُوحي، لا أن تقول.

وهكذا جاء تطوّر شخصية البطل تطوراً منطقياً محسوباً له بدقّةٍ، لا يكاد ينبو منه شيءٌ فيكون محلّ نقاشٍ، أو مثار خلافٍ، وإلاّ فأيُّ نبوّ أن يفجع المرءُ ـ حتى وإن كان ملكاً جبّاراً ـ بعزيزٍ، فيراجع نفسه ؟

بقي بعد ذلك أن نسأل عن اتجاه البحث عند كَلكَامش لِمَ كان كذلك ؟ ولِمَ لم يُسلِّم بمصير البشرية الذي يعرفه، والذي هو الموت؟

والحق أن كَلكَامش كان مسكوناً بالخلود، حتى لكأنّ ذلك جِبلَّةٌ فيه، فقد رأيناه يخاطب صديقه أنكيدو ـ وهما يستعدان لمنازلة خمبابا ـ بقوله :

«ياصديقي، من ذا الذي يستطيع أن يرقى إلى السماء
فالآلهةُ وحدَهم هم الذين يعيشون إلى الأبد مع شمش
أما البشر فأيامُهم معدوداتٌ
وكلّ ما عملوا يذهب مع الريح . . . »

ويقول له وهو يُريد أن يُسبغ معنًى على منازلتهما إياه ومغامرتهما في قتله :

«إذا ما هلكتُ فسأخلِّدُ لي اسماً، وسيقولون عني
من بعد أن تولد الأجيالُ الآتيه فيما بعد :

لقد هلك كَلكَامش في نزاله مع خمبابا المارد».

وإذن، فلا بدع في أن يتوجّه كَلكَامش هذه الوجهة ـ أعني فكرة البحث عن الخلود ـ إذ كان مسكونا بها قبل موت أنكيدو.

أمّا بناء شخصية أنكيدو فهو لا ينمُّ عن تماسكٍ فحسب، وإنما يشي بمعرفة النفس الإنسانية معرفةً عميقة؛ فقد كان أنكيدو بدائياً متوحّشاً ينفق كلَّ مالديه من قوّةٍ في مصاحبة الوحوش، وفي مطاردتها، ويُبدِّد كلَّ ما عنده من نشاطٍ في ذَرْعِ الغاباتِ وفي مَسْحِها حتى بلغ من عمله أن عَرَف أن مساحة غابة الأرز «تمتدّ مسافة عشرة آلاف ساعة في كلّ جهة»؛ فكان على كَلكَامش ـ وعلى والد الصياد من قبله ـ أن يُبدِّدا هذه القوةَ المتوحّشةَ بحيويّتها لتستحيل إلى حضارة وإلى عقل. فلم يجدا إلى ذلك طريقاً أمثل من المرأة؛ وإذ هيّأ كَلكَامش هذه المرأةَ له، مكث معها ستة أيام وسبعَ ليالٍ [24]:

«وبعد أن شبع من مفاتنها
وجَّه وجهَه إلى إلفه من حيوان الصحراء
فما إنْ رأت الظباءُ أنكيدو حتّى ولّتْ عنه هاربةً
وهربت من قُربه وحوشُ الصحراء
ذُعر أنكيدو، ووهنت قواه
خذلته رُكبتاه لمّا أراد اللحاقَ بحيواناته
أضحى أنكيدو خائر القوى لا يُطيق العَدْوَ كما كان يفعل من قبلُ

ولكنّه صار فَطِناً، واسعَ الحِسّ، والفهم . . . »

وإذ ينقلب أنكيدو من البدائية إلى الحضارة ، فيدخل إلى أوروك مع صاحبته يكون من الهيّن أن نلمح الحضارة العراقية وكأنّها ترى أن المرأة ـ والمرأة وحدها ـ بوّابةُ الحضارة، فهل كانت هذه الرؤية أثراً من آثار «البغاء المقدّس» فيها، أم أن ذلك البغاء كان أثراً من آثار تلك الرؤية ؟

ومهما تكن الإجابةُ فإنه ليس قليل الدّلالة أن يصطدم تعريفان للخلود فينتصر تعريف المرأة له ؛ فقد كان كَلكَامش يرى أن الخلود هو ألاّ يموت الإنسان شأنه في ذلك شأن الالهة، على حين كانت صاحبة الحانة قد نصحت كَلكَامش بقولها :

«حينما خلقت الآلهةُ العِظامُ البشر
قَدَّرتِ الموتَ على البشرية
واَستأثرت هي بالحياة
أمّا أنت ياكَلكَامش، فليكن كرشك مليئاً على الدّوام
وكن فرِحاً مبتهجًا نهارَ مساءَ
وأقمْ الأفراح في كلّ يومٍ من أيّامك .
وَدَلّلِ الصغيرَ الذي يُمسك بيدك
وأفرِحْ الزوجةَ التي بين أحضانك
وهذا هو نصيبُ البشريّة» .

أقول: ليس قليلَ الدّلالة أن تدرك المرأةُ صاحبةُ الحانة معنى الخلود في هذه الحياة، وليس قليلها أيضاً أن تكون التوراة ـ كما

لاحظ الأستاذُ المرحوم طه باقر ـ حين أرادت تعريف الحياة لم تجد خيراً من تعريف صاحبة الحانة [25].

هذا ما يُلاحظ على بناء الشخصيتين الرئيسيتين في الملحمة، أما الشخصيات الأخرى من مثل الآلهة: إنليل، إيا، ننسون، وسواها، ومن مثل الشخصيات الآدميّة: صاحبة الحانة، الرجال العقارب، أورشنابي، أوتو ـ نبشم، زوج أوتو ـ نبشم، فقد قُدِّمت على أنها أو أنّ بعضها ـ بعبارة أدق ـ معروفة سَلَفاً، فلم يُعن عناية كبيرةً برسمها ورسم أبعادها إلاّ بمقدار ما تكون في خدمة البطل، وإضاءة جوانب حياته وبطولته وهواجسه.

وأريد أن ألاحظ على الحدث في الملحمة أنّه كان يُهيأ لانعطافاتِهِ بما يُهيّىء الذهنَ لتقبّله إنْ لم يكن يُهيِّئُه لتوقّعه، وذلك من خلال الحُلم ومن خلال تفسيره، ويمكنني أن اسوق على ذلك مثلاً بصداقة أنكيدو وكَلكَامش غير المنتظرة بٱعتبار أن أورورو قد خلقت أنكيدو غريماً لكَلكَامش إن لم يكن خصماً وليس صديقاً، ولكن الملحمة هيأت أذهاننا لتوقّع هذه الصداقة برؤيا رآها كَلكَامش، وهو يقصّها على أمّه ننسون:

«يا أمّي لقد رأيتُ الليلة الماضية حلماً
رأيتُ أني أسير مختالاً بين الأبطال
فظهرت كواكبُ السماء
وقد سقط أحدُها إليّ وكأنّه شهابُ السماء: آنو
أردتُ أن أرفَعَهُ، ولكن ثقل عليَّ

وأردتُ أن أزحزحه فلم أستطيع أن أحرِّكه
تجمّع حوله أهلُ بلاد أوروك
أزدحم الناسُ حوله وتدافعوا عليه . . .
أحببتُه وانحنيتُ كما أنحني على آمرأة
ورفعتُه ووضعتُه عند قدميك
فجعلتِهِ نظيراً لي» .

فتفسّرها له أمُّه ننسون بأن الكوكب صديقٌ وفيٌّ سيلازمه ، ولن يتخلّى عنه . وهكذا كان أنكيدو لصديقه .

على أن الرؤيا وتعبيرها هما الأسلوبان الوحيدان في الإيحاء بالحدث ، فقد رأينا كَلكَامش يقصّ رؤياه قبل لقائه بأنكيدو ، وستزوره الرؤيا قبل مصارعة خمبابا ، وكذلك قبل لقائه بجدِّه أوتو نبشم ، وستزور الرؤيا أنكيدو قبل موته تهيء أذهاننا لما سيقع .

ومن يقرأ الملحمة يدرك بيسر أن الزمن الذي آستعمله الكاتب لم يكن زمناً عاديّاً مألوفاً وإنما كان زمناً أسطورياً ؛ فغابة الأرز «تمتدُّ عشرة آلاف ساعة مضاعفة في كلّ الجهات» . والزمنُ الذي قطعه كَلكَامش في السفينة كان أحدُ أيامه «يعادل شهراً وخمسة عشر يوماً من السفر العادي» ، وإذ يعود مع أور شنابي بنبتة الخلود نراهما «بعد أن قطعا عشرين ساعةً مضاعفةً تبلّغا بلقمةٍ من الزاد ، وبعد ثلاثين ساعة مضاعفةً توقفاً ليبيتا الليل» ، وهكذا ، مما جعل ساندرز ـ وهو على حقٍّ ـ يقترح علينا ونحن نطالع «حادث الرحلة إلى الغابة والمعركة التي تلت ذلك على مستوياتٍ مختلفة من

الحقيقة . . . فالغابة غابة حقيقيّة . . . لكنها كذلك مقرٌّ للقوى الخطرة المهلكة ، ومسرح لمغامراتٍ عجيبةٍ . . . ثم هي غابة الروح المعتمة (26)» . ومما يجعل الملحمة برمّتها تُقرأ على أكثر من مستوى ، وتُؤوّل أكثر من تأويل ، مما يجعلها فضاء واسعاً يذهبُ فيه الخيالُ كلَّ مذهبٍ .

وإذ ٱختفى كاتب الملحمة ـ كما هو شأن كلِّ كتّابها ـ وراء الأحداث ، وهو يُرتّبُها ، كان يتحيّن الفرص تسنح في هذا الحدث أو ذلك ليتخلّى عن القَصّ ، ويلبس مسوح الشاعر فيغني غناءً لا أعذبَ منه ، ولا أرقى ، وهل أرقى من أن تمرَّ أربعة آلاف سنة على قطعة شعرية فتفنى السنون ، وتبقى هي حيّة نابضة بالجمال من نحو قول عشتار وهي تطلب من أبيها الثور المساويَّ .

«إذا لم تُعطني الثورَ السماويَّ

فلأحطّمن أبواب العالم الأسفل . . .

وأدع الموتى يقومون فيأكلون كالأحياء» .

ومن مثل قول أنكيدو يدعو على البغيِّ :

«ليكن أكلُكِ من فضلات المدينةِ

ستكون زوايا الدروب المظلمة مأواكِ

وفي ظل الجدار سيكون وقوفُكِ

وسيلطمُ السكرانُ والصاحي خدَّكِ

وعسى أن ينبذك عشاقُكِ بعد أن يقضوا وطرهم من سحر جمالك» ،

حتى إن المرء ليسأل إن كان الزمنُ قد توقّف فبقيت حياة البغايا هي هي لم تتغيّر منذ أربعة آلاف سنة أم أن الشاعر الملحميّ قد ألتقط جوهر حياتهن الخالد على مرّ العصور، فعرضه أسهل ما يكون عليه العرض دونما تهويلٍ، أو ألا عيب بلاغيّة، وأعمق ما يكون العرض أيضاً.

أما خبرة أوتو ـ نبشم بالحياة والموت وهو يعرضها على كَلكَامش بقوله:

«. . . والفراشة لا تكاد تخرج من شر نقتها فتبصر وجه الشمس حتى يحلّ أجَلُها

ولم يكن دوامٌ وخلودٌ منذ القدم

وياما أعظمَ الشبهَ بين النائم والميت

ألا تبدو عليهما هيئة الموت ؟

ومن ذا الذي يستطيع أن يميّز بين العبد والسيِّد إذا وافاهما الأجل» ؟ !

أثر الملحمة في الشعر العربي

فبحسبنا من هذه القطعة أن يبلغ البيتُ الأخيرُ ـ على براءة سؤاله ـ من العُمق والإنسانيّةِ بحيث يستحيلُ بعد ثلاثة آلاف سنة لطول ما حَفَر الالسؤالُ في وجدان العراقيين وسواهم من شعوب الأرض، قلت: يستحيل إلى حقيقةٍ مُقرَّرةٍ في ذهن أبي الطيّب المتنبّي وهو يعزّي عضد الدولة البويهي :

يمـوتُ راعـي الضأنِ في جهله ميتـةَ جالينـوس في طبِّـه [27]
وبحيث يقرِّر أبو العلاء المعرّي هذه الحقيقةَ ـ من بعده ـ في قوله :
والـواحدُ المـُفـْرَدُ في حـتـفِـه كالحاشدِ المُكثِرِ من حَشْدِهِ [28]

وإذا كان المتنبّي قد زيّن تلك الحقيقة السومريّة ـ البابليّة بصورة جالينوس الطبيب الإغريقي، الذي من شأنه أن يُعالج الأمراضَ المُفْضِيةَ إلى الموت إمعاناً منه في رِسم هُوّة المفارقة، فإن المعرّي لم يخرج كثيراً عن الصورة البابليّة : السيّد والعبد؛ فكلُّ ما فعله أن كنّى عن الرجل الفقير ـ سواء أكان عبداً أم لم يكن ـ بالمُفْرد، وعن ذي الهيْل، والهيْلمانِ بالحاشد الذي تلتفّ الحشود من حوله، وليكن بعد ذلك سيّداً أو حاكماً أو أميراً أو ما شئتَ. على أن المتنبّي والمعرّي معاً ـ في رأيي المتواضع ـ لم يبلغا جمالَ حكمةِ الشاعرِ البابليِّ الساذجة بتلقائيّتِها وعفويّتها. فأيُّ جوهرٍ إنسانيٍّ ٱستطاع أن يلتقطه شاعرنا الملحميُّ.

وإذا كان البيت الأخير قد شغل العظيميْن : المتنبّي والمعرّي معاً فلم يبلغا شأوَه، فإن قوله : «و ياما أعظم الشبه بين النائم والميت. ألا تبدو عليهما هيئة الموت». قد شغل المعرّي في قصيدةٍ من أعظم قصائده أعني التي مطلعها :

غير مـُجدٍ في مِلـّتي وٱعتقادي نـوحُ بـاكٍ، ولا تـرنُّمُ شـادِ

فأقامها جميعاً على التضادِ المُوهِمِ بالوحدةِ، أو التضادِ المنظورةُ فيه الوحدةُ، ثم لم يلبث أن أشار إلى الملحمة برّمتها ـ وأنا لا أعني أنه قرأها أو ٱطلّع عليها بمقدار ما أعني أنّ من التراث ما يصبح

عقائدَ ومسلَّماتٍ وَعَاهَا الإنسانُ أم لم يَعِها ـ أقول: أشار إلى الملحمةِ بقوله:

خُلِقَ النـاسُ للبقـاءِ فضلـَّـتْ أُمـــّةٌ يَحْسَبُونَـهـــُمْ للنـفـادِ

ففسَّر الشارح هذه الأمّة الضالّة التي تؤمن بفناء الأرواح على أنّها «الدهريّون»[29]، وأظـنّ أنّ من أبـرز الدَّهْـرِيـيّـن: السومـريّيــن والبابليـيّن الذين لم يكونوا يؤمنـون بـشيءٍ آسمـه البعـث أو الحياة الآخرة[30].

وقُلتُ: إن البيت البابليّ شغل المعرّي في داليته وأنا أعني قوله فيها:

ضجعـةُ الموتِ رَقْدةٌ يستريح الـ جسم فيها، والعيش مثل السهاد[31]

فلولا نزعةُ المعرّي التشاؤميّةُ المعروفةُ التي جسّدها في قوله: «والعيش مثل السهاد» آنسجاماً مع فلسفته القائلة: «تَعبٌ كلّها الحيـاة...» التـي هي ردٌّ آخر على كَلكَامش في بحثه عن الخلـود:

تَعَبٌ كلُّها الحياةُ، فما أعجبُ إلاّ من راغبٍ في آزدياد

أقول: لولا ذلك كلُّه لكان بيتُ المعرّي لا يختلف كثيراً عن البيت البابليّ في الملحمة.

ولا أريد أن أطيل في الوقوف عند الشعر الصافي في الملحمة ـ ولا في المقارنات ـ فبحسبي منه رثاء كَلكَامش صديقَهُ أنكيدو: فرحتَه، وبهجتَه، وكسوةَ عيدِه، وقصَّةُ الطوفان التي هي برمَّتها من خوالد الشعر، ودُرَرِه.

ولكنني أريد أن أُنبِّه إلى ما تنبَّه إليه دارسو الملحمة جميعاً، أعني التكرار فيها، فأقول: إن بعض التكرار فيها يبدو ـ كما لاحظ الدارسون حقّاً ـ مملاً، ولكنّ بعضَه الآخر ـ كما في بحث كَلكَامش عن أوتو ـ نبشمّ، وكما في رحلته خلال الجبل ـ «يؤدي. . . إلى زيادة التوتّر، ويُفضي إلى الذّروة»[32]، أي: أن هذا التكرار يخرج عن طبيعتِهِ أسلوباً من أساليب الرواية الشفوية ـ قبل أن تكتب الملحمة ـ إلى أداء دوره في الإيحاء؛ ولعّل هذا الدَّور هو الذي ساق الشاعر ـ حين يكرِّرُ ـ أن يزيد وأن ينقص وفقاً لما يرجوه من تأثير.

وبعد، فأيّة مرارة خانقةٍ تكمن في تجدُّدِ الأفعى، وفي موت الإنسان، وأيّةُ نهايةٍ مأساويةٍ، وأيُّ هوان؟

صحيحٌ أن الإنسان السومريَّ ـ شأنُه في ذلك شأنُ الإنسان المعاصر ـ لم يرَحَيَّةً تُحتضَر مثله (فسماها: أسد التراب)، وإنّما رأى ما يدلّ على تجدّدها وهي تنزع جلدها كلَّ عامٍ فآمن بخلودها، ولكنّه حين جاء يعلّل خلودها تكشّفت له الحقيقةُ المرّة، وهي موتُ الإنسان وخلودُ الأفعى، وإن شئت فقل: سعيُ الإنسان ـ على غير قصدٍ ـ إلى خلود الأفعى بعد إذ سرقت نبتةَ خلوده فبكى:

«من أجل مَنْ يا أور ـ شنابي كلّتْ يداي؟
ومن أجل مَنْ ٱستنزفتُ دمَ . . . قلبي
لم أُحقِّقْ لنفسي مغنماً
أجل، لقد حقّقتُ المغنم إلى أسَد التراب. . .»!

وإذ لم يرض كَلكَامشُ بذلك، ولم يرض أيضاً أن يخلد بأولاده كما نصحته صاحبةُ الحانةِ كان ذلك إيذاناً أن يبحث عن طريقٍ بكْرٍ لم يطرُقْه أحدٌ قبلَهُ إلى الخلود، فتوصّل إليه - كما سبق - من طريق العمل، والعمران، والتطوّر فيهما حتى بنى حضارته.

وهكذا، كانت رحلة كَلكَامش المضنية رحلة تمرّد الإنسان على قوانين الالهةِ الجائرة، القاضيةِ بالهجر، والفراق، والموت، وكانت بحثاً مُضنياً مُخلصاً عن المعرفةِ، والحكمةِ والخلودِ . . . وبكلمةٍ واحدةٍ. كانت رحلةُ كَلكَامش رحلة الإنسانِ - من حيث هو إنسانٌ - في كل عصوره الماضية والآتية بغضِ النظَرِ عن لونه، وعرقِهِ، ووطنِه.

وإذا كانت الرِّحلة تحمل كلَّ هذه المعاني، فذلك هو سببُ خلودها، وذلك هو الأدب الإنسانيُّ الخالد.

محمد حسين الأعـرجي

الهوامش(×)

(1) الدكتور علي جواد الطاهر: مقدمة في النقد الأدبي : 73، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1976.

(2) يذهب الأستاذ صموئيل كريمر - وهو من أبرز المختصين - بالسومريّات من خلال ماجمعه من نصوص الملحمة أنّ تاريخها يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وليس

الألف الثاني . ينظر ن . ك . ساندرز ـ ملحمة جلجامش : 10 ترجمة : محمد نبيل نوفل ، وفاروق حافظ القاضي ، دار المعارف ، مصر، 1970.

(3) ينظر الأستاذ طه باقر، ملحمة كَلكَامش : 57، ط 4، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1980 (منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية) ، والمؤلف نفسه ـ مقدّمة في أدب العراق القديم : 103، دار الحريّة للطباعة، بغداد، 1976 (منشورات كلية الآداب ـ جامعة بغداد) .

(4) سوسة ، وتكتب : سوسا أيضا ، هي عاصمة بلاد عيلام التي عُرفت ـ فيها بعد ـ ببلاد فارس .

(5) ساندرز: 10، وينظر أنيس فريحة ، ملاحم وأساطير من الأدب السامي: 213، ط 2 ، دار النهار، بيروت ، 1979 .

(6) السابق : 10ـ 11

(7) السابق : 11 ، وطه باقر ـ ملحمة : 58.

(8) طه باقر ـ ملحمة : 64.

(9) طه باقر مقدّمة : 102 .

(10) د. فاضل عبد الواحد علي ـ الأدب : 338ـ 339 (بحث في الجزء الأول من كتاب حضارة العراق ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1985).

(11) طه باقر ـ ملحمة : 52.

(12) السابق :55.

(13) باقر ـ مقدّمة : 53.

(14) د. فاضل عبد الواحد علي 1: 324.

(15) باقر ـ الملحمة : 45.

(16) ساندرز: 13، وينظر باقر ـ الملحمة : 45.

(17) السابق :18.

(18) باقر ـ الملحمة: 47 ـ 48؛ وتنظر مراجعه في حاشية الصفحة.

(19) السابق: 52.

(20) ساندرز: 29 ـ 30.

(21) من كتاب الموتى، نقلاً عن توفيق الحكيم، تحت شمس الفكر: 207، المطبعة النموذجية، مصر، د. ت.

(22) د. فاضل عبد الواحد 1: 353.

(23) المتنبي، الديوان: 485، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1964.

(24) أقول: لعلّ عادة إحياء أسبوع العرس في العراق وفي غيره: والاحتفال به إلى اليوم جائيةٌ من هنا.

(25) باقر ـ الملحمة: 138.

(26) ساندرز: 29 ـ 30.

(27) المتنبّي: 558.

(28) المعري ـ سقط الزند: 2: 6 (شرح التنوير على لسقط، بولاق 1286هـ).

(29) السابق 1: 210.

(30) باقر ـ الملحمة: 42.

(31) المعري: 211.

(32) ساندرز: 42.

(×) ليس في الحديث التاريخي عن الملحمة أيُّ شيءٍ لي، وإنما هو إفادةٌ إن لم تكن أمينةً فهي شبهُ أمينةٍ للمراجع المذكورة أعلاه، ولا سيّما أحاديث المرحوم الأستاذ طه باقر التأريخية عن الملحمة في مرجعيْه المذكورَيْن.

ترجمة نص الملحمة

الفصل الأول

جلجامش وانكيدو [1]

اللوح الاول : الحقل الاول :

هو الذي رأى كل شيء فغني بذكره يا بلادي [2]

وهو الذي عرف جميع الاشياء وأفاد من عبرها [3]

وهو الحكيم العارف بكل شيء :

لقد أبصر الاسرار وكشف عن الخفايا المكتومة

وجاء بأنباء ما قبل الطوفان

لقد سلك طرقا بعيدة متقلبا ما بين التعب والراحة

8 ـ فنقش في نصب من الحجر كل ما عاناه وخبره

9 ـ بنى أسوار «اوروك» ، المحصنة [4]،

10 ـ وحرم «إي ـ أنّا» المقدس والمعبد الطاهر

11 ـ فانظر إلى سوره الخارجي تجد افاريزه تتألق كالنحاس

12 ـ وأنعم النظر في سوره الداخلي الذي لا يماثله شيء

13 ـ واستلم (أمسك) أسْكُفّته الحجرية الموجودة منذ القدم [5]

14 ـ اقترب من «إي ـ أنّا» ، مسكن عشتار

15 ـ الذي لا يماثله صنع ملك من الآتين ولا انسان
16 ـ اعلُ فوق أسوار «اوروك» .
17 ـ وامش عليها متأملا
تفحص أسس قواعدها وآجر بنائها
18 ـ أفليس بناؤها بالآجر المفخور؟
19 ـ وهلا وضع الحكماء السبعة أسسها [6]
20 ـ سارٌ [7] واحد مساحة المدينة ، وسارٌ للراعي
وسارٌ لحفر الطين ، وهي الارض المخصصة لمعبد عشتار
21 ـ ثلاثة سارات كلها ، وكذلك الارض الخلاء مدينة «أوروك»
22 ـ أبحث عن اللوح المحفوظ في صندوق الالواح النحاسي [8]
23 ـ وافتح مغلاقه المصنوع من البرونز
24 ـ واكشف عن فتحته السرية
25 ـ تناول لوح حجر اللازورد واجهر بتلاوته
26 ـ وستجد كم «عانى جلجامش» من العناء والنصب
27 ـ وفاق جميع الحكام ، انه ذو الهيئة البهية السامية
28 ـ انه البطل ، سليل أوروك ، والثور النطاح
29 ـ انه المقدم في الطليعة
30 ـ وهو كذلك في الخلف ليحمي اخوته وأقرانه
31 ـ انه المظلة العظمى ، حامي (اتباعه) من الرجال

32ـ انه موجة طوفان عاتية تحطم حتى جدران الحجر
33 ـ نسل «لوكَال ـ بندا» ـ انه جلجامش المكتمل القوة
34ـ ابن البقرة الجليلة «رمات ـ ننُسن»
35ـ . . . . . . جلجامش المكتمل في الجلال والالوهية
36ـ انه هو الذي فتح مجازات الجبال
37ـ وحفر الابار في مجازات الجبال
38ـ وعبر البحر المحيط، الى حيث مطلع الشمس
39 ـ لقد جاب جهات العالم الاربع، وهو الذي سعى لينال الحياة الخالدة
40 ـ وبجهده استطاع أن يصل الى «اوتو ـ نبشتم»، القاصي.
41 ـ (وأعاد الاحياء ؟) هي دمرها الطوفان
42 ـ . . . . . .
43ـ من ذا الذي يضارعه في الملوكية ؟
44 ـ من غير جلجامش من يستطيع أن يقول: أنا الملك!
45ـ ومن غيره من سمي جلجامش ساعة ولادته.
46ـ ثلثاه اله، وثلثه الباقي بشر
47ـ لقد صممت هيئة جسمه الالهة العظيمة
48ـ52 ـ (مشوهة لا يمكن ترجمتها).

العمود الثاني :

بعد أن خلق جلجامش وأحسن الاله العظيم خلقه
حباه «شمش» السماوي بالحسن وخصه «أدد» بالبطولة (9)
جعل الالهة العظام صورة جلجامش تامة كاملة
كان طوله أحد عشر ذراعا وعرض صدره تسعة أشبار
ثلثاه اله، وثلثه الاخر بشر
وهيئة جسمه مخيفة كالثور الوحشي
وفتك سلاحه لا يضاهيه ويصده شيء
وعلى ضربات الطبل تستيقظ رعيته (10)
لازم أبطال «أوروك» حجراتهم ناقمين مكفهرين
لم يترك «جلجامش» ابنا طليقاً لابيه
لم تنقطع مظالمه عن الناس ليل نهار
أهذا «جلجامش»، راعي «أوردك» المسورة؟
أهو راعينا القوي، الكامل الجمال والحكمة (11)
لم يترك جلجامش عذراء طليقة لأمها
ولا ابنة المقاتل ولا خطيبة البطل.
وأخيرا استمع الالهة الى شكاتهم واستغاثتهم (12)
فاستدعى الهة السماء رب «أوروك» وقالو له (13):
ألم تخلق «أورورو» هذا الثور الوحشي الجبار!
الذي لا يضاهي فتك أسلحته سلاح آخر
والذي تستيقظ رعيته على ضربات الطبل

جلجامش الذي لم يترك ابنا طليقا لابيه
وما فتىء يضطهد الناس بمظالمه ليل نهار
هو راعي «أوروك» المحصنة .
هو راعيهم ، وهو قوي وجميل وحكيم
ان جلجامش لم يترك عذراء لأمها
ولا ابنة المقاتل ولا خطيبة البطل»
استمع الاله «آنو» الى شكواهم
ودعوا «أورورو» [14] العظيمة وقالو لها :
يا «آورورو» أنت التي خلقت هذا الرجل .
فاخلقي الان غريما له
وليكن مضاهيا له في قوة اللب والعزم
وليكونا في صراع مستديم ، لتنال «أوروك» الراحة والسلام .
حالما سمعت «أورورو» ذلك غسلت يديها
تصورت في لبها صورة لآنو
وغسلت «أورورو» يديها
وأخذت قبضة من طين ورمتها في البرية
وفي البرية خلقت «انكيدو» القوي ،
نسل «ننورتا» [15]
يكسو جسمه الشعر الكث
وشعر رأسه كشعر المرأة
ونمت فروع شعر رأسه جدائل كشعر «نصابا» [16]

لايعرف الناس ولا البلاد
ويلبس لباسا مثل «سموقان» [17]،
ومع الظباء يأكل العشب
ويتدافع مع الوحش عند مساقي الماء
ويسر قلبه مع الحيوان عند موارد الماء
(وحدث) أن صيادا قانصا التقى به عند مورد الماء
وأبصره يوما ثانيا وثالثا عند مسقى الماء
ولما رآه الصياد شل وامتقع وجهه من الخوف
فدخل هو ووحوشه إلى بيته
وهو لا يزال مشلولا مذعورا
اضطرب قلبه، وامتقع وجهه
حل بقلبه الرعب وصار وجهه كمن جاء من سفر بعيد

العمود الثالث:

(جاء) الصياد إلى أبيه وفتح فاه وقال له:
«يا أبي! رأيت رجلا عجيبا قد انحدر من التلال» [18]
إنه أقوى من في البلاد، وذو بأس شديد
وهو في شدة بأسه وقوته مثل عزم «آنو» [19]
إنه يجوب التلال
يرعى الكلأ مع حيوان البر
ويستقى معها عند مورد الماء

لقد ذعرت منه فلم أقو على الاقتراب منه
ملأ أوجاري[20] التي حفرت
وقطع شباكي التي نصبت
فجعل الصيد وحيوان البر تفر من يدي
وحرمني من صيد البر»
ففتح أبوه فاه وخاطب الصياد ابنه قائلا :
«يابني ! يعيش في «أوروك» جلجامش
الذي لا مثيل له في البأس والقوة
وهو في شدة بأسه مثل عزم «آنو»
فاذهب الى «اوروك» ، وول وجهك شطرها
وانبيء جلجامش عن بأس هذا الرجل
وليعطك بغيا مومسا تصحبها معك أيها الصياد
دعها تسيطر عليه وتروضه
وحينما يأتي ليستقي مع الحيوان من مورد الماء
دعها تخلع ثيابها وتكشف عن عورتها ومفاتن جسمها
فحالما يراها فإنه سيقترب منها وينجذب اليها .
وعندئذ ستنكره حيواناته التي ربيت معه في البرية»
لقد أرهف السمع ووعى مشورة أبيه
وقصد الصياد جلجامش
أغذ السير في الطريق واستقر به المقام في «أوروك»

مثل أمام جلجامش وخاطبه قائلاً :ـ
«هناك رجل عجيب انحدر من التلال
إنه أقوى من في البلاد، وذو بأس شديد
وهو في شدة بأسه وقوته مثل عزم «آنو»
أنه يجوب البراري ويأكل العشب
ويرعى الكلأ مع حيوان البر ويستقي معها عند مورد الماء
لقد ذعرت منه فلم أقو على الاقتراب منه
لقد ملأ الاوجار التي حفرتها
ومزق شباكي التي نصبت
فجعل الصيد وحيوان البر تفر من يدي
لقد حرمني من القنص في البرية».
فقال جلجامش له، قال للصياد :ـ
«إنطلق يا صيادي واصطحب معك بغيا مومسا» (21)
وحينما يأتي إلى مورد الماء ليستقي مع الحيوان
دعها تخلع ثيابها وتكشف عن مفاتن جسمها وعورتها
فاذا ما رآها اقترب منها وانجذب اليها
وعندئذ ستنكره حيواناته التي ربيت معه في البرية»
فانطلق الصياد واصطحب معه البغي «المومس»
شرعا بالسفر وسارا قدما في الطريق
وفي اليوم الثالث بلغا الموضع المقصود

جلس الصياد والبغي في ذلك المكان ومكثا فيه .
مكثا يوما ويوما ثانيا عند مسقى الماء
جاء حيوان البر الى المورد ليستقى الماء

العمود الرابع :

قصدت وحوش البر الماء ففرحت وسرت قلوبها
أما «أنكيدو» الذي كان مولده في التلال
والذي يأكل العشب مع الظباء ، ويرد الماء مع الحيوان
ويفرح لبه مع حيوان البر عند مسقى الماء
فان البغي رأته ، رأت الرجل الوحش
أبصرت البغي المارد ، الاتي من قلب الصحاري
(فأسر اليها الصياد) : هذا هو أيتها البغي فاكشفي عن نهديك
اكشفي عن عورتك لينال من مفاتن جسمك
لا تحجمي ، بل راوديه وابعثي فيه الهيام
فإنه متى ما رآك انجذب اليك
انضي عنك ثيابك ليقع عليك
علمي الوحش الغرَّ فنَّ (وظيفة) المرأة
ستنكره حيواناته التي ربيت في صحرائه
إذا حفي بك وانعطف بحبه اليك
فأسفرت البغي عن نهديها وكشفت عن عورتها

فتمتع بمفاتن جسمها
لم تحجم بل راودته وبعثت فيه الشوق
نضت عنها ثيابها فوقع عليها
وعلمت الوحش الغَرَّ فنَّ المرأة
فانجذب إليها وتعلق بها
لبث «أنكيدو» يتصل بالبغي ستة أيام وسبع ليال
وبعد ان شبع من مفاتنها
وجه وجهه إلى إلفه من حيوان الصحراء
فما أن رأت الظباء «أنكيدو» حتى ولت عنه هاربة
وهربت من قربه وحوش الصحراء
ذعر «أنكيدو» ووهنت قواه
خذلته ركبتاه لما أراد اللحاق بحيواناته
أضحى أنكيدو خائر القوى لا يطيق العدو كما كان يفعل من قبل
ولكنه صار فطنا واسع الحس والفهم
رجع وقعد عند قدمي البغي
وصار يطيل النظر إلى وجهها
ولما كلمته أصاخ بأذنيه اليها
كلمت البغي أنكيدو وقالت له :
«صرت تحوز على الحكمة يا أنكيدو وأصبحت مثل إله
فعلام تجول في الصحراء مع الحيوان ؟

تعال آخذك إلى «اوروك» ، ذات الاسوار
إلى «البيت» المقدس ، مسكن «آنو» و «عشتار»
حيث يعيش جلجامش الكامل الحول والقوة
المتسلط على الناس كالثور الوحشي»
ولما ان كلمته تقبل منها قولها
وفرح قلبه لأنه كان ينشد صاحباً له
فأجاب «أنكيدو» البغي وقال لها :
«هلمي أيتها البغي ، خذيني إلى «البيت» الطاهر، مسكن آنو وعشتار
حيث يحكم جلجامش الكامل الحول والقوة
والمتسلط على الناس كالثور الوحشي
وأنا سأتحداه وأغلظ له في القول

العمود الخامس :

وسأصرخ في قلب «أوروك» : أنا الأقوى
أجل ! أنا الذي سأبدل المصائر
إن الذي ولد في الصحراء هو الأشد والأقوى»
(فقالت البغي) : «هلم نذهب كي يرى وجهك
سأدلك على جلجامش ، فأنا أعلم أين هو
أجل ! تعال يا «أنكيدو» إلى «أوروك» المحصنة
حيث يلبس الناس أبهى الحلل

وفي كل يوم تقام الافراح كالعيد
حيث . . . غلمان . . . الآسنو [22] . . .
والفتيات . . . الحسان ؟
. . . . ينفح منهن العطر والطيب
اللواتي يخرجن العظماء من مضاجعهم ؟
وأنت يا أنكيدو الذي تنشد البهجة في العيش
سأريك جلجامش المبتهج بالحياة
وعليك أن تنظر اليه وتتفرس في وجهه
وستلقاه مزهوا برجولته وبأسه
وتحلّي جسمه المباهج والمفاتن
إ نه أشد بأسا منك ، وهو لا يستقر مساء نهار
فيا أنكيدو خل عنك غلواءك وتبجحك
إن جلجامش يرعاه «شمش» ويحبه
وحباه «آنو» و «أنليل» و «ايا» «بالفهم الواسع» [23]
وقبل أن تأتي من الصحراء
سيراك جلجامش في الرؤى وهو في «اوروك»
وفعلاً استيقظ جلجامش في تلك اللحظة
وأخذ يقص على أمه [24] رؤياه قائلاً لها :
«يا أمي لقد رأيت الليلة الماضية حلماً
رأيت أني أسير مختالاً بين الأبطال
فظهرت كواكب السماء

وقد سقط أحدها إلي وكأنه شهاب السماء «آنو» [25]
أردت أن أرفعه ولكنه ثقل علي
وأردت أن أزحزحه فلم أستطع أن أحركه
تجمع حوله أهل بلاد «أوروك»
ازدحم الناس حوله وتدافعوا عليه
واجتمع عليه الأبطال
وقبل أصحابي قدميه . . . .
أحببته وأنحنيت كما أنحني على إمرأة
ورفعته ووضعته عند قدميك
فجعلته نظيراً لي» .
فأجابت جلجامش أمه البصيرة العارفة وقالت له :
قالت : «ننسون» العارفة بكل شيء لجلجامش :
«ان رؤيتك نظيرك كوكب السماء [26]
والذي سقط اليك وكأنه شهاب السماء (آنو)
والذي أردت أن ترفعه فثقل عليك
والذي أردت أن تزحزحه فلم تستطع
وأحببته وأنحنيت عليه كما تنحني على امرأة
والذي وضعته عند قدمي
فجعلته أنا نظيرا لك
إنه صاحب قوي ، يعين الصديق (عند الضيق) سيأتي
إنه أقوى من في البلاد وذو عزم شديد

وعزمه مثل عزم «آنو» وذو بأس شديد
وأما أنك أحببته فأنحنيت عليه كما تنحني على إمرأة
فمعناه أنه سيلازمك ولن يتخلى عنك
وهذا هو تفسير رؤياك» .
ثم قص جلجامش على أمه حلما ثانياً وقال :
«يا أمي رأيت رؤياً ثانية
في «اوروك» ، المحصنة ، رأيت فأسا مطروحة
تجمع أهل اوروك عندها وازدحم الناس حولها
أحببتها وأنحنيت عليها كأنها امرأة
ثم وضعتها عند قدميك فجعلتها أنت نظيراً لي»
فقالت أم جلجامش الحكيمة المحبوبة لأبنها
قالت ننسون الحكيمة البصيرة لجلجامش : ـ
«ان الفأس التي رأيت رجل
وأما أنك أحببتها وانحنيت عليها كما تنحني على امرأة
والتي سأجعلها أنا نظيراً لك
فتعبيره أنه صاحب قوي يعين الصديق سيأتي اليك
أنه أقوى من في البلاد وذو عزم شديد
وهو في شدة بأسه مثل عزم «آنو»
ففتح جلجامش فاه مخاطباً أمه :
«عسى أن يتحقق هذا الفأل بمشيئة أنليل العظيم
فيكون لي صاحب وصديق ناصح

وسأكون له صاحباً وصديقاً وفياً
وحينما كان جلجامش يستفسر عن رؤياه الثانية [27]
كانت البغي تحادث أنكيدو وهو جالس قدامها
وكان الاثنان يمارسان الهوى وملذاته
لقد نسي أنكيدو المكان الذي ولد فيه في البراري
ولبث «أنكيدو» يجامع البغي ستة أيام وسبع ليال
ثم كلمت البغي «أنكيدو» وقالت له :
«كلما نظرت اليك يا «أنكيدو» بدوت لي مثل إله
فعلام تجول في الصحراء وترعى مع الحيوان
تعال أقدك لي «أوروك» ، ذات الاسواق [28]
إلى البيت المقدس ، مسكن «آنو»
انهض يا «أنكيدو» لأخذ بيدك إلى «اِى ـ أنا» ، مسكن «آنو»
إلى حيث جلجامش المكتمل القوة والفعال
وأنت ستحبه كما تحب نفسك
فهيا وانهض من على الأرض ، فراش الراعي»
لقد سمع كلامها وتقبل قولها
وقع نصح المرأة في لبه موقع الرضا
ثم شقت ثوبها شقين ، ألبسته بواحد منهما واكتست بالثاني
وأمسكت به من يده وقادته كما يقاد الطفل
أخذته إلى كوخ الرعاة ، إلى موضع الحظائر
فتجمع الرعاة حوله

العمود الثالث :

ربي على رضاع لبن الحيوانات البرية
ولما وضعوا أمامه طعاماً تحير واضطرب ،
وصار يطيل النظر إليه
أجل لا يعرف «أنكيدو» كيف يؤكل الخبز
لأنه شب على رضاع لبن حيوان البر
ولم يعرف كيف يؤكل الخبز
ولا كيف يشرب الشراب القوي
ففتحت البغي فاها وخاطبت «أنكيدو» :
«كل الطعام يا أنكيدو، فإنها سنة الحياة
واشرب من الشراب القوي، فهذه عادة البلاد»
فأكل «أنكيدو» من الطعام حتى شبع
وشرب من الشراب القوي سبعة أقداح
فانطلقت روحه وانشرح صدره وطرب لبه ونور وجهه
نظف جسده المشعر ومسحه بالزيت
وأضحى انساناً ، لبس اللباس وصار كالعريس
أخذ سلاحه وانطلق يطارد الأسود ليريح الرعاة في المساء
اصطاد الذئاب وقهر الأسود
فاستطاع الرعاة أن يهجعوا في الليل مطمئنين
صار أنكيدو حارسهم وناصرهم
إنه الرجل القوي والبطل الاوحد

العمود الرابع :

. . . . [29]

لقد سر (انكيدو) وأقام الأفراح [30]

ولما أن رفع عينيه أبصر رجلاً

فقال للبغي آتيني بالرجل يا بغي

فعلام جاء إلى هنا ؟

دعيني أعرف اسمه

نادت البغي على الرجل ،

فجاء اليه ورآه فقال له :

علام أنت مسرع أيها الرجل؟

وعلام عانيت هذا السفر الشاق؟

ففتح الرجل فاه وقال لـ «أنكيدو» [31]

لقد اقتحم «بيت الإجتماع»

الـذي خصص لتقدير مصائر النـاس[32] وللأعراس

لقد أحل في المدينة العار والدنس

وفرض على المدينة المنكودة المنكرات وأعمال السخرة

لقد خصصـوا الطبـل إلى مـلـك «اوروك»، ذات الأسـواق

ليختار على صوته العروس التي يشتهيها ؟

إلى جلنجامش ، ملك اوروك ، ذات الأسواق

يخصصون الطبل ليختار العرائس قبل أزواجهن

فيكون هو العريس الأول قبل زوجها [33]
(وهم يقولون) : لقد أراد الآلهة هذا الأمر
وقدروه منذ ان قطع حبل سرته»
ولما فاه الرجل بهذا القول امتقع وجه «أنكيدو»
. . . . [34]

العمود الخامس :

سار أنكيدو إلى الامام وخلفه البغي
ولما دخل «أوروك» ، ذات الأسواق الواسعة
تجمع الناس حوله
حين وقف في شارع «أوروك» ذات الأسواق ،
تجمهر الناس حوله وقالوا عنه :
إنه مثيل لجلجامش في البنية
ولكنه أقصر قامة وأقوى عظماً
إنه أقوى من في البلاد ، وذو بأس شديد
لقد رضع لبن حيوان البر في البادية
وفي «أوروك» لن تنقطع قعقعة السلاح [35]
فرح الأبطال وهللوا قائلين : -
لقد ظهر بطل ند وكفوء للبطل الجميل
أجل ظهر لجلجامش ، الشبيه بالاله ، نظيره ومثيله
ولما هيء الفراش لـ «اشخارا» [36]

واقترب جلجامش ليتصل بالآلهة مساء
وقف «أنكيدو» في الدرب يسد الطريق بوجهه

العمود السادس :
. . . . (نقص من نحو 13 سطراً)
رأى جلجامش «أنكيدو» الهائج
الذي ولد في البادية ويجلل رأسه الشعر الطويل
فانقض عليه وهاجمه
تلاقيا في موضع سوق البلاد
سد «أنكيدو» الباب بقدميه
ومنع جلجامش من الدخول
أمسك أحدهما بالأخر وهما متمرسان (بالصراع)
وتصارعا وخاراً خوار ثورين وحشيين
حطما عمود الباب وارتج الجدار
وحينما ثنى جلجامش ركبته وقدمه ثابتة في الأرض (ليرفع أنكيدو)
واستدار ليمضي
هدأت سورة غضبه
كلمه «أنكيدو» وقال له : ـ
«إنك الرجل الأوحد ؛ أنت الذي ولدتك أمك»
ولدتك امك «ننسونا»، البقرة الوحشية المقدسة

ورفع «انليل» رأسك عاليا على الناس
وقدر اليك الملوكية على البشر»

الهوامش :

(1) تلفظ الجيم في اسم جلجامش وغيره من الاعلام البابلية جيما معطشة (أي ما يسمى بالكاف الفارسية).

(2) لانخرام بعض الكلمات من هذا السطر فقد ترجم ترجمات أخرى منها :
«هو الذي عرف جميع الأرضي . وهو الذي أخصه بمديحي» و «عمن رأى الأعماق».

(3) ومثل ذلك يقال بالنسبة إلى السطر الثاني حيث ترجم بصور أخرى منها :
«هو الذي عرف جميع الأرضي. وهو الذي أخصه بمديحي» و «عمن عرف البحار ساقص الخبر كاملاً».

(4) «أوروك» المدينة السومرية الشهيرة التي حافظت على اسمها في العهد العربي ـ الإسلامي بهيئة الوركاء [الورقاء]. وورد ذكرها في التوراة بصيغة «أرك» وفي المصادر اليونانية والرومانية بإسم «أورخوي». وتقع بقاياها الآن على نحو 220 كم جنوب شرقي بغداد، وعلى مسافة قصيرة (نحو. 20 كم) شرقي مجرى الفرات الحالي، بالقرب من خضر الدارجي ويمر فيها شط النيل المندرس الذي كان مجرى الفرات القديم، وهي مسورة على هيئة شبه دائرة، ومحيطها نحو 8,5 كم. وقد اشتهرت في العراق القديم، وأظهرت التنقيبات الأثرية الحديثة التي أجرتها البعثة الأثرية الألمانية (1913ـ1928، ومن عام 1953 إلى الآن) نتائج باهرة في معرفة اطوار حضارة وادي الرافدين. ومعبد «أي ـ أنا» الوارد في الملحمة أشهر معابد الوركاء المقدسة، وقد خصص لعبادة كبير الالهة السومري «آنو» والالهة «انانا» (عشتار).

(5) وفي بعض الترجمات «المجلوبة من بلاد قاصية» وقد استعملنا كلمة الاسكفة العربية المطابقة للكلمة البابلية في الملحمة بدلاً من العتبة على الرغم من أن الاسكفة تطلق بالعربية في الغالب على العتبة العليا من الباب.

(6) أمكن اكمال الأسطر، المخرومة في الأول في اللوح الأول من أسطر 20 إلى السطر 50 من لوح «نمرود» (الذي ذكرنا برقم 12 ص) (65) والموجود الآن في المتحف العراقي تحت الرقم 677575 انظر : Wiseman in IRAQ XXXVII (1975)

أما الحكماء السبعة فسيأتي ذكرهم في الملحق ....)، وكانوا بحسب مآثر العراق القديم اقدم حكام لسبع مدن جاؤا بأصول العمران والمدينة ويطلق على احدهم «متلكو» (Muntalku) ويفى المستشار أيضاً وكذلك مصطلح «أبكلو» (Apkallu) (الافكل).

(7) السار (ومنه في البابلية مسارو) (المشارة) مساحة سطحية يساوي 1/100 من الأيكو (الكان) ويعادل زهاء 300 م 2

(8)صندوق الألواح وفي البابلية «طيشينو» (T. upshennu) من النحاس ومفتاحه من البرونز، والمحتمل أن هذا الصندوق محفوظ فيه لوح أو الواح من حجر اللازورد، وكان ينقش بإخبار التأسيس أو تأسيس البناء ولا سيما المعابد، وقد جرت العادة ان تدفن هذه الألواح مع دمى طينية وتماثيل صغيرة في أسس البناء (أنظر):

IRAQ, XXXVII,1975)

(9) الاله «شمش»، الاله الشمش، وكان عند العراقيين القدماء اله العدل والحق وموحى الشرائع، وقد اشتهرت عبادته ومركزه واقيمت له عدة مراكز للعبادة أشهرها معبده في سبار و «لارسا» المسمى «أي - بيار» ويسمى بالسومرية «أوتو». والاله «ادد»، اله الجو والرعود والعواطف والأمطار.

(10) المرجح أن هذا يشير إلى استدعاء جلجامش لرعيته بضرب الطبول لاستخدامهم في أعمال السخرة. وفي ترجمة أخرى «أصحابه» بدلا من رعيته.

(11) وفي ترجمة أخرى لهذين البيتين: «أيكون جلجامش هذا راعى أوروك المسورة»: «أهذا هو راعينا القوي الجميل».

(12) وفي بعض الروايات «شكواهن»، ولعل هذا إشارة إلى شكوى النساء إلى الالهة من مظالم جلجامش أنظر حول ذلك البحث الآتي:

O. Ravn, The Passage in Gilgamesh and the Wives of Uruk in Bibliotheca Orientalis, X (1959), 12 ff.

(13) أي الاله «آنو»، كبير الالهة في العراق القديم، وكان مركز عبادته في مدينة الوركاء وعبدت معه الالهة «عشتار» (انانا السومرية)، ويسمى معبدهما «أي ـ أنا»، بيت الاله «آنو» أو «بيت السماء».

(14) أحد الالهات الخالقات.

(15) «ننورتا»، اله الحرب والصيد. وكلمة «نسل» في الترجمة غير أكيدة إذ أن الكلمة الأكدية «قسرو»(Qisru) الواردة لها عدة معان منها أنها تعني في الطب «جوهر» أو «خلاصة» (essense)

(16) نصابا الهة الحبوب والغلال.

(17) سموقان، اله الماشية.

(18)في بعض الترجمات «الجال» أي المرتفعات والتلال.

(19) في ترجمات أخرى «جند آنو» ، و «جند السماء» و (شهاب السماء)، و (جوهر آنو).

(20) الأوجار جمع وجرة الحفر التي تحفر لإيقاع حيوان الصيد فيها.

(21) ترجم هذا الشطر في الطبعة الثانية (1971) ص (57)، «الغي شمخة» حيث ارتأى أحد الباحثين:

(C. H. Gordon, Before; The Bible (1962)

ان شمخة اسم علم للبغي، ولكن هذا مشكوك فيه، ولذلك استعملت في الترجمة القديمة (الطبعة الأولى1962) «البغي المومس».

(22) ما بقى من السطر (9) بنصه البابلي : a.. Sar .... as- si- in- nu a - Iu - u

والسطر الذي يليه (10) ir (Sam?) - ha - a - ti .... su - na bi- nu- tu

ومصطلح (آسنو) يطلق بوجه عام على صنف من الفتيان كانوا ملحقين بالقصر وقد ترجم المصطلح في الطبعات السابقة بالكسراني «أسينو» ويعني العيد والأعياد.

(23) حرفياً: «وسعوا اذنه أو سمعه»، والاذن الطويلة والواسعة عند العراقيين القدماء كناية عن الفهم والحكمة.

(24)أم جلجامش، الالهة «ننسون» كما سيمر اسمها.

(25)أي الكلمة البابلية «قصرو» التي ترجمناها: «جوهر» (خلاصة) (essenc)

(26) قارن رؤيا يوسف في القرآن الكريم وتفسير رؤياه لكوكبي الشمس والقمر ساجدين له بابيه وأمه.

(27)من هنا يبدأ اللوح الثاني (النص البابلي القديم) الواضح النص، وان الحقل الأول منه وجزءا من الحقل الثاني تكرار لما سبق من رؤيا جلجامش وتفسيرها، فلم نثبته في الترجمة التي تبتدىء من العمود الثاني، وقد أدمجنا النصين ليستقيم المعنى. عن النص البابلي القديم للوح الثاني أنظر:

A. Hoidol, the Gilgqmesh Epic (1949) speiser, in ANET (3 rd. ed. 1969) 76.

(28)في النص الآشوري توصف الوركاء بأنها «ذات الأسوار» كما مر بنا.

(29)قرابة خمسة أسطر مخرومة من نهاية الحقل (العمود) الثالث وثمانية من بداية الحقل الرابع.

(30)بداية الحقل الرابع من اللوح الثاني للنص البابلي القديم.

(31) معنى النص من بعد هذا السطر غير واضح تماماً ولكن يبدو أن أهل أوروك أرسلوا هذا الرسول ليبلغ انكيدو شكواهم من جلجامش ويحرضوه على قتاله.

(32)معنى السطر غامض وقد ترجم مصطلح «بيت الرجال» «بيت العرائس» ايضا أو «بيت الزواج» و «بيت الإجتماع» انظر التعليقات المهمة للباحث Leo oppenheim المنشورة في مجلة Orientalia (1948)، ص48 وأنظر كلمة Emuti في المعجم الأشوري الجديد لجامعة شيكاغو.

(33) ان هذا إشارة واضحة إلى ما يضاهي بالضبط عادة الحاكم أو النبيل في العصور القديمة أو الوسطى في حق الدخول على العروس أول ليلة قبل زواجها مما عرف في تاريخ العصور الوسطى بحق الليلة الأولى وباللاتينية Jus primae noctus

(34) نحو ستة أسطور مخرومة، والمحتمل كثيراً أنها تتعلق باعتزام انكيدو على الذهاب إلى أوروك، كما تدل على ذلك الأسطر التالية.

(35) اشارة وتمهيداً للصراع الذي سينشب بين البطلين جلجامش و «انكيدو».

(36) «أشخارا» الهة من الهات الحب وشكل من أشكال عشتار، ويتضمن المشهد ابتداء

من هذا السطر الشعائر الدينية الخاصة بها يمكن أن يترجم بالزواج الالهي المقدس (Hieros Gamos) الذي كان يارس في العراق القديم رمزاً لاتصال الملك بالالهة وكانت كاهنة تقوم بدور الالهة للاتصال الجنسي بالملك ضماناً لاحلال الخصب والرخاء في البلاد. أنظر حول هذه الشعائر:

G . Dossin. "Un rituel du culte d'Ishtar" in Revue d'Assyriologie. XXXV, 1 ff. , IRAQ (1960) 5g. ff., Kramer, "The Dumuzi Inanna sacred Marriage Rite" XVII, Recontre Assyriologie Internationale (1970), 133 ff.

ولما كان جلجامش يتهيأ للقيام بهذه الشعائر صادف مجيء «أنكيدو» فتصدى له ومنعه من دخول المعبد، ولعل انكيدو أراد هو أن يقوم بذلك الدور فنشبت المعركة بين البطلين، وكانت بطريقة المصارعة، وقد درس بعض الباحثين طريقة المصارعة.

(Cyrus Gordon, in Iraq, XV, P. 4.)

والطريف ذكره بهذا الصدد أن هناك تقويماً بابلياً ورد فيه عن شهر آب بأنه «شهر جلجامش» الذي تقام فيه المصارعة بين الرياضيين طوال تسعة أيام»:

(E. Weidner, Handbuch der Bab. Astronomie. p. 86, II, 5 - 15)

ويبدو من سياق النص في الأسطر التالية أن الغلبة كانت لجلجامش، ولكن هذا أعجب ببطولة خصمه فأبقى عليه، وستصف الأسطر التالية كيف صارا صديقين حميمين. إن انكيدو من جانبه اعترف بغلبة خصمه الذي يتحلى بالملوكية المقدسة.

الفصل الثاني
اسفار جلجامش وأنكيدو ومغامراتهما

رأينا كيف انتهت المصارعة بين البطلين بأن انعقدت أواصر الصداقة ما بينهما وصار خلين حميمين، يلازم أحدهما الآخر، وشرعا بالقيام بسفر طويل في مغامرة إلى غابة «الارز» المسحورة التي يحرسها العفريت «خمبابا». وهو موضوع هذا الفصل الذي خصصنا له نصوص الالواح الثالث والرابع والخامس والسادس، وتكون بداية اللوح الثالث (الذي جاءنا بنسختين: آشورية وبابلية قديمة) [1] مخرومة ولذلك لا سبيل إلى معرفة الدوافع التي دفعت البطلين إلى ركوب تلك المغامرة، ولكن يبدو من القصص الأخرى المتعلقة بالموضوع ان الباعث كان مجرد تحقيق أعمال البطولة، وفي قصة سومرية من قصص جلجامش (انظر الملاحق) نجد هذا البطل يقصد غابة الأرز ليضع اسمه في سجل الآلهة والأبطال الخالدين. ولعل الذي أعجل جلجامش بالشروع في سفره البعيد انه أراد أن يرفه عن صديقه «أنكيدو»، الذي يبدو انه سئم حياة الحضارة وحن إلى حياته الأولى في البراري والبوادي. وبعد

الخرم في بداية اللوح الثالث وبعد ان يصبح النص واضحا نجد «أنكيدو» يحاور صديقه في عزمه على السفر إلى «غابة الارز» : ـ

اللوح الثالث :

(نسخة من العهد البابلي القديم) وهي محفوظة في جامعة ييل الامريكية (انظر:

Yale Oriental series, IV, 3 pls. 1 - 7

ANET, (3 rd ed.) 1969, P. 78.

علام أنت راغب في تحقيق هذا المطلب [2]

ولم عقدت العزم على الذهاب إلى الغابة ؟

. . . .

قبل أحدهما الآخر وعقدا أواصر الود ما بينهما

. . . .

أم جلجامش المتمرسة بكل شيء، رفعت يديها إلى «شمش»

العمود الثاني :

(نقص من نحو 25 سطرا)

. . . .

ملأ الأسى قلب «أنكيدو» واغرورقت عيناه بالدموع

وأطلق الحسرات والآهات
فواساه جلجامش وكلمه قائلا : ـ
ولماذا اغرورقت عيناك بالدموع ياصديقي ؟
ولم ملأ الأسى لبك وصرت تصعد الزفرات» .
فتح «أنكيدو» فاه وقال لجلجامش : ـ
«يا صديقي أشعر بالعبرات تخنقني
لقد تراخى ساعداي
واستحالت قوتي وهنا
فخاطب جلجامش «أنكيدو» وقال له : ـ

العمود الثالث :

«يسكن في الغابة «خمبابا» [3] الرهيب
فلنقتلنه كلانا أنا وأنت
لكي نزيل الشر من البلاد
. . . .
فتح «أنكيدو» فاه وقال لجلجامش : ـ
«يا صديقي لقد علمت حينما كنت أجول
في التلال والبراري الواسعة مع حيوان البر
أن الغابة تمتد مسافة عشرة آلاف ساعة في كل جهة [4]
فمن يجروء على الايغال في داخلها
و «خمبابا» زئيره عبابُ الطوفان

تنبعث من فمه النار، ونَفَسُه الموتُ الزؤام
فعلام ترغب في القيام بهذا الأمر
«خمبابا» لاقبل لأحد بهجومه مثل ماكنة الحصار.
ففتح جلجامش فاه وقال لـ «أنكيدو» : ـ
«عزمت لارتقين جبال الارز.
وأدخل الغابة، مسكن «خمبابا»
وسآخذ معي فأسا لاستعين بها في القتال
أما أنت فأمكث هنا، وسأذهب أنا وحدي
. . . . (نحو 8 أسطر مخرومة)
ففتح «أنكيدو فاه وقال لجلجامش: ـ
«كيف سندخل غابة الارز يا جلجامش،
وان حارسها مقاتل، وهو قوي لاينام»
. . . . (ثلاثة أسطر مشوهة)
ولحفظ غابة الارز عينه «أنليل»،
وجعل هيئته تبعث الرعب في الناس.
خمبابا زئيره مثل عباب الطوفان
فتح جلجامش فاه وقال لانكيدو: ـ
«يا صديقي، من ذا الذي يستطيع أن يرقى إلى السماء
فالآلهة وحدهم هم الذين يعيشون إلى الأبد مع «شمش» (5)
أما البشر فأيامهم معدودات (6)
وكل ما عملوا عبث يذهب مع الريح (6)

لقد صرت تخشى الموت ونحن ما زلنا هنا
فماذا دهى قوة بطولتك
دعني اذن أتقدم قبلك وليناديني صوتك:
«تقدم! ولا تخف!»
وإذا ما هلكت فسأخلد لي اسما، (وسيقولون عني)
من بعد أن تولد الأجيال الآتية فيما بعد
«لقد هلك جلجامش في نزاله مع خمبابا المارد»
. . . . . (نحو ستة أسطر مشوهة، ويبدو ان الكلام الذي يلي لجلجامش):
«بقولك هذا أحزنت قلبي
على أنني سأمد يدي وأقطع أشجار الارز
ولا كوّن لي اسما خالدا
وسأصدر ياصديقي أوامري إلى صانعي السلاح
وسيصنعون السلاح بحضورنا»
صدرت الأوامر إلى صانعي السلاح فاجتمعوا وتشاوروا
صنعوا أسلحة عظيمة: سبكوا فؤوسا تزن كل منها ثلاث وزنات (7)
وسبكوا سيوفا كبيرة يزنُ كل منها وزنتين وقبضاتها ثلاثون «مَنّاً» (7)
وسيوفا (أغمادها) من ذهب يزن الواحد منها ثلاثين مَنّاً

وتسلح جلجامش و «أنكيدو» بأسلحة زنتها عشر وزنات .
تجمع الناس في شوارع «أوروك» إزاء الباب ذى المزاليج السبعة
وشاهد الناس جلجامش في دروب «أوروك»، ذات الأسواق
وجلس شيبُ اوروك قدام جلجامش فخاطبهم
وقال لهم هكذا :
«اسمعوا يا شيب (شيوخ) «اوروك» ، ذات الأسواق :
أريد، أنا جلجامش ، أن أرى من يتحدثون عنه
ذلك الذي ملأ اسمه البلدان بالرعب
عزمت على أن أغلبه في غابة الارز
وسأسمع البلاد بأنباء ابن «اوروك»
فتقول عني : ما أشجع سليل أوروك وما أقواه !
سأمد يدي وأقص الأرز فأسجل لنفسي اسما خالدا
فأجاب شيب «اوروك» ، ذات الأسواق وقالوا لجلجامش: ـ
ياجلجامش أنت ما زلت شاباً وقد حملك قلبك مدى بعيدا
وأنت لا تعرف عاقبة ما أنت مقدم عليه
إننا سمعنا عن «خمبابا» أن بنيته غريبة مخيفة
فمن ذا الذي يصمد إزاء أسلحته ؟
والغابة تمتد عشرة آلاف «ساعة مضاعفة» في كل الجهات
فمن ذا الذي يستطيع أن يوغل في داخلها

وأما «خمبابا» فزئيره عباب الطوفان
وتنبعث من فيه شواظ النيران ونَفَسُه الموت
فعلام رغبت في الإقدام على هذا الأمر؟
لا قبل لأحد أن يصمد إزاء «خمبابا».
ولما أن سمع جلجامش هذا الكلام من ناصحيه تلفت حوله
وتطلع إلى صاحبه وضحك (قائلا):
كيف سأجيبهم يا صاحبي؟
أأجيبهم بأنني أخاف من خمبابا؟
وسأظل ملازما بيتي طوال أيام حياتي الباقية؟
... (يكون النص في الأسطر القليلة التالية مشوها، ويبدو من الكلمات القليلة الباقية أنها تتضمن كلام جلجامش إلى صديقه أنكيدو. وبعد هذا النقص نجد شيوخ اوروك يخاطبون جلجامش داعين له بالتوفيق): ـ
ثم خاطب شيب (شيوخ) أوروك جلجامش وقالوا له: ـ
عسى أن ينصرك إلهك الحامي [8]
وعساه أن يرجعك سالما في طريق عودتك إلى بلدك
ويعيدك سالما إلى ميناء «أوروك»
ثم سجد جلجامش للاله «شمش» ودعا قائلاً:
«إنني ذاهب يا شمش واليك أرفع يدي بالدعاء
أرجعني سالما إلى ميناء «أوروك»
عسى أن تنال روحي الخير والبركة

وانشر علي ظلك واشملني بحمايتك
ثم دعا جلجامش صديقه واستطلع فاله
. . . . . (انخرام نحو 6 أسطر من النص ، ويبدو من أول سطر من النص الباقي أن طالعه لم يسعفه) .

اللوح السادس : ـ
انهمرت الدموع على وجه جلجامش
. . . . (خمسة أسطر مخرومة)
جاؤا اليه بأسلحته وقلدوه السيوف العظيمة
زودوه بالقوس والكنانة ، وأخذ معه الفؤوس
تنكب قوس «أنشان» [9] وتقلد سيفه
وجاء الناس إلى جلجامش وتمنّوا له قرب العودة
وباركه الشيب (الشيوخ) وأسدوا له النصح في سفره
وقالوا له : ـ
«أيها الملك كنا نطيعك في مجلس الشورى [10]
فاستمع الينا وخذ بمشورتنا أيها الملك
لاتتكل على قوتك وحدها يا جلجامش
تبصر في أمرك واحم نفسك
دعه يتقدم في الطريق وأبق على نفسك
دع «أنكيدو» يسير أمامك ، فإنه يعرف الطريق وقد سلكه
إنه يعرف الطريق إلى غابة الأرز، دعه يتوغل في مسالك خمبابا

وإن من يسير في الطليعة يحمي صاحبه
ليأخذ الحذر ويتبصر في حماية نفسه
وعسى «شمش» أن يجعلك تنال رغبتك
وعساه يُري عينيك ما قاله فمك
وعساه أن يفتح لك السبيل المسدود
ويفتح الطريق لمسراك ، ويمهد مسالك الجبال لقدميك
عسى الليل أن يأتيك بما يسرك ويفرحك
وعسى أن يقف «لوكَال بندا» [11] بجانبك
ويجعلك تحقق رغبتك
ومثل الطفل عساك أن تحقق أمنيتك
وبعد قتل «خمبابا» الذي تسعى لتحقيقه اغسل قدميك
وعند استراحتك مساء احفر بئرا
ولتكن قربتك ملأى بالماء النقي على الدوام
قرب الماء البارد إلى «شمش»
وردِّد ذكرَ «لوكَال بندا» دائماً

العمود الثالث :

النص الاشوري :

ففتح جلجامش فاه وقال لأنكيدو:
«هلم بنا يا صاحبي إلى (معبد) «اِي كَال ـ ماخ»
إلى حضرة «ننسون» ، الملكة العظيمة

فإن «ننسون» ، الحكيمة البصيرة بكل معرفة
ستمحضنا النصح وتسدد خطانا» (تثبت أقدامنا)
فسار جلجامش وأنكيدو وقصدا «إِى كَال ـ ماخ»
مثل جلجامش بحضرة «ننسون» ، الملكة العظيمة
دخل جلجامش واقترب منها وقال :
«يا ننسون لقد اعتزمت أمرا جسيما
اعتزمت سفرا بعيدا ، إلى موطن «خمبابا»
انني مقدم على قتال لا أعرف عاقبته
ومزمع على السير في طريق لا أعرف مسالكه
فحتى اليوم الذي أذهب فيه وأعود
وإلى أن أبلغ غاية الارز العظيمة
وأذبح خمبابا المارد
وأمحو من على الأرض كل شر يمقته «شمش»
تشفعي لي عند «شمش» ، (وصلي له من أجلي)»
واذ ذاك دخلت «ننسون» حجرتها
وارتدت حلة تليق بجسمها
وازينت بحلى تليق بصدرها
ووضعت على رأسها تاجها
ثم ارتقت إلى السطح وتقدمت إلى «شمش»
وأحرقت البخور
قدمت قربان البخور ورفعت يديها إلى «شمش» وقالت : ـ

«علام أعطيت ولدي جلجامش قلباً مضطرباً لا يستقر؟
والآن حثثته فاعتزم سفرا بعيدا ، إلى موطن «خمبابا»
سيلاقي نزالا لا يعرف عاقبته
وسيسير في طريق لا يعرف مسالكها
فحتى اليوم الذي يذهب فيه ويعود
وحتى يبلغ غابة الارز.
ويقتل خمبابا المارد
ويمحو من على الأرض كل شر تمقته
عسى عروسك «آي» [12] أن تذكرك به
ولتوكل به حراس الليل والكواكب وأباك «سين»
حينما تحتجب أنت في المساء [13]

العمود الرابع :

. . . . (نقص كبير في اللوح)
ثم أطفأت البخور وعوذت وأحضرت الكاهنات
والبغايا المقدسات والمتبتلات
ودعت اليها «أنكيدو» وأوصته قائلة :
« يا أنكيدو» القوي ، الذي ليس من رحمي ،
قد اتخذتك منذ الآن ولدا
ثم قلدت عنقه بقلادة جواهر لتكون موثقا منه
وقالت له : ـ

« ها انني أئتمنك على ولدي فأرجعه إلي سالماً
. . . . (نقص كبير في النص حيث ينخرم معظم الحقل الرابع والحقل الذي يليه بأجمعه، ويستمر النقص في اللوح الرابع «النص الآشوري»)، والنصوص المخرومة بلا شك تتضمن وصف سفر البطلين إلى غابة الأرز ولم يبق من أخبار ذلك سوى كسر ذات نصوص مقطعة وبالنظر إلى كثرة النواقص في اللوحين الرابع والخامس رأينا أن نترجم ما بقي منهما ترجمة ملخصة وبشيء من التصرف : ـ

بعد سفر عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بقليل من الزاد
وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليمضيا الليل
ثم انطلقا سائرين (خمسين) ساعة مضاعفة أثناء النهار
وقطعا مدى سفر شهر ونصف الشهر في ثلاثة أيام [14]
وحفرا بئراً قربى إلى الاله «شمش»
وبعد ان قطعا تلك المسافة الطويلة شارفا مدخل الغابة
وكان مدخلاً عجيبا بهرهما مشهده. إنهما لم يصلا بعد إلى الغابة
ولكن أشجار الأرز في المدخل كان منظرها عجيباً
فكان علوها اثنتين وسبعين ذراعاً، وعرض المدخل أربعاً وعشرين ذراعاً
ووجدا عنده عفريتا عينه «خمبابا» ليحرسه
فشجع «أنكيدو» صديقه جلجامش أن يتقدم

ليأسر الحارس قبل أن يأخذ سلاحه
فتشجع جلجامش، وأسرع الصديقان وهجما عليه وقتلاه
ولكن لما أراد «أنكيدو» الدخول إلى الغابة شلت قواه
بتأثير الباب المسحور، فنادى جلجامش وحذره من الدخول
ولكن جلجامش شجع صديقه قائلاً: ـ
أبعد أن عانينا هذه الصعاب
وقطعنا هذا السفر البعيد نعود من حيث أتينا خائبين؟
أنت الذي مارست النزال والصعاب، تشجع وكن بجانبي،
فتعود اليك شجاعتك ويفارقك الرعب والشلل
أيليق بصديقي أن يحجم ويتخلف؟
كلا ياصديقي علينا أن نتقدم ونوغل في قلب الغابة
وسيحمي أحدنا الاخر، وإذا ما سقطنا في النزال
فسنخلف من بعدنا اسما خالدا.

استطاع البطلان أن يجتازا مدخل الغابة ووصلا إلى قلبها فأبصرا الجبال الخضر، وذهلا من مشهد غابة الارز وسحر جمالها ثم تتبعا المسالك التي يسير فيها عفريت الغابة «خمبابا» وشاهدا من بين ما شاهدا جبل أرز خاص بالآلهة، حيث أقيم عرش الالهة «ارنيني» (عشتار) وحيث تتعالى أشجار الأرز أمام ذلك الجبل بظلالها الوارفة التي تبعث

البهجة والسرور وعند غروب الشمس حفر جلجامش بئرا وقرب منها .

وارتقى الجبل وسكب الماء المقدس وقرب الطعام
ودعا الجبل أن يريه حلما يبشره بالفرح
ثم اضطجع الصديقان للراحة وسرعان ما أدركهما النوم
فرأى جلجامش رؤيا
ثم استيقظ فقص رؤياه على صديقه وقال : ـ
«ياصديقي من ذا الذي ايقظني إن لم تكن أنت؟
يا صديقي رأيت رؤيا ، رأيت أننا نقف في هوة جبل
ثم سقط الجبل فجأة ، وكنا أنا وأنت ، كأننا ذباب صغار
ورأيت في حلمي الثاني الجبل وهو يسقط
فصدمني وامسك بقدمي . ثم انبثق نور وهاج طغى لمعانه وسناه
على هذه الارض فانتشلني من تحت الجبل وسقاني الماء فسر قلبي» .
فأجاب «أنكيدو» صديقه جلجامش وفسر رؤياه قائلاً : ـ
«إن رؤياك ، ياصاحبي ، ذات مغزي حسن وبشرى سارة
إن الجبل الذي سقط عليك هو «خمبابا» ، ونحن سنتغلب عليه ونقتله» .
ثم تسلقا الجبال مرة اخرى ورأى جلجامش رؤيا اخرى

فسرها بأنها بشائر على نجاحهما في لقائهما مع العفريت «خمبابا»

ودنت ساعة اللقاء الحاسمة لما بدأ جلجامش يقطع أشجار الأرز بفأسه، إذ سمع «خمبابا» الصوت

فغضب وهاج وزمجر صائحاً: «من الداخل المتطفل

الذي كدر صفو الغابة وأشجارها الباسقة في جبلي ؟

ومن ذا الذي قطع أشجار الأرز ؟»

وتهيأ خمبابا للهجوم على الصديقين اللذين استحوذ عليهما الرعب

وندما على هذه المغامرة ودخول غابة الارز

وأخذا يتضرعان إلى الاله (شمش) ليعينهما على الخلاص من الهلاك،

فاستجاب لهما الاله، وانقلبت الاية،

حيث أهاج «شمش» الرياح العاتية وساقها على «خمبابا»

فأمسكت به وشلت حركته، فاستسلم لهما

وأخذ يتضرع لهما أن يبقيا عليه ويأسراه فيكون خادماً لجلجامش

ويجعل الغابة المسحورة وأشجارها ملك يديه.

فرق قلب جلجامش وكاد أن يبقى عليه، ولكن صديقه «أنكيدو» حرضه على قتله، فقتلاه وقطعا رأسه.

وتنتهي مغامرة غابة الأرز بنجاح البطلين وعودتهما إلى «أوروك» .

عودة البطلين إلى «اوروك» واحتفالهما بالنصر

اللوح السادس :

غسل (جلجامش) شعره الطويل وصقل سلاحه
وأرسل جدائل شعره على كتفيه
وخلع لباسه الوسخ واكتسى حللا نظيفة
ارتدى حلة مزركشة وربطها بزنار
ولما أن لبس جلجامش تاجه
رفعت «عشتار» الجليلة عينيها
ورمقت جمال جلجامش (فنادته) : ـ
«تعال يا جلجامش وكن حبيبي الذي اخترت [15]
«امنحني ثمرتك (بذرتك) أتمتع بها
ستكون أنت زوجي وأكون زوجك
سأعدُ لك مركبة من حجر اللازورد والذهب
عجلاتها من الذهب وقرونها من البرونز [16]
وستربط لجرها «شياطين الصاعقة» بدلاً من البغال الضخمة
وفي بيتنا ستجد شذا الأرز يعبق فيه إذا ما دخلته؟

إذا دخلت بيتنا

فستقبل قدميك العتبة والدكة

سينحني خضوعا لك الملوك والحكام والامراء

وسيقدمون لك الاتاوة من نتاج الجبل والسهل

وستلد عنزاتك «ثلاثاً ثلاثاً» وتلد نعاجك «التوائم»

وحميرك ستفوق البغال في الحمل

وسيكون لخيول مركباتك الصيت المعلى في السبق

وثورك لن يكون له مثيل وهو في النير»

ففتح جلجامش فاه وأجاب عشتار الجليلة :ـ

«ماذا علي أن أعطيك لو أخذتك (زوجة) ؟

هل سأعطيك السمن والكساء لجسدك ؟

هل سأقدم لك الخبز والطعام

وأي أكل وشراب سأعطيك ما يليق بسمة الألوهية والملوكية؟

. . . . . . (ثلاثة أسطر مشوهة لا يمكن ترجمتها)

«أي خير سأناله لو أخذتك (زوجة) ؟

أنت! ما أنت إلاّ الموقد الذي تخمد ناره في البرد

أنت كالباب الخلفي لا يصد ريحاً ولا عاصفة

أنت قصر يتحطم في داخله الأبطال

أنت فيل يمزق رحله [17]

أنت قير يلوث من يحمله

أنت قربة تبلل حاملها
أنت حجر مرمر ينهار جداره؟
أنت حجر «يَشب» يستقدم العدو ويغريه؟
وأنت نعل يقرص قدم منتعله
أي من عشاقك من أحببته على الدوام ؟
وأي من رعاتك من أرضاك دائما ؟
تعالي أقص عليك (مآسي) عشاقك :
من أجل تموز حبيب (صباك)
قضيت بالبكاء والنواح عليه سنة بعد سنة (18)
لقد رُمتِ (طير) الشقراق المرقش (19)
ولكنك ضربته وكسرت جناحيه
وهاهو الآن حاط في البساتين يصرخ ناديا :
«جناحي ! جناحي» (20)
ورمت بحبك الاسد الكامل القوة
ولكنك حفرت (للايقاع به) سبعَ وسبعَ وجرَات (21)
ورمت الحصان المجلى في البراز والسباق
ولكنك سلطت عليه السوط والمهماز والسير
وحكمت عليه بالعدو شوط سبع ساعات مضاعفة
وقضيت عليه أن لا يرد الماء إلاّ بعد أن يعكره (22)
وقضيت على أمه «سليلي» أن تواصل البكاء والندب عليه
وأحببت راعي القطيع

الذي لم ينقطع يقدم اليك أكداس الخبز
وينحر الجداء ويطبخها لك كل يوم
ولكنك ضربته وحولته ذئباً
وصار يطارده الان إلفه من حماة القطيع
وكلابه تعض ساقيه
وأحببت (إِيشولنُّو)، بستاني أبيك
الذي حمل اليك سلال التمر بلا انقطاع
وجعل مائدتك عامرة بالوفير من الزاد كل يوم
ولكنك رفعت اليه عينيك فراودته وقلت له:
تعال يا حبيبي «إِيشولنو»، ودعني أتمتع برجولتك
مدَّ يدك والمس مفاتن جسمي»
فقال لك «إِيشولنو»:
ماذا ترومين مني؟
ألم تخبز أمي فآكل من خبزها
حتى آكل خبز الخنا والعار؟
وهل يدرأ كوخ القصب (الحلفاء) الزمهرير [23]
وأنت لما سمعت قوله هذا
ضربته بعصاك ومسخته ضفدعا [24]
ووضعته وسط البساتين
فلا يستطيع أن يعلو مرتفعا ولا يزل منحدراً
فإذا أحببتني فستجعلين مصيري مثل «هؤلاء»

ولما سمعت عشتار هذا
استشاطت غيظا وعرجت (علت) إلى السماء
صعدت عشتار ومثلت أمام أبيها «آنو»
وفي حضرة أمها «آنتُم»، جرت دموعها وقال: ـ
يا أبي إن جلجامش سبني وأهانني (عزرني)
لقد عدد جلجامش مثالبي وعاري وفحشائي
ففتح «آنو» فاه وقال لعشتار الجليلة: ـ
ألم تكوني السبب؟ ألم تتحرشي بجلجامش الملك فجنيت الثمرة
فعدد جلجامش فحشاءك وعارك ومثالبك»
ففتحت عشتار فاها وقالت لآنو، أبيها: ـ
«اخلق لي يا أبت ثوراً سماوياً
ليغلب جلجامش ويهلكه
وإذا لم تعطني الثور السماوي
فلأحطمن أبواب العالم الأسفل
وأجعل أعاليها أسافلها
وأدع الموتى يقومون فيأكلون كالأحياء [25]
ويصبح الأموات أكثر عدداً من الأحياء
ففتح «آنو» فاه وأجاب عشتار الجليلة وقال: ـ
لو فعلت ما تريدينه مني وزودتك بالثور السماوي
لحلت في أرض «أوروك» سبع سنين عجاف [26]

فهل جمعت غلالا لهذه السنين العجاف
وهل هيأت العلف للماشية ؟»
فتحت «عشتار» فاها وأجابت أباها «آنو» قائلة : ـ
لقد جمعت «بيادر» الحبوب للناس
وخزنت العلف للماشية
فلو حلت سبع سنين عجاف
فقد خزنت غلالا وعلفا
تكفي الناس والحيوان
ولما أن سمع كلامها سلم عشتار
سلسلة مقود الثور السماوي
فأخذته وقادته إلى الأرض ،
أنزلته في أرض «أوروك»
. . . . (ينخرم من النص في هذا الموضوع نحو 8 أسطر ولكن يتضح من النص الذي يلي ومن سياق القصة أن آنو استجاب لطلب عشتار فخلق لها الثور السماوي) : ـ
هبط الثور السماوي وأخذ ينشر الرعب والفزع
وقضى في أول خوار له على مائة رجل ثم مائتين وثلثمائة
وقتل في خواره الثاني مائة ومائتين وثلثمائة
وفي خواره الثالث هجم على «أنكيدو»
ولكن «أنكيدو» صد هجومه
قفز «أنكيدو» وضبط (مسك) الثور السماوي من قرنيه

فرشق الثور السماوي وجهه بزبده ورغائه
وقذفه بالروث بذيله
ففتح «أنكيدو» فاه، وقال لجلجامش :
لقد تبجحنا يا صاحبي . . .
فكيف سنجيب . . .
. . . . . (نقص مقداره نحو 10 أسطر مضمونها يدور على المصارعة التي نشبت بين البطلين وبين الثور السماوي كما يدل على ذلك النص الذي يلي) : ـ
ينبغي أن نقسم العمل فيما بيننا
أنا أمسك بالثور من ذيله
وينبغي أن يكون طعن السيف ما بين السنام والقرنين
فطارد «أنكيدو» ثور السماء ليمسك به
وأمسك به من ذيله وضبطه بكلتا يديه
وجلجامش، مثل قصاب ماهر،
طعن الثور السماوي طعنة قاتلة
وغرس حسامه ما بين السنام والقرنين
وبعد أن أجهزا على الثور السماوي اقتلعا قلبه
وقرباه إلى الاله «شمش»، وسجدا له
وقعد الاخوان كلاهما واستراحا
(أما) عشتار فأنها أعتلت فوق أسوار «أوروك» المحصنة
قفزت فوق الشرفات وقذفت بلعناتها (صارخة) : ـ

«ألويل لجلجامش» الذي دنسني وأهانني لأنه قتل ثور السماء

ولما أن سمع «أنكيدو» هذا القول من عشتار

قطع فخذ الثور السماوي (الأيمن) وقذفه بوجهها وقال: ـ

«لو أمسكت بك لفعلت بك مثل ما فعلت به

ولربطت أحشاءه بجنبيك»

فجمعت عشتار المترهبات وبغايا (المعبد) والمومسات

وأقامت المناحة والبكاء على فخذ الثور السماوي الأيمن.

أما جلجامش فأنه دعا الصناع، وصانعي السلاح كلهم

فانبهر الصناع من كبر قرنيه وثخنهما

فان كلا منهما من حجر اللازورد بزنة ثلاثين منا [27]

وثخن طلاء كل منهما اصبعان

ومقدار ستة «كرات» من السمن سعة كليهما [28]

فقرب بمقدار ذلك زيتا للمسح إلى آلهه (الحامي) «لو كَال بندا»

أخذهما وعلقهما في حجرة نومه الزاهية

ثم غسلا أيديهما في نهر الفرات

وعانق كل منهما الاخر وهما سائران في الطريق

سارا راكبين في درب السوق في «أوروك»

فاجتمع أهل «أوروك» ليشاهدوهما

وصار جلجامش يخاطب (مغنيات) [29] أوروك ويردد:

«من الأزهى بين الأبطال؟
ومن الأمجد بين الرجال؟»
فيجبنه: «جلجامش الازهى بين الأبطال؟
جلجامش الأزهى بين الرجال»
. . . . . (انخرام في النص)
تلك التي قذفناها بفخذ الثور السماوي ونحن غضبى
عشتار . . لم تجد في الدرب من يواسيها ويفرح قلبها
. . . .
(نحو 3 أسطر مخرومة من النص)

الهوامش:

(1) النص البابلي القديم منشور في:

Yale Oriental Series, IV, 3 pls. 1 - 7.

والنص الآشوري الناقص منشور في:

C. Thompson, Op. Ci

(2) لم يبق من العمود الأول من هذا اللوح سوى أسطر قليلة:

(3) العفريت الذي يحرس غابة الارز، وقد ورد أسمه في نصوص الالواح البابلية القديمة بهيئة «خواوا».

(4) المصطلح البابلي «بيرو» يعني ساعة مضاعفة لقياس الزمن والمسافات.

(5) وفي ترجمة اخرى محتملة: «يعيشون تحت الشمس إلى الابد».

(6) قارن عبارة سفر الجامعة (التوراة) الاصحاح الأول : 2ـ4

(7) الوزنة البابلية تساوي ستين منا بابليا، «والمن» نحو نصف كيلو غرام أو رطل انجليزي.

(8) وفي بعض الروايات السومرية الخاصة بسفر جلجامش إلى أرض الخلود نجد جلجامش يتقدم إلى الاله شمش وهو ممسك بجدي أبيض وبآخر أسمر وقد وضعهما على صدره ليقدمهما إلى الاله شمش، كما أمسك بيده الاخرى بصولجانه الفضي داعياً «شمش» أن يعينه في رحلته ويرجعه سالما. والمشهد الأول كثيراً ما يمثل في المنحوتات الآشورية.

(9) «أنشان»، اقليم في بلاد عيلام التي هي عربستان أو الأحواز الآن.

(10) تشير المصادر الكثيرة من حضارة وادي الرافدين إلى أن نوعا من نظام، حكم الشورى أو نظام الحكم الديمقراطي كان يمارسه العراقيون الاقدمون في فجر حياتهم السياسية وإذا كان ليس في الوسع شرح هذا الموضوع التاريخي المهم فتحيل القارىء إلى ما سبق أن نشرناه في مجلة «سومر» (1951)، الص 23 فما بعد ونحيله ايضا إلى البحثين المهمين:

(1) Jacobsen, in the Journal of Near Eastern Studies, vol. II, no. 3 (1943), 195 ff.

(2) S. N. Kramer , From the Tablets of Sumer (1956), chap. 4

(11) لوكال بَند (بلفظ الكاف كافا فارسية)، اله جلجامش الحامي وزوج الالهة ننسون او (ننسونا)، ام جلجامش، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

(12) الالهة «آي» أو «آية»، زوج شمش وهي تمثل الفجر مثل الالهة اليونانية «أيوس» (Eos) والرومانية «أرورا» (Aurora).

(13) حراس الليل هم الالهة الموكلون بحراسة الليل، والاله (سين) الاله القمر، الذي اعتقدوا فيه أنه أبو الاله «شمش»، حيث يتولد النهار من الليل، وعبادة الاله القمر، مثل الاله الشمس، انتشرت في أماكن كثيرة من المشرق الأدنى، ومن ذلك جنوبي الجزيرة العربية فيما قبل الإسلام وعرف بأسماء مختلفة أشهرها: 1ـ المقا (في سبأ) 2ـ سين. (حضر موت) 3ـ ودّ (معين) 4ـ عَم (قتبان).

(14) إن المسافة التي تقطع في الساعة البابلية المضاعفة تبلغ نحو فرسخين، وبالضبط 8 و 10 كم. وتكون مسافة ثلاث مرات خمسين ساعة مضاعفة نحو 1600 كم، وهي المسافة التقريبية بين بلاد بابل ولبنان (منطقة الارز). حول ذلك أنظر:

Schott . Das Gilgamesh Epos (1958). p. 43.

(15) وقد يترجم بهيئات أخرى مثل «زوجي» أو «حبيبي» الخ.

(16) الكلمة البابلية في النص «الميشو» (elmeshu) ترجمها الأستاذ «سبايزر» (ANET . 1969 3, p. 83) بكلمة (brass) أي الشبه أو الشبهان أو النحاس الأصفر الذي هو مزيج من النحاس والزنك أنظر:

(C. Thompson, An Assyrian Dictionary of Chemistry and Geology (1936) 76

أما ترجمتها بالبرونز فهي ليست بعيدة عن الحقيقة، والبرونز على ماهو معروف مزيج من النحاس والقصدير.

(17) الترجمة غير مؤكدة لانخرام عدة كلمات وقد ترجم البعض هذا السطر بعبارة: «عمامة غطاؤها». .

(18) يشير هذا إلى العادة التي عمت في تلك الأزمان من الندب والبكاء على تموز، إله الخضار والربيع، حيث اعتقدوا أنه كان ينزل إلى العالم الأسفل ويظل رهينة في ذلك العالم طوال نصف عام ثم يقوم إلى الحياة في النصف الثاني مقابل بقاء أخته المسماة كشتن ـ أنّا رهينة في العالم الأسفل بدلاً عنه. قارن هذا بما ورد في التوراة سفر حزقيال (8 ـ 15) : «فجاء بي إلى مدخل بيت الرب الذي من جهة الشمال، وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز». وظلت العادة شائعة بين الأقوام المتأخرة. راجع مثلاً رواية ابن النديم في فهرسته عن ممارسة النواح والبكاء على تموز «تاوز» عند أهل حران الذين يسميهم صابئة.

(19) وقد يترجم «طير الراعي»، وفي البابلية «ألالو» (allalu).

(20) ترجم بعضهم هذا الطائر بطير الراعي كما ذكرنا. ويلاحظ أن الشقراق الذي يكثر في العراق يخرج في اثناء موسم اللقاح، وهو طائر، يطلق صوتاً يشبه اللفظ البابلي «كپي» (Kappi) أي «جناحي». وأن صوته هذا وتقلبه في اثناء الطيران هو الذي أوحى

على ما يرجح هذا الخيال الطريف لأدباء العراق القديم ومنه نشأت «أسطورة الجناح الكسير».

(21) لاحظ التعبير عن رقم 14 سبعة وسبعة وهو تعبير شعائري (طقوسي) ويرد الاستعمال نفسه في اللوح الحادي عشر (ص 102) ومقارنة ذلك بالتعبير اليوناني «ديس هبتا» «أي سبعتان» والوجرة الحفرة لإصطياد الحيوانات.

(22) الملاحظ أن الحصان لما يرد الماء يضع قائمتيه الاماميتين في الماء ويحفر بهما الأرض فيعكر الماء.

(23) يبدو أن هذه العبارة من الأمثال البابلية السائرة. وقد ترجم كوخ الحلفاء. والحلفاء في البابلية نفس الكلمة في العربية.

(24) في البابلية «دلآلو» (dallalu) وأقرب ترجمة (ضفدع) (أنظر معجم شيكاغو الاشوري)، وقد اقترح بعضهم تعيينه بالخلد أو العنكبوت.

(25) فحوى هذا التهديد واضح إذ أنه بقيامه الموتى من العالم الأسفل ومشاركتهم الأحياء في الطعام تحل المجاعة في الأرض ويحرم حتى الآلهة من الطعام.

(26) كان الأولى أن يحل القحط والمجاعة لو فعلت عشتار ما هددت به، ولكن يبدو، كما رأى البعض، ان ثور السماء يرمز إلى انحباس المياه وحلول الجفاف.

(27) زنة (المنا) البابلي، كما ذكرنا، نحو نصف كيلو غرام.

(28) الكر البابلي قياس للسعة أو الحجوم يساوي نحو 300 لتر.

(28) صيغة لاسم فاعل لفعل بابلي غير واضح المعنى. أما هذه الصيغة فهي جمع (mutabbilate) ولا يبعد أن يكون اسم فاعل مضعف من الفعل المضاهي للعربية «طبل» (يطبل).

الفصل الثالث
موت أنكيدو
وحزن جلجامش عليه وسعيه وراء الخلود

أقام جلجامش حفل فرح في قصره
نام البطلان واستراحا في فراشهما مساء
وعندما نام «أنكيدو» رأى حلماً
فنهض أنكيدو وقص رؤياه على صاحبه وقال: ـ
«يا صاحبي لِمَ اجتمع الآلهة العظام في مجلس الشورى [1]

اللوح السابع:
ثم طلع النهار فقص أنكيدو رؤياه على جلجامش قائلاً [2]:
«ياصاحبي أي حلم عجيب رأيت الليلة الماضية!
(رأيت) أن «آنو» و «أنليل» و «إيا» وشمش السماوي
قد اجتمعوا يتشاورون وقال آنو لأنليل:
«لأنهما قتلا الثور السماوي وقتلا خمبابا
فينبغي أن يموت ذلك الذي أقتطع أشجار الأرز من الجبال
ولكن أنليل أجابه قائلاً: «إن أنكيدو هو الذي

سيموت، ولكن جلجامش لن يموت»
ثم انبرى «شمش» السماوي وأجاب أنليل البطل وقال:
ألم يقتلا ثور السماء و «خمبابا» بأمر مني؟
فعلام يقع الموت على أنكيدو وهو بريء» ؟
فالتفت أنليل إلى «شمش» السماوي وأجابه حانقا:
«ألأنك تطلع عليهم كل يوم حتى صرت كأنك واحد منهم»[3]
رقد «أنكيدو» مريضاً أمام جلجامش
وأخذت الدموع تنهمر من عينيه
فقال له جلجامش: يا أخي العزيز علام يبرؤنني من دونك؟
وأردف يقول: هل سيتحتم علي أن أراقب أرواح الموتى
وأجلس عند باب الأرواح؟
وهل سيكتب ألا أرى صاحبي العزيز بعيني؟»

. . . .

(هنا ينتهي ما بقى من اللوح ولكن يستبان من سياق القصة ومما سيلي ان (أنكيدو) وقد رقد على فراش الموت وأدرك قرب نهايته أخذت تتوارد عليه الخواطر والذكريات، فود لو أنه ما جاء إلى حياة الحضارة بل ظل في باديته سعيداً خالي البال يرعى مع الظباء، والحيوان. وأخذ يكيل اللعنات على من زين

له المجيء إلى حياة المدنية. فصار يلعن الباب الذي صنعه ودخل منه، والصياد الذي جاء إليه بالبغي، والبغي التي زينت له المجيء إلى أوروك. ويروى لنا هذا المشهد المؤثر النص الاشوري بعد نقص في أوله، كما في الترجمة الآتية) : ـ

رفع أنكيدو عينيه وخاطب الباب كما لو كان إنساناً
مع أن باب خشب الغابة لا يفهم ولا يعقل:
«اخترت خشبك من مسافة عشرين ساعة مضاعفة
قبل أن أبصر أشجار الأرز الباسقة
ان خشبك، يا باب، لم أر مثيلاً له في البلاد
علوك اثنتتان وسبعون ذراعاً، وأربع وعشرون ذراعاً عرضك
لقد صنعك نجار ماهر في «نفّر» وجلبك منها.
أيها الباب لو كنت أعلم أن هذا ما سيحل بي
وان جمالك سيجلب علي المصائب
اذن لرفعت فأسي وحطمتك
ولجعلت منك كلكا (طوافة) [4]
ولكن ما الحيلة يا باب وقد صنعتك وجلبتك
لعل ملكا ممن سيأتي من بعدي
سيستعملك ويزيل اسمي ويضع اسمه»
سمع جلجامش قول صاحبه «أنكيدو» فجرت دموعه
فتح جلجامش فاه وقال لأنكيدو : ـ

«حباك أنليل بقلب واسع
ومنحك الحكمة ولكنك تقول قولا شططا .
علام ياصاحبي نطقت بهذه الأقوال الغريبة؟
كانت رؤياك رؤيا عجيبة ولكنها مخيفة
ويا ما أكثر الرؤى العجيبة !
يسلط الالهة على الأحياء الأحزان
وتسلط الرؤى على الباقين من الأحياء الأحزان
سأنام وأتضرع إلى الآلهة»
(يعقب هذا السطر نقص كبير في النص من نحو 50 سطراً وقد رأى بعض الباحثين ترجمة قسم منه على الوجه الذي أثبتناه في الترجمة (Schott, Das Gilgamesh Epos, 51 -62) وبعد أن يبدأ النص السالم نجد «أنكيدو» يدعو الإله «شمش» ليحل اللعنات بالصياد) : ـ
ثم أخذ يلعن الصياد والبغي ويقول :
«اسلب (الصياد) ماله وأحل به الوهن
وعساك أن لا تتقبل منه أعماله
وعسى أن يفر كل صيد يروم اقتناصه
وأن لا تتحقق له أمنية من أماني قلبه»
ثم دفعه قلبه إلى أن يلعن البغي فقال : ـ
«تعالي أيتها البغي أقدر لك مصيرك
وهو مصير لن ينتهي إلى الابد

سألعنك لعنة كبرى
ستحل بك لعناتي في الحال
لن تستطيعي أن تبنى بيتا يليق بجمالك
(نقص من نحو 8ـ9 أسطر)
«ليكن أكلك من فضلات المدينة
ستكون زوايا الدروب المظلمة مأواك
وفي ظل الجدار سيكون وقوفك
وسيلطم السكران والصاحي خدك
وعسى أن ينبذك عشاقك بعد أن يقضوا وطرهم من سحر جمالك»
(نقص أيضاً من محو 10 أسطر)
ولما أن سمع الاله شمش كلامه ناداه من السماء وكلمه : ـ
«علام تلعن البغي يا أنكيدو؟
تلك التي علمتك كيف يؤكل الخبز اللائق بسمة الالوهية
وسقتك خمرًا يليق بسمة الملوكية
وألبستك الحلل الفاخرة
وأعطتك جلجامش الوسيم خلا وصاحبا
أفلم يجعلك جلجامش ، خلك وأخوك
تنام على الفراش الوثير
أجل إنه جعلك تنام على سرير الشرف
وأجلسك على كرسي الراحة الذي إلى شماله (يساره)

وجعل أمراء الأرض يقبلون قدميك
وسيجعل أهل «أوروك» يبكونك ويندبونك
ويجعل الفرحين من الناس يقربون ويصلون من أجلك
أما هو نفسه فسيطلق شعره من بعدك
ويلبس جلد الاسد ويهيم على وجهه في الصحاري»
ولما سمع أنكيدو «شمش» البطل، هدأت سورة غضبه
(انخرام من سطرين، ويتضح مما سيلي أن أنكيدو ندم على كيل اللعنات للبغي فبدلها بركات اذ يعاود خطابه للبغي):
تعالي أيتها البغي لاقدار مصيرك
إن لساني الذي لعنك قد تبدل ليباركك
«سيحبك الملوك والأمراء والعظماء
ولن يضرب أحد فخذه مستعيبا أياك (5)
ومن أجلك سيهز الشيخ لحيته (6)
وسيحل الشباب أحزمتهم من أجلك
(وسيقدمون) لك اللازورد والذهب والعقيق
وعسى أن يحل العقاب بكل من يمتهنك
ويكون بيته وأهراؤه خالية
وسيدعك الكاهن تدخلين إلى حضرة الآلهة
ومن أجلك ستهجر الزوجة، ولو كانت أم سبعة»
ثم اشتد المرض بأنكيدو ولبث راقداً على فراش المرض
وصار يبث أحزانه في تلك الليلة إلى صديقه

وناجاه قائلاً: ياخلي، رأيت الليلة الماضية رؤيا
كانت السماء ترعد فأستجابت لها الأرض
وعندما كنت واقفاً ما بينهما
ظهر أمامي شخص مكفهر الوجه
كان وجهه مثل وجه طير الصاعقة «زو» (6)
ومخالبه كأظافر النسر
لقد عرّاني من لباسي
وأمسك بي بمخالبه
وأخذ بخناقي حتى خمدت أنفاسي
(نقص من نحو 12 سطراً)
لقد بدل هيئتي فصار ساعداي مثل جناحي طائر
مكسوتين بالريش (7)
ونظر إلي وأمسك بي وقادني إلى دار الظلمة،
إلى مسكن «إراكَلاً» (8)
إلى البيت الذي لا يرجع منه من دخله
إلى الطريق الذي لا رجعة لسالكه
إلى البيت الذي حرم ساكنوه من النور
حيث التراب طعامهم والطين قوتهم
وهم مكسوون كالطير بأجنحة من الريش
ويعيشون في ظلام لا يرون نورا
وفي بيت التراب الذي دخلت

شاهدت الملوك والحكام
ورأيت تيجانهم قد نزعت وكدست على الأرض
أجل! رأيت أولئك العظماء الذين لبسوا التيجان
وحكموا البلاد في سابق الأيام
وكان نواب «آنو» و «أنليل» هم وحدهم الذين
يقدم لهم شواء اللحم [9]
ويقدم لهم الخبز ويسقون الماء البارد من القرب
وفي بيت التراب الذي دخلت
يسكن الكاهن الأعلى وخدم المعبد
ويسكن كهنة التطهير والرقاة والمعوذون
ويسكن الذين يقدمون زيت المسح للآلهة العظام
ويسكن «إيتانا» [10] و «سموقان» [11]
وتحكم «ايرش ـ كيكَال»، ملكة الأرض السفلى
و «بعلة صيري»، كاتبة الأرض السفلي تسجد أمامها
وبيدها رقيم تقرأ لها منه
ولما رفعت رأسها أبصرتني فقالت : ـ
من الذي أتى بهذا الرجل إلى هنا؟ نحيه عني!

(الباقي من النص الاشوري ومقداره نحو 50 ـ 55 سطراً مخروم، وتوجد كسرة من لوح يبدو أنها تعود إلى سياق القصة هنا وتحتوي على كلام يظهر أنه موجه من جلجامش إلى أمه الالهة «ننسون»، وهو النص الذي تلي ترجمته) : ـ

«لقد رأى صديقي رؤيا تنذر بالشر»
ولما انقضى اليوم الذي رأى فيه «أنكيدو» الرؤيا
اشتد به المرض فظل ملازماً فراشه يوماً وثانياً وثالثاً
ورابعاً وخامساً وسادساً وسابعاً وثامناً وعاشراً
وثقل المرض على «أنكيدو»، ومضى اليوم الحادي عشر
والثاني عشر وهو لا يزال راقداً على فراش المرض، فدعا اليه
جلجامش
وكلمه قائلاً: ـ
«يا صاحبي لقد حلت بي اللعنة
فلن أموت ميتة رجل سقط في ميدان الوغى
كنت أخشى القتال (ولكنني سأموت ذليلاً حتف أنفي)
فمن يسقط في القتال يا صديقي فإنه مبارك
(باقي النص مخروم، ثم يلي اللوح الثامن، الحقل
الأول [12]): ـ
عندما نورت أولى خيوط الفجر قال جلجامش لصديقه: .
«يا «أنكيدو» أن أمك ظبية وأبوك حمار الوحش،
وقد ربيت على رضاع لبن الحمر الوحشية
لتندبك المسالك التي سرت فيها في غابة الأرز
وعسى ألا يبطل النواح عليك مساء نهار
وليندبك شيوخ أوروك، ذات الاسوار
وليبكك الإصبع الذي أشار الينا من ورائنا وباركنا

فيرجع صدى البكاء في الأرياف
وليندبك الدب والضبع والنمر والأيل والسبع
والعجول والظباء وكل حيوان البرية
ليندبك نهر «أولا» [13] الذي مشينا على ضفافه
وليبكك الفرات الطاهر الذي كنا نسقي منه
لينح عليك محاربو «أوروك»، المحصنة
. . . ذبحنا الثور . . . ليندبك . . .
ليبكك من عظم اسمك في أريدو
ومن مسح ظهرك بالزيت المعطر وسقاك الجعة
ولينح عليك من أطعمك الغلة
ولتبكك الأخوة والاخوات
ثم دعا جلجامش الصناع والنحاسين والنحاتين وقال لهم
اصنعوا تمثالاً لصديقي وصنع التمثال لصديقه
(بعد انخرام في النص يأتي الحقل الثاني من اللوح الثامن) : ـ
«اسمعوني أيها الشيبة (الشيوخ) وأصغوا إلي
من أجل «أنكيدو»، خلي وصاحبي، أبكي
وأنوح نواح الثكلى
أنه الفأس التي في جنبي وقوة ساعدي
والخنجر الذي في حزامي والمجن الذي يدرأ عني
وفرحتي وبهجتي وكسوة عيدي

لقد ظهر شيطان رجيم وسرقه مني
يا خلي وأخي الأصغر
لقد طاردت حمار الوحش في التلال
اقتنصت النسور في الصحاري
«أنكيدو !» ياصاحبي، وأخي الأصغر
الذي اقتنص حمار الوحش في النجاد والنمر في الصحاري
تغلبنا معاً على الصعاب وارتقينا أعالي الجبال
ومسكنا بالثور السماوي ونحرناه
قهرنا خمبابا الساكن في غابة الأرز
فأي سنَة (من النوم) هذه التي غلبتك وتمكنت منك؟
طواك ظلام الليل فلا تسمعني»
ولكن «أنكيدو» لم يرفع عينيه
فجس قلبه فلم ينبض
وعند ذاك برقع صديقه كالعروس
وأخذ يزأر حوله كالاسد
وكاللبؤة التي اختطف منها أشبالها
وصار يروح ويجيء أمام الفراش وهو ينظر اليه
وينتف شعره ويرميه على الأرض
مزق ثيابه الجميلة ورماها كأنها أشياء نجسة
ولما أن لاح أول خيط من نور الفجر نهض جلجامش
. . . . (نقص)

ونادى صناع المدينة وصاح بهم : ـ
«أيها الصفار والصائغ والجوهري
ونحات الأحجار الكريمة اصنعوا لي تمثالاً لخلي»
ثم نحت لصديقه تمثالاً جاعلاً صدره من اللازورد وجسمه من الذهب
ونصب منضدة من الخشب القوى
وإناء من اللازورد مملوءاً بالزبد
وقرب ذلك إلى «شمش»
وشرع يندب صديقه ويرثيه .
(انخرام في النص لا يعلم مقداره بوجه التأكيد ولعله يقارب الستين سطراً ثم يعقب ما يأتي في العمود الثالث من اللوح الثامن) : ـ
«على فراش المجد أضجعتك
وأجلستك على كرسي الراحة الذي إلى شمالي (يساري)
لكي يقبل أمراء الارض قدميك
سأجعل أهل «أوروك» يبكون عليك ويندبونك
وسأجعل أهل الفرح يحزنون عليك
وأنا نفسي (بعد أن توسد في الثرى) سأطلق شعري
وألبس جلد الأسد وأهيم على وجهي في الصحاري»
(باقي النص مشوه تتعذر ترجمته، ولكن يبدو من سياق القصة أن جلجامش بعد أن قام بشعائر الدفن الخاصة، صار

يرثي صديقه ويندبه ويبكيه ليل نهار، ثم شرع يهيم على وجهه في البراراي ، ومن ذلك قام برحلته البعيدة قاصدا جده «أوتو ـ نبشتم» ليسأله عن الخلود، ويأتي من بعد ذلك اللوح التاسع).

اللوح التاسع :

العمود الأول :

من أجل أنكيدو، خله وصديقه
بكى جلجامش بكاء مرا
وهام على وجهه في الصحاري (وصار يناجي نفسه):
إذا ما مت أفلا يكون مصيري مثل أنكيدو ؟
لقد حل الحزن والاسى بجسمي
خفت من الموت ، وها أنا أهيم في البوادي
وإلى بيت «أوتو ـ نبشتم» [14] ابن «أوبار ـ توتو»
أخذت الطريق وحثثت الخطى اليه
ولما أن بلغت مجازات الجبال في المساء
رأيت الأسود فتملكني الخوف والرعب
فرفعت رأسي إلى «سين» وصليت له
وابتهلت إلى العظيم بين الالهة ودعوت أن يحميني ويحفظني
وفي المساء اضطجع فأيقظه حلم رآه

رأى (الأسود حواليه) وهي تمرح مسرورة في ضوء «سين» (القمر)
رفع فأسه بيده واستل سيفه [15] من غمده
وانقض عليها كالسهم
فضربها وجعلها تفر منه
(ثم بلغ جلجامش جبلاً عظيماً)
(باقي النص مخروم «نحو 32 سطراً» يدل ما بقي منه على أن جلجامش بلغ الجبال التي سيأتي وصفها) :
وكان أسم الجبل «ماشو» [16]
لقد قصد جبل «ماشو» فبلغه
(وهو الجبل) الذي يحرس كل يوم شروق الشمس وغروبها
والذي تبلغ أعاليه قبة السماء
وفي الأسفل ينزل صدره إلى العالم الأسفل
ويحرس بابه «الرجال العقارب» [17]
الذين يبعثون الرعب والهلع ، ونظراتهم الموت
ويطغى جلالهم المرعب على الجبال
الذين يحرسون الشمس في شروقها وغروبها
ولما أبصرهم جلجامش اصفر وجهه فزعاً وهلعاً
ولكنه استعاد رباطة جأشه وأقترب منهم
فنادى أحد «الرجال العقارب» زوجه وقال لها :
«إن الذي جاء الينا جسمه من مادة الآلهة»

فأجابت زوجة «الرجل العقرب» زوجها وقالت :
«أجل إن ثلثيه إله وثلثه الاخر من مادة بشرية» .
ثم نادى «الرجل العقرب» جلجامش
وخاطب نسل الآلهة بهذه الكلمات : ـ
«ما الذي حملك على هذا السفر البعيد؟
وعلام قطعت الطريق الطويل وجئت عابراً البحار الشاقة العبور ؟
أبن لي القصد من المجيء إلي :
(يتبع نقص من عدة أسطر)
فأجابه جلجامش قائلاً : ـ
«أتيت قاصداً أبي، أوتو ـ نبشتم، باحثاً عن الحياة
أبي الذي دخل في مجمع الالهة
جئت لاسأله عن (لغز) الحياة والموت»
ففتح «الرجل العقرب» فاه وقال مخاطباً جلجامش : ـ
لا يوجد انسان يستطيع ذلك يا جلجامش
لم يعبر أحد من البشر مسالك الجبال
إن داخلها يمتد اثنتي عشرة ساعة مضاعفة
والظلام حالك ولا يوجد نور
وإلى مطلع الشمس . . . . .
وإلى مغرب الشمس . . .
(الباقي مخروم، ويبدو من السياق أن الرجل العقرب

يسترسل في وصف رهبة مسالك الجبال ووعورتها) :
(فأجاب جلجامش) : عزمت على أن أذهب بالحزن والألم
وفي القر والحر وفي الحسرات والبكاء
فافتح لي الآن باب الجبل
ففتح الرجل العقرب فاه وأجاب جلجامش :
«ادخل ياجلجامش ولا تخف
أذنت لك أن تعبر جبال «ماشو»
وعساك أن تقطع الجبال وسلاسلها
وعسى أن تعود بك قدماك سالماً
وها هو باب الجبل أمامك» ؟
ولما أن سمع جلجامش اتبع كلمة «الرجل العقرب»
اتبع طريق مسير الشمس
ولما قطع ساعة مضاعفة كان الظلام دامساً ولا يوجد نور
فلم يستطع أن يبصر ما أمامه ولا ما خلفه
وسار ساعتين مضاعفتين ثم أربع ساعات
ولم يزل الظلام حالكا ولا نور هناك
فلم ير ما أمامه وما خلفه
(انخرام من نحو 15 سطراً، ولكن يمكن تكميل النقص باستمرار سيره ثلاث ساعات مضاعفة ثم أربعاً وخمساً الخ).
وسار خمس «ساعات مضاعفة» وست ساعات

وسبع ساعات وثماني ساعات مضاعفة
ولم يزل الظلام ولا نور يمكنه أن يبصر ما أمامه وما خلفه
وبعد أن قطع تسع ساعات مضاعفة أحس بالريح الشمالية تلطم وجهه
ولكن الظلام لم يزل دامساً
فلم يستطع أن يبصر ما أمامه وما خلفه
ثم سار عشر ساعات مضاعفة وبعد احدى عشرة ساعة بزغ الفجر.
وبعد أن قطع اثنتي عشرة ساعة مضاعفة عم النور
وأبصر أمامه أشجارا تحمل الأحجار الكريمة.
ولما رآها اقترب منها
فوجد الأشجار التي أثمارها العقيق
وتتدلى الاعناب منها ومرآها يسر الناظر
ووجد الأشجار التي تحمل اللازورد فما أبهى مرآها [18]
رأى الشوك والعوسج الذي يحمل الأحجار الكريمة واللؤلؤ البحري
(باقي اللوح التاسع مخروم لم تبق منه أجزاء واضحة تستحق الترجمة)
ولكن يستدل من الاجزاء القليلة السالمة أن الباقي من هذا اللوح يواصل وصف تلك البستان العجيبة ويستمر النقص إلى أن نجد جلجامش في اللوح العاشر يصل إلى

ساحل البحر حيث يلتقي بصاحبة الحانة التي كان للقائه بها علاقة بطريقة وصوله إلى جده «أوتو ـ نبشتم» الخالد، وهو موضوع الطوفان كما سيأتي [19]:

«سدوري صاحبة الحانة الساكنة عند ساحل البحر [20]
شاهدت جلجامش مقبلاً وكان لباسه من الجلود
ووجهه أشعث كمن سافر سفراً طويلاً ويبدو عليه العناء والتعب
ولكن جسمه من مادة الآلهة
فنظرت صاحبة الحانة إلى جلجامش وناجت نفسها بهذه الكلمات : ـ
يبدو أن هذا الرجل قاتل فليت شعري إلى أين يريد
فأوصدت بابها لما رأته يقترب وأحكمت غلقه بالمزلاج [21]
فسمع جلجامش صرير الباب فنادى صاحبة الحانة وقال :
« ما الذي أنكرت في يا صاحبة الحانة
حتى أوصدت بابك بوجهي وأحكمت غلقه بالمزلاج ؟
لاحطمن بابك وأكسر المدخل»
وأردف جلجامش قائلاً لصاحبة الحانة : ـ
أنا جلجامش، أنا الذي قبضت على الثور
الذي نزل من السماء وقتلته
وغلبت حارس الغابة وقهرت «خمبابا»

فأجابت صاحبة الحانة جلجامش وقالت له :
«إنْ كنت حقاً جلجامش الذي قتل حارس الغابة
وغلبت خمبابا الذي يعيش في غابة الأرز
وقتل الأسود في مجازات الجبال وأمسك بثور السماء وقتله
فلم ذبلت وجنتاك ولاح الغم على وجهك؟
وعلام ملك الحزن قلبك وتبدلت هيئتك
ولم صار وجهك أشعث كوجه من سافر سفراً طويلاً
وكيف لفح وجهك الحر والقر؟
وعلام تهيم على وجهك في الصحاري؟»
فأجاب جلجامش صاحبة الحانة وقال لها :ـ
«كيف لا تذبل وجنتاي ويمتقع وجهي
ويملأ الاسى والحزن قلبي وتتبدل هيئتي
فيصير وجهي اشعث كمن أنهكه السفر الطويل
ويلفح وجهي الحر والقر وأهيم على وجهي في الصحاري
وقد أدرك «مصير البشر» صاحبي وأخي الأصغر
الذي صاد الحمر الوحشية والنمور في الصحاري
والذي تغلب على جميع الصعاب
وغلب خمبابا الذي يسكن في غابة الارز
إنه «أنكيدو» صاحبي وخلي الذي أحببته حباً جماً
لقد انتهى إلى ما يصير إليه البشر جميعاً
فبكيته في المساء وفي النهار

ندبته ستة أيام وسبع ليال
معللاً نفسي بأنه سيقوم من كثرة بكائي ونواحي
وامتنعت عن تسليمه إلى القبر
أبقيته ستة أيام وسبع ليال حتى تجمع الدود على وجهه
فأفزعني الموت حتى همت على وجهي في الصحاري
إن النازلة التي حلت بصاحبي تقض مضجعي
آه ! لقد غدا صاحبي الذي أحببت تراباً
وأنا ، سأضطجع مثله فلا أقوم أبد الابدين
فيا صاحبه الحانة ، وأنا أنظر إلى وجهك ،
أيكون في سعي ألا أرى الموت الذي أخشاه وأرهبه؟»
فأجابت صاحبة الحانة جلجامش قائلة له : ـ
«إلى أين تسعى يا جلجامش
إن الحياة التي تبغي لن تجد [22]
حينما خلقت الآلهة العظام البشر
قدرت الموت على البشرية
وأستأثرت هي بالحياة [23]
أما أنت يا جلجامش فليكن كرشك مليئاً على الدوام
وكن فرحاً مبتهجاً نهار مساء [24]
وأقم الأفراح في كل يوم من أيامك
وارقص والعب مساء ونهار [25]
واجعل ثيابك نظيفة زاهية [26]

واغسل رأسك واستحم في الماء
ودلل الصغير الذي يمسك بيدك
وأفرح الزوجة التي بين أحضانك [27]
وهذا هو نصيب البشرية» [27]
(ولكن) جلجامش أعاد الخطاب إلى صاحبة الحانة قائلاً:
«يا صاحبة الحانة أين الطريق إلى «أوتو ـ نبشتم»
دليني كيف أتجه اليه ؟
فإذا أمكنني للوصول إليه فأنني حتى البحار سأعبرها
و إذا تعذر الوصول إليه فسأهيم على وجهي في الصحاري
فأجابت صاحبة الحانة جلجامش وقالت له : ـ
«يا جلجامش لم يعبر البحر قبلك أحد
أجل ! ان «شمش» القدير يعبر البحر حقاً
ولكن من غير شمش يستطيع عبوره؟
إن عبوره شاق عسير.
وما عساك ستصنع لما تبلغ مياه الموت العميقة؟
ولكن يا جلجامش هناك «اور ـ شنابي» [28] ملاح «أوتو ـ نبشتم» .
وعنده صور الحجر وها هو الان في الغابة يقتطف النبات
فعسى أنْ تراه عيناك
و إذا أمكنك فاعبر بصحبته وإلاّ فعد إلى وطنك»
ولما سمع جلجامش ذلك أخذ فأسه واستل خنجره من حزامه

وتغلغل إلى الغابة واتجه إليها [29]
وانقض عليها كالسهم وكسرها وهو في سورة غضبه
رفع «اور ـ شنابي» عينيه وأبصر جلجامش فصاح به :
قل لي ما اسمك ؟ أما أنا فاسمي «أور ـ شنابي»
من التابعين لـ «أوتو ـ نبشتم» القاصي
فأجاب جلجامش «أور ـ شنابي» ، وقال له :
«اسمي جلجامش ، أنا الذي قدم من أوروك ، من «إِي ـ أنَّا»
وإجتاز البحار وركب الأسفار الطويلة من مطلع الشمس
جئت لاراك . فيا «أور شنابي» ، وقد رأيت وجهك
دلني على «اوتو ـ نبشتم» ، القاصي»
فأجاب «أور ـ شنابي» جلجامش وقال له :
(ولكن) لم ذبلت وجنتاك وامتقع وجهك ؟
وعلام غمر الحزن قلبك وتبدلت هيئتك ؟
فصار وجهك أشعث كمن عانى الاسفار الطويلة
ولم لفح وجهك الحر والقر
وهمت على وجهك في الصحاري»
فأجاب جلجامش «أور ـ شنابي» وقال له :
«يا أور ـ شنابي» ، كيف لاتذبل وجنتاي ويمتقع وجهي؟
ويغمر الحزن زالأسى قلبي وتتبدل هيئتي
وكيف لايصير وجهي أشعث كمن أنهكه السفر الطويل؟

ويلفع وجهي الحر والقر،
وأهيم على وجهي في الصحاري
وان خلي ، وأخي الصغير
الذي طارد حمار الوحش في البرية واصطاد النمور في الصحاري
إنه أنكيدو، خلي وأخي الصغير
الذي تغلب على جميع الصعاب وارتقى أعالي الجبال
الذي أمسك بثور السماء وقتله ،
وقهر خمبابا الساكن في غابة الأرز
صاحبي وخلي الذي أحببته حباً جماً
والذي صاحبني في كل الصعاب
قد أدركه مصير البشرية
فبكيته ستة أيام وسبع ليال
حتى سقط الدود من أنفه
لقد أفزعني الموت حتى همت على وجهي في الصحاري
إن النازلة التي حلت بصاحبي قد أوهنتني وأقضت مضجعي
فهمت على وجهي المسافات البعيدة في الصحاري
إذ كيف أهدأ ويقر لي قرار
وصديقي الذي أحببت صار تراباً
وأنا أفلا أكون مثله فأضطجع ضجعة لا أقوم من بعدها أبد الدهر؟

ثم أردف جلجامش وخاطب «أور ـ شنابي» قائلاً :
والآن يا «أور ـ شنابي» أين الطريق إلى «أوتو ـ نبشتم»
أين الاتجاه اليه؟ دلني على الطريق إليه
فإذا استطعت الوصول إليه فحتى البحار سأعبرها
وإذا تعذر بلوغ مرادي فسأظل أجول في الصحاري»
فقال «أور ـ شنابي» لجلجامش :
يا جلجامش يداك هما اللتان منعتاك من عبور البحر
لأنك حطمت صور الحجر وأتلفتها
وإذا تحطمت صور الحجر فلا يمكننا العبور
والآن خذ الفأس بيدك يا جلجامش
وانحدر إلى الغابة واقتطع منها مائة وعشرين «مردياً»
طول كل منها ستون ذراعاً
واطلها بالقير واجعل أعقابها الأزجاج (30)
ولما أن سمع جلجامش ذلك
رفع الفأس بيده وسحب خنجره
وانحدر في الغابة واقتطع منها مائة وعشرين «مردياً» طول
كل منها ستون ذراعاً
وطلاها بالقير وغلف أعقابها (بالازجاج) وجاء بها إليه»

الهوامش :

(1) ينتهي اللوح السادس هنا بالتذليل الآتي : ـ اللوح السادس من: (هو الذي رأى كل شيء)، سلسلة جلجامش، كتب طبق الأصل وحقق.

(2) بداية اللوح السابع: وإن بداية هذا اللوح من النص الآشوري مفقودة أيضاً ولكن يمكن تكميلها من النص الحثي. حول الدراسات الجديدة عن اللوحين الرابع والسابع من الملحمة أنظر:

B. Landsberger in Revue d'Assyriologie, 67 (1968), 97 ff.

Speiser in ANET (1969).

(3) أي نزول الاله «شمش» إلى الناس حيث طلوع الشمس على البشر كل يوم جعل هذا الاله يعطف على البشر ويقف بجانبهم ويدافع عنهم في مجالس الآلهة، حتى صار كأنه واحد من البشر.

(4) الكلك «جمعه أكلاك» ولا يزال يستعمل في أنهار العراق الآن وهو عبارة عن عدة أخشاب أو الواح تربط بعضها إلى بعض للطواف في الأنهار على هيئة قوارب مسطحة.

(5) في ترجمة أخرى لهذين السطرين: «من كان على بعد فرسخ سيضرب فخذه من أجلك. ومن كان على بعد فرسخين سيهز شعره من أجلك» وعادة ضرب الفخذ باليد اثناء التعجب والإستغراب أو الإستهجان ما زالت مستعملة إلى الآن.

(6) و «زو» طير الصاعقة في أساطير العراق القديم.

(7) الغالب على تصور العراقيين القدماء لارواح الموتى أنها على هيئة الطيور، ويشاركهم في هذا التصور بعض الأقوام القديمة، مثل المصريين القدماء الذين صوروا أرواح الموتى على هيئة الفراشة، ولعل أحسن بحث مقارن عن عقائد العراقيين والعبرانيين في عالم ما بعد الموت في : ـ

(A. Heidel, The Gilgamesh Epie).

(8) من أسماء الهة العالم الأسفل وملكة ذلك العالم التي تدعى «ايرش كيگال».

(9) المحتمل كثيراً أن هؤلاء هم الملوك والحكام الذين يمثلون الآلهة وينوبون عنهم في

حكم البشر على الأرض. وقد ترجم بعضهم النص بأن هؤلاء هم الذين يقدمون اللحم والماء في العالم الأسفل.

(10) «أيتانا» ويلقب بالراعي ورد أسمه في إثبات الملوك السومرية أنه أحد ملوك «كيش» القدامى، وترتيبه الملك الثالث عشر من سلالة كيش الأولى، التي كانت أول سلالة حكمت من بعد الطوفان، وقدخصص لحكمة (1500) عام، ووردت عنه اسطورة طريفة تروي صعوده إلى السماء على ظهر نسر (أنظر ترجمة الاسطورة في مجلة سومر ـ 1951).

(11) «سموقان» اله الماشية.

(12) انظر: ANET, 3, 506 وقد اكتشفت الكسرة التي تكون بداية اللوح الثاني في الموضع الأثري المسمى «سلطان ثيه»، القريب من حرأن، وقد نشرت في المرجع الآتي:

O. R. Gurney in Journal of Cueiform Studies, VIII (1954), 90 ff.

(13) لا يعلم موقع هذا النهر على وجه التأكيد وإنما يحتمل أنه نهر «كارون» الآن في خوزستان، الذي ورد ذكره في المصادر اليونانية والرومانية بصيغة «أولاس».

(14) لأول مرة يرد اسم بطل الطوفان البابلي «أوتو ـ نبشتم» ابن «أوبار ـ توتو» ويحتمل أن «أوتو ـ نبشتم» يعني بالبابلية: «الذي أدرك الحياة». وقد ورد اسم بطل الطوفان في الروايات السومرية بهيئة: «زيسودرا»، حكيم مدينة «شروباك» (فارة الآن) وكاهنها. وقد خلد البطل أيضاً واسكنته الالهة في «دلمون»، وهو موضع يحتمل تعيينه بالبحرين (انظر بحث المؤلف في مجلة سومر عدد 1947)، وأنتقل اسم هذا البطل إلى المآثر الإغريقية. أما «أوبار ـ توتو»، فقد ورد ذكره من بين الملوك الثمانية الذين حكموا في خمس مدن في أزمان ما قبل الطوفان حيث كانت مدينة «شروباك» المدينة الخامسة.

(15) أو خنجره.

(16) لا يعلم بالضبط أصل هذا اللفظ، فإذا كان الإسم (بابليا) فيحتمل أنه يعني «التوأمين» ولعل هذا إشارة إلى تصور العراقيين القدماء لجبال لبنان الغربية والشرقية.

(17) مخلوقات أسطورية مركبة من إنسان وعقرب.

(18) يشبه وصف هذه البستان العجيبة ما ورد في قصص ألف ليلة وليلة.

(19) حول الأجزاء الصغيرة العائدة إلى اللوح العاشر انظر:

A. R. Millard in Iraq, 26 (1964). 99 ff. Anet. 3. 506.

(20) في نهاية السطر الباقي من اللوح التاسع يأتي تذييل اللوح: ـ اللوح التاسع» من «هو الذي رأى كل شيء» من سلسلة (جلجامش)، مكتبة قصر (آشور بانيبال)، ملك العالم، ملك «بلاد آشور»، ثم يأتي اللوح العاشر وبدايته مخرومة أيضاً، ووجد لهذا اللوح نصان، بابلي قديم وآشوري فإضطررنا إلى تغيير مواضع نصوصها ليستمر المعنى منسجماً في سياق واحد.

(21) يذكرنا هذا بإحدى شريعة حمورابي (المادة 109) التي فرضت عقوبة شديدة على صاحبات الحانات إذا هن آوين المتآمرين وقطاع الطرق ولم يبلغن السلطة عنهم، وفي النص البابلي يستعمل كلمة «سابيتـم» لبائعة الخمر، ما نـفس المـادة العربيـة «سبأ»، و (سباء) أي بائع الخمر.

(22) قارن هذا القول بما جاء في المزامير: المزمور115 : 17.

(23)حرفياً في النص البابلي: «وضبطت الحياة بأيديها».

(24) قارن سفر الجامعة 5 : 18 ـ 19 : «هو ذا الذي رأيته أنا خير الذي هو حسن أن يأكل الإنسان ويشرب ويرى خيراً من كل تعبه الذي تعب فيه تحت الشمس مدة أيام حياته التي أعطاه الله إياه لأنه نصيبه، أيضا كل إنسان اعطاه الله غنى ومالاً وسلطة عليه حتى يأكل منه ويأخذ نصيبه ويفرح بتعبه فهذا هو عطية الله».

(25) أنظر سفر الجامعة 8 : 15 : «فمدحت الفرح لأنه ليس للإنسان خير تحت الشمس إلاّ أن يأكل ويشرب ويفرح وهذا يبقى له في تعبه مدة أيام حياته التي يعطيه الله إياها تحت الشمس».

(26) سفر الجامعة أيضا 9 : 8ـ 9 «لتكن ثيابك في كل حين بيضاء ولا يعوز رأسك الدهن. التذ عيشا مع المرأة التي أحببتها كل أيام حياة باطلك التي أعطاك الله إياها تحت الشمس، كل أيام باطلك لأن ذلك نصيبك في الحياة وفي تعبك الذي تتعبه تحت الشمس».

(27) أنظر الهامش 5.

(28)ولهذا الإسم قراءة أخرى بهيئة «سُر ـ شنابي» (Speiser)

(29) أي إلى صور الحجر، ويبدو أن هذه الصور السحرية هي التي تمكن « أور ـ شنابي»، ملاح «أوتو ـ نبشتم» من عبور مياه الموت في طريقه إليه، حيث يقطن في جزيرة في آخر بحر الموت.

(30) الازجاج جمع «زج» (Ferrule) وهي الحديدة التي في أسفل الرمح.

الفصل الرابع
قصة الطوفان
كما يرويها «أتو ـ نبشتم» الخالد إلى جلجامش

«ركب جلجامش و «أور ـ شنابي» في السفينة
أنزلا السفينة في الأمواج وهما على ظهرها
وفي اليوم الثالث قطعاً في سفرهما ما يعادل شهراً وخمسة عشر يوماً من السفر العادي
وبلغ «أور ـ شنابي» مياه الموت .
وعندئذ نادى «أور ـ شنابي» جلجامش وقال له :
«هيا يا جلجامش أسرع وخذ مرديا وادفع به»
وحذار أن تمس يدك مياه الموت
أسرع يا جلجامش وتناول «مرديا» ثانياً وثالثاً ورابعاً
يا جلجامش خذ «مرديا» خامساً وسادساً وسابعاً
خذ يا جلجامش «مرديا» ثامناً وتاسعاً وعاشراً
خذ «مرديا» حادي عشر وثاني عشر
وبمائة وعشرين دفعة «مردي» إستعمل جلجامش كل «المرادي» (1)
ثم نزع جلجامش ثيابه

ونشرها بيديه كأنها الشراع
وكان «أوتو ـ نبشتم» قد أبصر السفينة من بعيد
فأخذ يخاطب قلبه ويناجي نفسه ويقول :
«علام دمرت «صور الحجر» الخاصة بالسفينة؟
ولم يركب عليها شخص غير ملاحها؟
فإن الأخر الآتي فيها ليس من أتباعي

. . . .

(بقية النص من العمود الرابع وبداية الخامس مخرومة ولكن يتضح من السياق أن جلجامش يلتقى بجده «أوتو ـ نبشتم» فيسأله هذا عن سبب مجيئه، وهي نفس الأسئلة التي وجهتها إليه صاحبة الحانة والملاح، وقد حذفناها من الترجمة لتكررها مرتين، كما أن جلجامش يجيبه بالأجوبة نفسها تقريباً وقد أثبتنا ترجمتها لأن فيها بعض التغيير والزيادة) : ـ

«أجاب جلجامش «أوتو ـ نبشتم» وقال له :
يا «أوتو ـ نبشتم»، كيف لا تذبل وجنتاي
ويمتقع وجهي ويغمر الحزن قلبي وتتبدل هيئتي
ويصير وجهي أشعث كمن أنهكه السفر الطويل
ويلفح وجهي الحر والقر
وأهيم على وجهي في البراري،
وأن خلي وأخي الأصغر
الذي طارد الوحش في البرية

واصطاد النمور في الصحاري. إنه «أنكيدو» الذي تغلب
على جميع الصعاب وارتقى أعالي الجبال
الذي أمسك بثور السماء وقتله، وغلب «خمبابا» الذي
يسكن غابة الارز
صاحبي وخلي الذي أحببته حباً جماً
الذي رافقني في جميع الصعاب قد أدركه مصير البشرية
فبكيته ستة أيام وسبع ليال ولم أسلمه للقبر
حتى خرج الدود من أنفه
لقد أفزعني الموت فهمت على وجهي في الصحاري
فالنازلة التي حلت بصاحبي قد جثمت بثقلها على
صدري
وأقضت مضجعي حتى همت مطوفاً في الصحاري
إذ كيف أهدأ وبقر لي قرار،
وان صاحبي الذي أحببت صار تراباً
وأنا ألا سأكون مثله فأهجع هجعة لا أقوم من بعد أبد
الدهر؟
ثم أردف جلجامش وخاطب «أوتو ـ نبشتم» قائلاً: ـ
ولذا تراني قد جئت لأرى «أوتو ـ نبشتم» الذي يدعونه
القاصي
لقد طوفت في كل البلاد وأجتزت الجبال الوعرة
وعبرت كل البحار

لم يغمض لي جفن ولم أذق طعم النوم
أنهكني السفر والترحال وحل بجسمي الضنى والتعب
ولم أكد أبلغ بيت «صاحبة الحانة»
حتى خلقت ثيابي وتمزقت،
قتلت الدب والضبع والأسد والفهد والنمر
والضبي والإيل والوعل وكل حيوان البر ودوابه
أكلت لحومها وأكتسيت بفروها

. . . .

(ياتي نقص نحو 42 سطراً)

. . . .

«قال «اوتو ـ نبشتم» لجلجامش:
«ان الموت قاس لا يرحم (؟)
هل بنينا بيتا يقوم إلى الابد ؟
وهل ختمنا عقداً يدوم إلى الأبد ؟
وهل يقتسم الإخوة ميراثهم ليبقى إلى آخر الدهر ؟
وهل تبقى البغضاء في الأرض إلى الأبد [2]
وهل يرتفع النهر ويأتي بالفيضان على الدوام ؟
والفراشة لا تكاد تخرج من شرنقتها فتبصر وجه الشمس
حتى يحل أجلها
ولم يكن دوام وخلود منذ القدم [3]
ويا ما أعظم الشبه بين النائم والميت

ألا تبدو عليهما هيئة الموت؟
ومن ذا الذي يستطيع أن يميز بين العبد والسيد إذا وافاهما الاجل؟
ان «الانوناكي» [4] الالهة العظام تجتمع مسبقاً
ومعهم «ماميتم»، صانعة الأقدار تقدر معهم المصائر
قسموا الحياة والموت [5]
ولكن الموت لم يكشفوا عن يومه»

اللوح الحادي عاشر
فقال جلجامش لـ «أوتو ـ نبشتم» القاضي [6]:
ها أنذا أنظر إليك يا «أوتو ـ نبشتم»
فلا أجد هيئتك مختلفة، فأنت مثلي لا تختلف عني
أجل! أنت لم تتبدل بل إنك تشبهني
لقد تصورك لبي كاملا كالبطل عن أهبة القتال
فإذا بي أجدك ضعيفاً مضطجعاً على ظهرك
فقال لي كيف دخلت في مجمع الالهة ووجدت الحياة (الخالدة)؟
فأجاب «أوتو ـ نبشتم» جلجامش وقال له:
«يا جلجامش سأفتح لك عن سر خفي محجوب
سأطلعك على سر من أقدار الآلهة:
«شروباك» [7]، المدينة التي تعرفها أنت

الواقعة على شاطيء نهر الفرات
إن تلك المدينة قد عتقت وكان الآلهة فيها .
إن الآلهة العظام قد حملتهم قلوبهم (آنذاك) على إحداث الطوفان
وكان معهم أبوهم «آنو»
و «انليل» ، البطل ، مستشارهم
و «ننورتا» ، مساعدهم
و «انوكَي» ، حاجبهم [8] والمؤكل بالري والمياه
وكان حاضراً معهم «نن ـ ايكي ـ كو» ، أي «أيا»
فنقل هذا كلامهم إلى كوخ القصب وخاطبه :
«يا كوخ ! يا كوخ القصب ! يا جدار، يا جدار!
إسمع يا كوخ القصب وأفهم يا حائط [9]
أيها الرجل «الشروباكي» يا ابن «أوبار ـ توتو» [10]
قوض البيت وابن لك فلكا (سفينة)
تخل عن مالك وانشد النجاة
أنبذ الملك وخلص حياتك
واحمل في السفينة بذرة كل ذي حياة [11]
والسفينة التي ستبني
عليك أن تضبط مقاسها
ليكن عرضها مساويا لطولها [12]
واختمها جاعلاً إياها مثل مياه الـ «أپسو» (العمق)»

ولما وعيت ذلك قلت لربي، «ايا» :

«سمعاً يا سيدي! إن ما أمرت به سأصدع به وأعمل به

ولكن ما عسى أن أقول للمدينة؟

وبم سأجيب الناس والشيوخ ؟

ففتح «ايا» فاه، وقال لي، مخاطباً إياي، أنا عبده :

«قل لهم هكذا : «إني علمت أن أنليل يبغضني

فلا أستطيع العيش في مدينتكم بعد الآن

ولن أوجه وجهي إلى أرض أنليل وأسكن فيها

بل سأرد (أنزل) إلى الـ «أپسو» [13]

وأعيش مع «ايا»،

وأنتم سيمطركم بالوفرة والفيض

ومن مجاميع الطير، وعجائب الأسماك

وستملأ البلاد بالغلال والخيرات

وفي السماء سيمطركم الموكل بالزوابع بمطر من قمح [14]»

ولما نورت أولى بشائر الصباح تجمع البلد حولي

حملوا إلى أضاحي الأغنام الغالية

وأحضروا إلى أضاحي من ماشية مراعي البراري

. . . . (انخرام من أربعة أسطر)

جلب إلي الصغار منهم القير

وحمل الكبار كل الحاجات الأخرى

وفي اليوم الخامس أقمت بنيتها (هيكلها) [15]

وكان سطح أرضها «أيكو» واحدا
وعلو جدرانها مائة وعشرين ذراعاً [16]
وطول كل جانب من جوانب سطحها الأربعة مائة وعشرون ذراعاً
حددت شكلها الخارجي وبنيتها هكذا:
جعلت فيها ستة طوابق (تحتانية)
وبهذا فرزتها (قسمتها) إلى سبعة أقسام (طوابق)
وفرزت (قسمت) أرضيتها إلى تسعة أقسام [17]
وحشوتها وغرزت فيها أوتاد الماء [18]
ووضعت فيها «المرادي» وجهزتها بالمؤن
سكبت ستة «شارات» من القير في الكورة [19]
وسكبت أيضاً ثلاثة «شارات» من القطران
وجلب حاملو السلال ثلاثة «شارات» من السمن
بالإضافة إلى «شار» واحد من السمن لحشو أوتاد الماء
و «شارين» من السمن إختزنهما الملاح
(ثم) نحرت البقر وطبختها للناس [20].
ونحرت الأغنام كل يوم
وقدمت عصير الكرم والخمر الأحمر والأبيض والسمن
إلى الصناع ليشربوها بكثرة كماء النهر
ليقيموا الأعياد كما في أيام عيد رأس السنة
ومسحت يدي بسمن الزيت

وتم بناء السفينة في اليوم السابع
وكان إنزالها (إلى الماء) أمراً صعباً
فكان عليهم أن يبدلوا الأثقال في الطوابق العلوية والسفلية
إلى أن غطس في الماء ثلثاها
وحملت فيها كل ما أملك
وكل ما عندي من فضة حملته فيها .
وحملت فيها كل ما أملك من ذهب
أركبت في السفينة جميع أهلي وذوي قرباي
وحملت فيها كل ما كان عندي من المخلوقات الحية [21]
أركبت فيها حيوان الحقل وحيوان البر
وجميع الصناع أركبتهم فيها [22]
وضرب لي الإله «شمش» [23] موعداً معيناً بقوله: ـ
«حينما ينزل الموكل بالعواصف في المساء مطر الهلاك
فأدخل في السفينة وأغلق بابك»
وحل أجل الموعد المعين
وفي الليل أنزل الموكل بالعاصفة مطراً مهلكاً
وتطلعت إلى حالة الجو فكان مكفهراً مخيفاً للنظر
فولجت في السفينة وأغلقت بابي
وأسلمت قياد السفينة إلى الملاح «بوزُر ـ أموري»
أعطيته «البناء العظيم» [24] وما يحويه من متاع
ولما ظهرت أنوار السحر [25]

علت من الافق البعيد (من أسس السماء) غمامة ظلماء [26]
وفي داخلها أرعد الإله «أدَدْ» [27]
وكان يسير أمامه «شُلَّات» و «خَانيش» [28]
وهما ينذران أمامه في الجبال والسهول
ونزع الإله «إيراكَال» الأعمدة [29]
ثم أعقبه الإله «ننورتا» الذي فتق السدود
ورفع الـ «أنوناكي» المشاعل
وجعلوا الأرض تلتهب بوهج أنوارها
وبلغت رعود الآلهة «أدد» عنان السماء
وبلغ الخوف من الإله أدد إلى السموات
فأحالت كل نور إلى ظلمة
وتحطمت البلاد الفسيحة كما تتحطم الجرة
وظلت زوابع الريح الجنوبية [30] تهب يوماً كاملا
وإزدادت شدة في مهبها حتى غطت الجبال [31]
وفتكت بالناس كأنها الحرب العوان
وصار الاخ لا يبصر أخاه
ولا الناس بميزون في السماء
وحتى الآلهة ذعروا من عباب الطوفان
فهربوا وعرجوا إلى سماء «آنو» [32]
لقد استكان الآلهة وربضوا كالكلاب حذاء الجدار
وصرخت «عشتار» (كما تصرخ) المرأة في الولادة

إنتحبت سيدة الآلهة وناحت بصوتها الشجي نادبة :
«واحسرتاه ! لقد عادت الأيام الأولى إلى طين [33]
لأنني نطقت بالشر في مجمع الآلهة
فماذا دهاني إذ نطقت بالشر
لقد سلطت الدمار على أناسي (خلقي) [34]
وأنا التي ولدت أناسي هؤلاء
لقد ملأوا اليم كبيض السمك» .
وبكى معها آلهة الـ «أنوناكي»
أجل ! جلس الآلهة منكسي الرؤوس يندبون
وقد يبست شفاههم
ومضت ستة أيام وست أمسيات
ولم تزل زوابع الطوفان تعصف وقد غطت الزوابع الجنوبية البلاد
ولما حل اليوم السابع خفت وطأة زوابع الطوفان في شدتها
وقد كانت تفتك كالجيش في الحرب العوان
ثم هدأ البحر وسكنت العاصفة وغيض عباب الطوفان [35]
وتطلعت إلى الجو، فوجدت السكون عاماً
ورأيت البشر وقد عادوا جميعاً إلى طين
وكالسقف كانت الأرض مستوية
فتحت كوة طاقتي فسقط النور على وجهي [36]
سجدت وجلست أبكي

فأنهمرت الدموع على وجهي
وتطلعت إلى حدود سواحل (البحر)
وفي كل ناحية من النواحي الأربع عشرة
ظهر جبل (جزيرة) [37]
واستقر الفلك على جبل «نصير» [38]..
لقد ضبط (مسك) جبل نصير السفينة ولم يدعها تجري
ومضى يوم ويوم ثان وجبل «نصير» ممسك بالسفينة فلم تجر
ومضى يوم ثالث ورابع وجبل «نصير» ممسك بالسفينة فلم يدعها تجري
وكان يوم خامس وسادس وجبل نصير ممسك بالسفينة
ولما حل اليوم السابع أخرجت حمامة وأطلقتها (تطير)
طارت الحمامة ولكنها عادت [39]
رجعت لأنها لم تجد موضعاً تحط فيه
وأخرجت السنونو وأطلقته
ذهب السنونو وعاد لأنه لم يجد موضعاً يحط فيه
ثم أخرجت غرابا وأطلقته [40]
فذهب الغراب، ولما رأى المياه قد قرت وانحسرت
أكل وحام وحط ولم يعد
وعند ذاك أخرجت كل ما في السفينة إلى الرياح الأربعة
وقربت قرباتا

وسكبت الماء المقدس على زقورة (قمة) الجبل [41].
ونصبت سبعة وسبعة قدور للقرابين [42]
وكدست أسفلها القصب وخشب الأرز والآس
فتنسم الآلهة شذاها
أجل تشمم الآلهة عرفها الطيب
فتجمع الآلهة على صاحب القربان كأنهم الذباب
ولما حضرت الآلهة العظيمة (عشتار)
رفعت عقد الجواهر الذي صاغه لها «آنو». وفق هواها،
وقالت: ـ
«أنتم أيها الآلهة الحاضرون: كما أنني لا أنسى عقد اللازورد
هذا الذي في جيدي
سأظل أتحسس (أذكر) هذه الأيام ولن أنساها أبداً [43]
ليتقدم الآلهة إلى القرابين
أما «أنليل» فحذار أن يقترب من القرابين
لأنه لم يتروَّ فأحدث عباب الطوفان
وأسلم أناسي (خلقي) إلى الهلاك»
ولما أن جاء انليل وأبصر الفلك غضب
وامتلأ حنقا على آلهة الـ «ابكَيكَي» [44] وقال:
«عجبا كيف نجت نفس واحدة،
وكان المقدر ألا ينجو بشر من الهلاك؟
ففتح الإله «ننورتا» [45] فاه وقال مخاطباً البطل «أنليل»:

من ذا الذي يستطيع أن يدبر مثل هذا الأمر غير (إِيا)؟
أجل ان «إِيا» هو الذي يعرف خفايا الأمور
وعند ذاك فتح «إِيا» فاه وقال مخاطباً «أنليل» البطل:
«أيها البطل! أنت أحكم الآلهة
فكيف لم تترو فأحدثت عباب الطوفان؟
حمل المخطيء وزر خطيئته
وحمل المعتدي إثم اعتدائه
ولكن إرحم (في العقاب) لئلا يهلك،
وتشدد لئلا يمعن في الشر
ولو أنك بدلاً من إحداثك الطوفان
سلطت السباع على الناس فقللت من عددهم [46]
ولو أنك بدلاً من إحداثك الطوفان
سلطت الذئاب فقللت من عدد الناس
وبدلاً من الطوفان لو أنك أحللت القحط في البلاد
وبدلاً من الطوفان لو أن «إِيَّرا» [47]، فتك بالناس
أما أنا فلم أفش سرِ الآلهة العظام
ولكنني جعلت «أترا ـ حاسِس» [48] يرى رؤيا
فأدرك سر الآلهة
والآن تدبر أمره وقرر مصيره»
«ثم علا (صعد) «أنليل» فوق السفينة
وأمسك بيدي وأركبني معه في السفينة

وأركب معي أيضاً زوجي وجعلها تسجد بجانبي
ووقف ما بيننا ولمس ناصيتينا وباركنا قائلاً :
«لم يكن «أوتو ـ نبشتم» قبل الآن سوى بشر
ولكن منذ الآن سيكون «أوتو ـ نبشتم» وزوجه مثلنا نحن الآلهة
وسيعيش «أوتو ـ نبشتم» بعيدا عند «فم الأنهار»
ثم أخذوني بعيداً وأسكنوني عند «فم الأنهار»
والآن من سيجمع الآلهة من أجلك في مجلسهم (يا جلجامش)
لكي تنال الحياة التي تبغي؟
تعال (أمتحنك) ! لا تنم ستة أيام وسبع أمسيات»
ولكن وهو لا يزال قاعداً على عجزه إذا بسنة من النوم
تأخذه وتتسلط عليه كالضباب
فالتفت «أوتو ـ نبشتم» إلى امرأته وخاطبها قائلاً :
«انظري (وتأملي) هذا الرجل البطل الذي ينشد الحياة!
لقد أخذته سنة من النوم وتسلطت عليه كالضباب»
فأجابت زوج «أوتو ـ نبشتم» زوجها وقالت له :
«ألمس الرجل كيما يستيقظ
ويعود أدراجه سالماً في الطريق الذي جاء منه
ليعد إلى وطنه من الباب الذي خرج منه»
فأجاب «أوتو ـ نبشتم» امرأته وقال لها :

«لما كان الخداع من طبيعة البشرية فإنه سيخدعك[49]
«فهلمي أخبزي له أرغفة من الخبز وضعيها عند رأسه
والأيام التي ينام فيها أشريها في الجدار»
فخبزت له أرغفة من الخبز ووضعتها عند رأسه
وأشرت في الجدار الأيام التي نامها
فصار الرغيف الأول يابسا وتلف الرغيف الثاني
والثالث لم يزل رطباً
وأبيضت قشرة الرغيف الرابع
والخامس لم يزل طريا والسادس قد تم خبزه في الحال
ولما كان الرغيف السابع لا يزال على الجمر لمسه فاستيقظ [50]
(ولما استيقظ) جلجامش قال لـ «أوتو ـ نبشتم»، القاصي :
«لم تكد تأخذني سنة من النوم حتى لمستني فأيقظتني» :
فأجاب «أوتو ـ نبشتم» جلجامش قائلاً :
«يا جلجامش عد أرغفتك
فيتبئك المؤشر على الحائط عدد الأيام التي نمت فيها
فقد يبس رغيفك الأول والثاني لم يعد صالحاً
والثالث لا يزال رطباً وأبيضت قشرة الرابع والخامس لا يزال طرياً
والسادس خبز في الحال. والسابع ـ إذا بك تستيقظ في الحال»

فقال «جلجامش» لـ أوتو ـ نبشتم» ، القاصي :
«ماذا عساي يا «أوتو ـ نبشتم» أن أفعل وإلى أين أوجه وجهي ؟
وها أن «المثكل» [51] قد تمكن من لبي وجوارحي
أجل! في مضجعي يقيم الموت
وحيثما أضع قدمي يربض الموت»
ثم قال «أوتو ـ نبشتم» إلى «أور ـ شنابي» الملاح :
«يا «أور ـ شنابي»، عسى أن لا يرحب بمقدمك المرفأ
ويبرأ منك موضع العبور!
ولتذهب مطروداً من الشاطيء
والرجل الذي قدته إلى هنا ،
والذي يغطي جسمه الوسخ
وشوهت جمال أعضائه أردية الجلود
خذه يا «أور ـ شنابي» ، وقده إلى موضع الإغتسال
ليغسل في الماء أوساخه حتى يصبح نظيفاً كالثلج
لينزع عنه جلود الحيوانات وليرمها في البحر حتى يتجلى جمال جسمه
ودعه يجدد عصابة رأسه
وليلبس حلة تستر عريه
وإلى أن يصل مدينته ،
وحتى ينهى طريق سفره

لا تدع آثار العتق تبدو على حلته
بل لتحافظ على جدتها [52]
فأخذه «أور ـ شنابي» إلى موضع الإغتسال [52]
وغسل أوساخه في الماء حتى بدا نظيفاً كالثلج
وخلع عنه لباس الجلود فجرفها البحر
حتى تجلى جمال جسمه
وجدد عصابته (عمامته) حول رأسه
وألبسه حلة كست عريه
و إلى أن يصل إلى مدينته وينهي طريق سفره
جعل ثيابه جديدة على الدوام»
ثم ركب جلجامش و «أور ـ شنابي» في السفينة
وأنزلا السفينة في الأمواج وتهيئا للإبحار
(و إذا ذاك) خاطبت إمرأة «أوتو ـ نبشتم» زوجهاو قالت له :
«لقد جاء جلجامش إلى هنا وقاسى التعب واشتطت به النوى
فماذا عساك أن تعطيه وهو عائد إلى بلاده ؟»
وكان جلجامش في تلك اللحظة قد رفع المردي
ليقرب السفينة إلى الشاطيء
(فأدركه) «أوتو ـ نبشتم» وخاطبه قائلاً :
لقد جئت يا جلجامش إلى هنا وقاسيت التعب
فما عساني أن أعطيك حتى تعود إلى بلادك؟

سأفتح لك، يا جلجامش، سراً خفياً
أجل! سأكشف لك عن سر من أسرار الآلهة!
يوجد نبات مثل الشوك ينبت في المياه
وشوكه يخز يديك كما يفعل الورد
فإذا ما حصلت يداك على هذا النبات وجدت الحياة (الجديدة)»
وما أن سمع جلجامش هذا القول
حتى فتح المجرى الذي أوصله إلى المياه العميقة
وربط بقدميه أحجاراً ثقيلة
ونزل إلى أعماق المياه حيث أبصر النبات
فأخذ النبات الذي يخز يديه
وقطع الأحجار الثقيلة من قدميه
فخرج من عمق البحر إلى الشاطيء
ثم قال جلجامش لـ «أور ـ شنابي»، الملاح:
«يا «أور ـ شنابي»، إن هذا النبات عجيب
يستطيع المرء أن يعيد به نشاط الحياة
وسيكون اسمه: «يعود الشيخ إلى صباه كالشباب»
لأحملنه معي إلى «أوروك»، المحصنة
وأشرك معي (الناس) ليأكلوا منه
وأنا سآكله (في آخر أيامي) حتى يعود شبابي»[53]

ثم سارا وبعد أن قطعا عشرين ساعة مضاعفة تبلغا بلقمة من الزاد
وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليبيتا الليل
وأبصر جلجامش بئراً باردة الماء
فورد (نزل) فيها ليغتسل في مائها
فشمت الحية شذى (نَفَس) النبات
فتسللت واختطفت النبات
ثم نزعت عنها جلدها (54)
وعند ذاك جلس جلجامش وأخذ يبكي
حتى جرت دموعه على وجنتيه
وكلم «أرو ـ شنابي» ، الملاح قائلاً :
«من أجل مَنْ يا «أور ـ شنابي» كلت يداي؟
ومن أجل من استنزفت دم لبي (قلبي) ؟
لم أحقق لنفسي مغنما
أجل! لقد حققت المغنم إلى «أسد التراب» (55)
أفبعد عشرين ساعة مضاعفة (56)
يأتي هذا المخلوق فيخطف النبات مني؟
وقد سبق لي أني لما فتحت منافذ الماء
وجدت أن هذا نذيراً لي أن أتخلى (عن مطلبي)
وأترك السفينة في الساحل (57)»
وبعد مسيرة عشرين ساعة مضاعفة تبلغاً بلقمة من الزاد

وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفاً ليبيتا الليل
ثم وصلا إلى «أوروك» ، ذات الأسوار
فقال جلجامش لـ «أور ـ شنابي» ، الملاح :
أعلُ يا أور ـ شنابي ، وتمشَّ فوق أسوار «أوروك»
وافحص قواعد أسوارها وانظر إلى آجر بنائها ،
وتيقن أليس من الآجر المفخور
وهلا وضع الحكماء السبعة أسسها [58]
ان «شارا» واحداً خصص للسكن
«وشارا» واحدا لبساتين النخل
و «شارا» واحدا لسهل الري ، بالإضافة إلى حارة معبد «عشتار»
فتتضمن أوروك ثلاثة «شارات» [59] والحارة .

تذييل ! «اللوح الحادي عشر من «هو الذي رأى
كل شيء» ، من «سلسلة ، جلجامش»
استنسخ طبق الأصل وحقق
مكتبة (قصر) آشور بانيبال ، ملك العالم ، ملك بلاد آشور

الهـوامـش :

(1) لأنهما كانا يمخران في «مياه الموت» فإن جلجامش لم يستعمل المردي الواحد إلا لدفعة واحدة، إذ أنه بعد أن يغطس معظم طوله في الماء يرميه فيه مخافة أن تلمس يده مياه الموت. و «المردي» وجمعه «مرادي» أو «مراريد»، لا يزال يستعمل في العراق في دفع السفن النهرية.

(2) قارن سفر الجامعة 1 : 4، 11

(3) قارن سفر الجامعة 1 : 4، 11

(4) الـ «انوناكي» اسم جنس عام يطلق على مجموع الالهة، وبوجه خاص آلهة العالم الاسفل بوصفها قضاة ذلك العالم.

(5) قارن سفر التثنيه 30 : 19.

(6) بهذا السطر يبتدى اللوح الحادي عشر، وفي نهاية اللوح العاشر يوجد سطر التذليل المألوف: «اللوح العاشر» من «هو الذي رأى كل شيء» من «سلسلة جلجامش»، مكتبة (قصر) آشور بأنيبال، ملك العالم، ملك البلاد آشور.

(7) «شروباك»، وتعرف اطلالها الآن بإسم تل «فاره» بالقرب من مدينة الوركاء (على بعد نحو 18 ميلا، أي 35 كم إلى الجهة الشمالية الغربية)، وكانت من المدن السومرية الشهيرة، وموطن بطل الطوفان البابلي «أوتو ـ نبشتم»، وجاء ذكرها في اثبات الملوك السومرية من بين المدن الخمس التي حكمت فيها سلالات ما قبل الطوفان. أما هذه المدن فهي بالترتيب: «أريدو» (أبو شهرين) ثم «بادتبيرا» (يرجع أن بقاياه تعرف الان بإسم المدينة في منطقة لجش) واراك» (لعل موقعها في منطقة ناحية الحسينية من الكوت) و «سبار»، ثم «شروباك»، وتعطى أثبات الملوك السالفة الذكر لحكم سلالات هذه المدن 241200 عام. وستأتي الإشارة في الملحمة إلى أن الالهة كانوا يحكمون في شروباك في ازمان ما قبل الطوفان حيث كانت الملوكية بيد الالهه وبعد حدوث الطوفان صعدت الملوكية إلى السماء ثم عادت إلى الأرض من بعد الطوفان، وكانت أول سلالة حكمت بعد الطوفان سلالة «كيش» الاولى.

(8) بعضهم يترجم هذا بمأمور أو موظف خاص بالري.

(9) الخطاب، كما هو واضح من النص، موجه بطريق التورية إلى صاحب الكوخ أي

«أوتو ـ نبشتم» (من قبيل : «واسأل القرية» أي أهل القرية ، «أوبار ـ توتو» كان ايضاً أحد الملوك القدامى وأنه حكم في شروباك مدى طويلاً .

(10) قارن نص التوراة ، سفر التكوين 6 : 14 .

(11) أيضًا سفر التكوين6 : 19 ـ 20 (أنظر الملحق) .

(12) سفر التكوين 6: 15 (أنظر الملحق) .

(13) مياه العمق الـ «أبسو» ، وكانت في اعتقاد العراقيين القدماء ، المياه الجوفية السفلى ، حيث موطن اله الماء «أيا» ، وقد يعتون بـ «أبسو» ، مياه المحيط الأسفل ، حيث اعتقدوا أن الانهار والأهوار تخرج من تلك المياه .

(14) إستعمل الكاتب هنا تورية من الكلمتين البابليتين (Kibati) و (Kukku) اللتين تعنيان معنى مزدوجاً ، أما الطعام أو الهلاك وقد قصدو الاله «إيا» من هذه التورية أن يفهم عامة الناس أن هذه بشرى بالخير. أما بالنسبة إلى «أوتو ـ نبشتم» فيعنى وقوع الطوفان الذي كان على وشك الحدوث .

(15) أي هيكل السفينة وقد أثبتنا الكلمة البابلية «بنية» التي تعني المعنى نفسه بالعربية .

(16) الـ «أيكو» البابلي مساحة سطحية تعادل نحو 3600 مترا مربعاً أي نحو «أيكر» واحد (يساوي الابكر نحو 4000 م 2). أما الذراع البابلية فتساوي نحو نصف متر (أي بقدر الذراع العربية تقريباً) ، وبما ارتفاعها 60 م (120 ذراعاً) فيكون شكل سفينة «أوتو ـ نبشتم» مكعباً منتظماً وسعتها نحو 216000 متر مكعب . قارن بهذا الصدد أبعاد سفينة نوح كما وردت في سفر التكوين 6: 15 .

(أنظر الملحق ، وأيضاً Schott, Das Gilgamesh Epos, 88 .

(17) أي أن كل طابق من الطوابق السبعة قسمه «أوتو ـ نبشتم» إلى تسعة أقسام أو مقاصير.

(18) قارن سفر التكوين (6: 16). ومصطلح «أوتاد الماء» واضح ، وهذا ما يستعمل في بناء السفن بغرز حشوات خشبية في الفواصل مابين الألواح لمنع الماء من النفاذ اليها وفي الأصل البابلي «سكك» أو «سكات» بالجمع .

(19) الـ «شار» البابلي كيل أو قياس حجم بالإضافة إلى أنه مساحة سطحية .

(20) قارن سفر التكوين 6 : 21 [أنظر الملحق]

(21) سفر التكوين 6 : 21.

(22) سفر التكوين 7 : 7 ـ 8

(23) في الموارد السابقة كان «أيا» هو الاله الذي أنذر «أوتو ـ نبشتم» بموعد حدوث الطوفان، فهل يعني إدخال الاله «شمش» بدله في هذا السطر وجود نص ثان للملحمة.

(24) في الأصل «القصر» أي «الهيكل»، أي السفينة.

(25) يذكرنا هذا التعبير الذي ورد كذلك في مواطن أخرى من الملحمة ولا سيا بعد موت أنكيدو بالتعبير الهوميري في الأودية وهو (أصبع الفجر الوردي)

(The roseyfinger of the dawn)

(26) سفر التكوين 7 : 11.

(27) الإله «أدَدْ» اله الزوابع والرعود.

(28) من رسل الإله «ادَدْ» الذي سبق أن قلنا أنه اله الرعود والبروق والزوابع.

(29) ايراكال، من آلهة العالم الأسفل، وأحد أسماء الاله «نرجال» (نرجول في التوراة)، إله العالم الاسفل، ولعل المقصود بالأعمدة هنا «دعائم سد العالم الأسفل»، الذي يحبس المياه الجوفية المسفلى.

(30) الريح الجنوبية في العراق أو بالأحرى الجنوبية الشرقية التي تسمى «شرجي» [شرقي] هي الرياح الممطرة عادة، وهي الرياح التي تهب من جهة الخليج ومنطقة الاهوار.

(31) سفر التكوين 7 : 20 ـ 23.

(32) «آنو» اله السماء أو الاله السماء. وكانت سماء «آنو» بحسب تصور العراقيين القدماء أعلى سماء من السماوات السبع.

(33) سفر التكوين 7: 23.

(34) سفر التكوين 8 : 21.

(35) سفر التكوين 8: 1ـ2.

(36) سفر التكوين 8 :6.

(37) وفي إحدى الترجمات: «وظهر جبل في كل من الإثنتي عشرة ناحية» على أننا آثرنا

أن نترجم الكلمة الأكدية الواردة وهي «ناكّو» (nagû) الجزيرة، وهذا معناها المألوف وقد تعني «ناحية» أو شاطىء (ANET, 3, p. 94).

(38) قارن رواية سفر التكوين (8 : 4، انظر الملحق) حيث الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح جبال «اراراط»، اسم أرمينية القديم «أورارطو»، وإذا صحت قراءة إسم الجبل في الملحمة «نصير» فلعل معناه «جبل الخلاص». وورد إسم جبل نصير في أخبار الملك الآشوري «آشور ناصربال» الثاني (883 ـ 859 ق. م)، وأنه يقع بموجب هذه الأخبار إلى جنوبي وادي الزاب الصغير، وقد ذكر مصحوبا بإسم «الكوتيين»، وقد عينه بعض الباحثين بجبل (بيره مكّرون)، الجبل الشهير القريب من السليمانية، الذي يرتفع نحو 9 الاف قدم، ويبعد عن «شروباك» موطن «أوتو ـ نبشتم» بنحو 450كم إلى الجهة الشمالية الشرقية، وكان يعرف إلى عهد قريب أيضاً بإسم «بير عمر كودرون»، وجاء إسم الجبل الذي استقرت علي سفينة نوح البابلي بحسب رواية «بيروسوس» (برعوشا، الكاتب البابلي، القرن الثالث ق. م) بإسم جبل الـ «كوردين» أي جبل الاكراد، وفي المآثر العربية (القرآن الكريم) والمآثر السريانية كان الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح جبل الجودي.

(39) سفر التكوين 8: 8 ـ 10(أنظر الملحق حول الطيور التي اطلقها نوح).

(40) في سفر التكوين 8 : 7 وصف حدث إطلاق الطيور في التوراة باسهاب، فبعد أربعين يوماً من بدء الطوفان وعند ظهور قمم الجبال أطلق نوح غراباً، فظل هذا الطائر يحوم حتى انحسار الطوفان ولم يعد إلى السفينة، وبعد سبعة أيام أطلق نوح حمامة، وهذه لم تجد موضعاً تحط فيه فعادت (8: 8 ـ 9)، وبعد سبعة أيام أخرى أطلق نوح حمامة أخرى فوجدت هذه طعاما وبعض المواضع اليابسة ولكنها عادت حاملة معها غصن زيتون أخضر (8 : 10 ـ 11). وبعد سبعة أيام أيضاً أطلق حمامة ثالثة (8: 11) لم ترجع اليه، فتأكد من أنحسار المياه حتى من الإجراء الواطئة من الأرض.

(41) سفر التكوين (8 : 19 ـ 20).

(42) التعبير سبعة وسبعة لرقم 14 ذو مغزى حضاري فإن التعبير نفسه نجده مستعملاً في لغة الطقوس الدينية عند اليونان (DIS HEPTAL)

وهذا من جملة الادلة الكثيرة على مواطن الشبه والإتصال بين ملحمة جلجامش وأساطير اليونان وآدابها. ، حول ذلك راجع:

C. H. Gordon, Before The Bible (1962)

(43) يقارن بعضهم هذا العمل من جانب الآلهة «عشتار»، بقوس قزح الوارد ذكره في التوراة والذي كان آبا عهد الله إلى نوح وذريته بعدم تكرر حدوث الطوفان (سفر 9: 8 ـ 17. أنظر الملحق).

(44) اسم جنس عام يطلق على جميع آلهة السماء.

(45) «ننورتا»، ابن الاله «أنليل»، ورسول الآلهة واله الحرب.

(46) قارن سفر الجامعة 14: 13 ـ 21.

(47) «أيرّا»، إله الوباء والطاعون.

(48) سبق أن ذكرنا «اترا ـ حاسِس» (ومعناه بابلية المفرط في الحس والفهم أي الحكمة)، وهي صفة أو إسم آخر لبطل الطوفان «أوتو ـ نبشتم». وتوجد قصة بابلية أخرى عن الطوفان تدور على اترا ـ حاسس وقد جاء فيها أن الآلهة سلطت على البشر لمعاقبتهم وأفنائهم عدة آفات من بينها القحط والوباء وأخيراً الطوفان.

(49) قارن عبارة التوراة، سفر التكوين 8: 21.

(50) أي أن أوتو ـ نبشتم لمس جلجامش.

(51) «المتحكم» أو المفرق أو المثكل، كناية عن الموت.

(52) يرى بعض الباحثين أن هذا كان محاولة أولى يقوم بها «أوتو ـ نبشتم» ليجعل جلجامش دائم الشباب بإغتساله في «مياه الشباب» واكسائه بلباس «الشباب» الدائم، قبل أن يدله على النبات الذي يجدد الشباب، مما سيأتي ذكره في الاسطر التالية (قارن ذلك بالاسطورة الخاصة بالاسكندر الكبير من بحثه عن نبع الحياة في بحر الظلمات).

(53) يتضح من الوصف أن خاصية هذا النبات السحري تجديد الشباب وأنه ينبغي أن يؤكل بعد أن تدرك المرء الشيخوخة، وقد ترجمه البعض نبات «العجرم» (Buckthorn) ولهذا لم يأكل منه جلجامش بل انتظر حتى يعود إلى مدينته الوركاء ويستعمله متى ما أدركته الشيخوخة، كما يبدو أنه صمم على زرعه في بلاده لتكثير نوعه.

(54) ان الحية استطاعت بتأثير ذلك النبات السحري أن تجدد شبابها بنزع جلدها كل عام، ومن هذه الأسطورة نشأت عادة اتخاذ صورة الحية رمزاً للحياة والشفاء والطب. كما يجدر ربط هذه الحادثة الأسطورية بالعداء الذي استحكم بين الحية وأولاد حواء من بعد الاغواء حيث أمر الله بذلك وكان من بين العقوبات التي فرضها على آدم وحواء وذريتهما من بعد أكلهما من شجرة الجنة المحرمة.

(55) من نعوت الحبة عند العراقيين القدماء.

(56) السياق يقتضي خمسين ساعة مضاعفة.

(57) فسر جلجامش إخفاقه بأنه نذير له أن يترك السفينة ويعود براً مع الملاح «أور ـ شنابي» الذي نفاه سيده «أوتو ـ نبشتم» فجاء مع جلجامش.

(58) يعود المؤلف إلى بداية الملحمة، كما نوهنا بذلك في المقدمة.

(59) الشار أو السار مساحة سطحية تساوي نحو 35 متراً مربعاً. وبالنظر إلى سعة مدينة الوركاء فالمحتمل أن هناك خطأ في الكتابة أو في التقدير ولعل المقصود هنا وحدة مساحة أكبر يرجح أن تكون «كَان» أي «ايكو» الذي يساوي (100) سار، وبذا تكون المساحة اقرب إلى الحقيقة، أي مساحة المدينة التي محيطها يبلغ نحو 8,5 كم.

الملاحق

الملحق الأول
اللوح الثاني عشر من الملحمة

لقد سبق أن ذكرنا أن اللوح الثاني عشر من مجموعة الألواح الاثنى عشر المسماة «سلسلة جلجامش» لا يمت بصلة في حوادثه إلى مادة الملحمة، ولكنه أدمج فيها دمجاً إصطناعياً، ولعل المناسبة أو الصلة في ذلك أنه بعد أن عاد جلجامش خائبا من نيل الخلود صار شغله الشاغل التفكير بمصيره في عالم ما بعد الموت فجاء وصف ذلك العالم. وهو موضوع اللوح الثاني عشر، وحال الموتى فيه بإستعادة حادثة نزول صديقه «أنكيدو» إلى ذلك العالم، محققاً لسان حاله:

لو جاء من أهل البلى مخبر — سألت عن قوم وأرخت
هل فاز بالجنة عمالها — أو هل ثوى بالنار نوبخت [1]

ومع أن هذا اللوح لم يدرج في ترجمة الملحمة في كثير من الترجمات التي عددناها إلا أننا إرتأينا أن نورد خلاصة له في نهاية الترجمة إتماماً للفائدة.

ومما يقال بوجه الإجمال أن هذا اللوح يكاد يكون ترجمة بابلية حرفية لأصل سومري يدور على الأعمال البطولية المنسوبة إلى

جلجامش وصديقه «أنكيدو»، ولا سيما قصة نزول «أنكيدو» إلى عالم الموتى أو العالم الأسفل، ولكن يوجد نقص يناهز نحو إثنى عشر سطراً من أول هذا اللوح وقد أصبح من المرجح أن هذه الأسطر المخرومة تحتوي على نفس المادة الموجودة في الأصل السومري [2] الذي تبدأ حوادثه من زمن الخليقة بعد إنفصال السماء عن الأرض وخلق البشر. وبعد أن تقاسم الآلهة العظام أجزاء الكون ومسؤولياتها واختص كل منهم بجزء منه، حدث في تلك لأزمان أن شجرة إسمها بالبابلية خُلبّو Huluppu لعلها الصفصاف (أي الخلاف العربية) قد أقتلعتها الريح الجنوبية وجرفها نهر الفرات، وحين أوصلها التيار إلى مدينة «أوروك»، رأتها الآلهة «أنانا» (عشتار البابلية) حينما كانت تتمشى على ضفاف النهر فانتشلتها من الماء وأخذتها إلى بستانها المقدسة في «أوروك» وتعهدتها بالرعاية لتصنع من خشبها سريرا وكرسيا لها. ولكن لما كبرت الشجرة لم تستطع «أنانا» أن تحقق ذلك الغرض لأن تعباناً اتخذ أسفلها مأوى له كما اتخذ أعلاها طير الصاعقة «زو» عشا لصغاره واتخذت وسطها الشيطانة «ليلث» مأوى لها [3] فحزنت «إنانا» (عشتار) لما حل بشجرتها ولما سمع جلجامش بمحنتها خف لنجدتها وهجم على الثعبان وذبحه كما فر طير الصاعقة ومثل ذلك فعلت الجنية «ليلث» ثم عمد جلجامش ومعه رجال «أوروك» على قطع الشجرة وتسليمها إلى عشتار لتصنع منها السرير

والكرسي. وبالإضافة إلى ذلك صنعت عشتار من القسم السفلي من الشجرة ومن قسمها العلوي آلتين غريبتين ما أمكن ترجمتهما، وإسم أولاهما «يكو» والثانية «مكو» [4]، أهدتهما إلى جلجامش. ولكن حدث لسوء الحظ إن هاتين الآلتين سقطتا في أحد الأيام في العالم الاسفل، ولم يستطع استعادتهما من ذلك العالم فحزن حزناً عظيماً بحيث صار يندبهما.

وإلى هنا ينتهي النص السومري، ولكن يبدأ نص اللوح الثاني عشر من ألواح سلسلة جلجامش. ويبدأ هذا اللوح (من بعد انخرام 12 سطراً منه) بحزن جلجامش على فقدان آلتيه الـ «يكو» والـ «مكو» فتطوع صديقه «أنكيدو» لنجدته بأن نزل إلى العالم الأسفل لجلب تينك الآلتين، وهنا نجد جلجامش يحاور «أنكيدو» ويرشده إلى ما ينبغي له أن يسلك في ذلك العالم:

«إذا إعتزمت النزول إلى العالم الأسفل
فسأقول لك كلمة فاتبع كلمتي
سأرشدك فسر وفق إرشادي
لا تكتس بالحلة النظيفة الزاهية
فتبدو نزيلا غريبا عنهم
«لا تمسح جسمك بالزيت الفاخر
لئلا يجتمعوا حولك بسبب عطره
لا ترمِ عصا في العالم الأسفل.

مخافة أن تصيب بعضهم فيحيطوا بك
لا تأخذ بيدك عصا
وإلا فإن الأرواح سترتجف منك
لا تلبس نعلا في قدميك
ولا تحدث صوتا في العالم الأسفل
وإذا وجدت الزوجة التي تحبها فلا تقبلها
والزوجة التي تبغضها لا تضربها
ولا تقبل الإبن الذي تحب
ولا تضرب الإبن الذي تكره
وإلا فإن بكاء العالم الأسفل سيغلبك»

ولكن «أنكيدو» لم يأخذ بنصح سيده «جلجامش» بل سار على عكس الوصايا التي أوصاه بها فلبس حلة فاخرة ومسح جسمه بالزيت الطيب فتجمع حوله سكان العالم الأسفل. وقذف بالعصا فأحاط به من أصابهم، وأخذ معه عصا فأرتجفت الأرواح قدامه، ولبس الخف بقدميه وأحدث صوتاً في العالم الأسفل، وقبل المرأة التي أحب وضرب المرأة التي أبغض وقبل الإبن الذي أحب وضرب الإبن الذي كره، فغلبه صراخ العالم الأسفل وعويله.

ولهذا قررت ملكة العالم الأسفل بأن لا يخرج أنكيدو من ذلك العالم لأن سنة ذلك العالم أن من دخله لا يرجع منه [5].
فصار جلجامش يندبه ويبكيه، وقصد معبد الإله «أنليل»

في مدينة «نُفَّر»، المسمى «إِي ـ كور»، وبث شكواه وتضرعه إلى الإله «أنليل» من ضياع آلتيه الـ «يكو» والـ «مكو»، في العالم الأسفل، وكيف أمسك هذا العالم بصديقه «أنكيدو» الذي نزل إليه ليرجعهما له. ولكن الإله «أنليل» لم يسعفه فذهب إلى مدينة «أور» وقصد معبد اِلهها «سين» وشكا إليه حاله والتمس عونه، فلم يستجب إليه هذا الإله، فقصد معبد الإله «إِيا» المسمى «اِي ـ أيسو»، في مدينة «أريدو» وطلب منه العون فأستجاب له بأن طلب من إله العالم الأسفل «نرجال» أن يحدث فتحة صغيرة من العالم الأسفل حتى تخرج منها روح «أنكيدو» وتخبر صديقه جلجامش بأحوال ذلك العالم، ففعل «نرجال» ذلك، فخرجت روح أنكيدو أو شبحه كأنها هبة الريح فتعانق الصديقان وأخذ جلجامش يسأل شبح صديقه:

«أخبرني ياصديقي عن أحوال العالم الأسفل الذي رأيت»

فأجابه صديقه:

«لن أقص عليك أخبار العالم الاسفل ياصديقي
وإذا كان لابد من إخبارك فعليك أن تجلس وتبكي

فأجابه جلجامش: «سأجلس وأبكي»

فأخذ شبح أنكيدو يشرح له الصور القاتمة التي وجدها للعالم الأسفل:

«إن جسمي الذي كنت تلمسه يوم كان قلبك تغمره الأفراح،
يلتهمه الدود الآن كما لو كان لباسا خلقا».
فصرخ جلجامش يا ويلتاه وتمرغ في التراب
صرخ (جلجامش) ورمى نفسه في التراب وخاطب شبح أنكيدو:
هل رأيت الذي قتل في المعركة (؟)
أجل، لقد رأيت. أبوه وأمه يرفعان رأسه
وتنوح عليه زوجته
وهل رأيت من ترك جثمانه في البرية (؟)
أجل لقد رأيت. إن روحه لا تجد الراحة في العالم الاسفل
هل رأيت من لايوجد أحد يقرب لروحه؟
أجل لقد رأيت. إن روحه تأكل من حثالة الاوعية وكسرات الخبز وفضلات الشوارع.
« هل رأيت الذي لا ولد له؟»
أجل رأيته (وطعامه التراب والطين)
هل رأيت الذي خلف وراءه إبنا واحدا
«أجل لقد رأيته وهو ممدد أسفل الجدار ويبكي بكاء مرا»
والذي خلف إبنين هل رأيت؟
أجل لقد رأيته، انه يضطجع في بناء من الأجر ويأكل الخبز

هل رأيت الذي خلف ثلاثة أبناء؟
أجل رأيت. إنه يسقى الماء من زقاق ماء العمق.
والذي له أربعة أبناء هل رأيت؟
أجل شاهدته وهو فرح القلب
وهل رأيت الذي خلف خمسة أبناء
نعم رأيته وهو كالكاتب السعيد ويده مبسوطة ويسمح له بدخول القصر.

ثم يسأله عن الذي خلف ستة وسبعة وثمانية ولكن ينخرم النص في الإجابة فلا يعلم حالهم في عالم الأموات ولكن بالقياس إلى قاعدة أن كثرة الأولاد مدعاة لرفاه الميت فلا بد أن يكون الجواب كذلك [6]. ثم يسأله عن حالات غير معروفة لانخرام النص أيضا وأوضحها التي ترجمناها مثل سؤاله عن الذي قتل في المعركة حيث شاهده بصحبة أبويه، ولكن زوجه تبكي عليه، وسأله عن الذي لم يدفن فأجابه أن روحه لاقرار لها في عالم الأموات، وسأله عن الذي لايقرب له أخد من بعد موته فأجابه بأنه يأكل الفضلات التي ترمى في المزابل وينتهي اللوح الثاني عشر بالتذييل المألوف « اللوح الثاني عشر من سلسلة هو الذي رأى كل شيء. وفي نص آخر: « اللوح الثاني عشر من سلسلة جلجامش» وقد تمت.

الهوامش :

(1) أبو العلاء المعري .

(2) أنظر الأصل السومري في :

S. N. Kramer, Gilgamesh and the Huluppu Tree

وكتاب المؤلف نفسه المعنون :

Sumerian Mythology (1944) . 30 tt.

وملحمة جلجامش للأستاذ «هايدل» .

Alexander Heidel, The Gilgamesh Epic (1949).

(3) قارن سفر أشعياً 34 : 14. وقارن الأخبار العربية في إتخاذ الشياطين الأشجار مأوى لها وقد قضى على بعضها في صدر الإسلام .

(4) ترجم بعض الباحثين هاتين الآلتين بالطبل ومدق الطبل ، أنظر :

(Alexander Heidel, Op. Cit., p. 95.

(5) يشير إلى ذلك إسم العالم الأسفل باللغة السومرية : (KUR-NU-GI) ومرادفه باللغة البابلية «أرصة لاتاري» ، أي الأرض التي لا رجعة منها .

(6) ومما لا شك فيه أن منشأ هذه القاعدة أضطلاع ذرية الميت بتقديم القرابين إليه ، وكان هذا من الأسس المهمة في راحة الميت في عالم الأموات .

الملحق الثاني

إضافات جديدة إلى ألواح الملحمة

1ـ اللوح الأول:

سبق أن ذكرنا أن زهاء خمسين سطراً مخروما من اللوح الأول مما يكون ديباجة الملحمة قد أمكن إكمالها من اللوح الجديد المكتشف في نمرود (كالح) في أثناء تنقيبات البعثة البريطانية فيها، وقد أثبتنا ترجمتها والتعليق عليها.

2 ـ اللوح الخامس:

كنا قد ذكرنا إكتشاف ثلاث كسر مهمة من ألواح طينية تعود إلى اللوح الخامس. وقد عثر على إثنين منهما في تنقيبات مديرية الأثار العراقية في تل حرمل (1955ـ1956). أما الكسرة الأولى (ا) فقد نشرها الباحث Van Dijik في مجلة «سومر»، 15، (1959)، القسم الإنكليزي، ونشر الباحث نفسه الكسرة الثانية (ب) في المجلة نفسها المجلد 13 (1957) والمجلد 14(1958). وعلق عليها الباحث Van Soden في المجلة نفسها.

أما الكسرة الثالثة (جـ) فقد عثر عليها في تنقيبات المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو في تل «اشجالى» وقد نشرها (Th. Bauer) في مجلة

Journal of Near Eastern Studies, (1957) 254 ff.

وقد أضاف محتويات هذه الكسر الثلاث الأستاذ سبايزر (Speiser) إلى ترجمته للملحمة المنشورة في:

Ancient Near Eastern Texte (1969), 304 ff.

الكسرة «أ» (A)

أما الكسرة الأولى (أ) (A) فإنها في حالة مشوهة وناقصة بحيث يتعذر تقديم ترجمة لها، ولكن يمكن إيجاز محتوياتها بأنها تدور على وصول جلجامش وصاحبه «أنكيدو» إلى غابة الأرز، وهو الحدث الذي جاء في بداية اللوح الخامس.

الكسره «ب» (B)

تتضمن هذه الكسرة وصفا لحلم شبيه بما جاء في اللوح الخامس الأسطر 7ـ19، كما أن ما فيه يضاهي ما جاء في اللوح السادس من وصف ثور السماء. ولكنه جاء في هذه الكسرة وقد وقع في أثناء حلم رآه جلجامش وفسر له صديقه «أنكيدو». وندرج فيما يأتي ترجمة للأسطر الواضحة من نص هذه الكسرة [1] : ـ

إنهض وانظر إلى الجبال . .
لقد حرمت من نومي المقدس
ياصديقي رأيت رؤيا ولكنها تنذر بالشر وتبعث الهلع
(رأيت) أني أمسكت بثور وحشي في البرية
وهو يجأر بخواره ويثير الغبار الذي غطى السماء
لقد أصابني الهلع منه
لقد كان قويا مخيفاً . . .
لقد مزّق . . .
لقد هيأ طعاماً . . . لقد شرب وقدم لي
لقد شرب من ماء قربته
(وإلى هنا ينتهي مابقى سالما من وصف الحلم ويبدأ أنكيدو في تفسيره لحلم جلجامش) على الوجه الآتي : ـ
(إن الإله الذي ستذهب إليه يا صديقي
ليس ثوراً وحشياً وإن كانت هيئة جسمه غريبة
إن الثور الوحشي الذي رأيت هو «شمش» المضيء
سيأخذ بأيدينا عند الشدة
أما الذي أعطاك ماء من قربته لتشرب
فإنه الإله الذي سيجعلك تنال المجد
فعلينا أن نلازمه ونستعين به ـ إنه «لو كَال بنداً»

لنستطيع أن نأتي بالأعمال التي
لن تكون عاراً علينا من بعد الموت

الكسرة جـ (C) وتتضمن مقتل «خمبابا» [2](من تل اسجالي)

وجه اللوح

قال جلجامش لانكيدو:
سنصل إلى . . .
إن حزم الأشعة المتوهجة ستضطرب وتختفي
ستتلاشى الحزم المضيئة وسيصبح الضوء كدرا غائماً
أجاب «أنكيدو» جلجامش قائلاً : ـ
يا صديقي : إذا أمسكت بالطائر فإلى أين ستذهب صغار طيوره؟
فدعنا نبحث عن حزم الأشعة المضيئة من بعد ذلك .
فإنها مثل صغار الطير سوف تتنقل في الحشائش
أقتل أولا خواوا ، ثم إقضِ على أتباعه

قفا اللوح : ـ

إستمع جلجامش إلى قول صديقه
فأخذ الفأس بيده
واستل السيف من حزامه
طعنه جلجامش في الرقبة (طعن خواوا)
أما صديقـه «أنكيدو» . .

وفي الطعنة الثالثة سقط (خواوا)
لقد ضرب الحارس (خواوا) فسقط على الأرض
لقد ارتجت أشجار الأرز مسافة ساعتين مضاعفتين
لقد قتل «أنكيدو» معه . . .
قتل «أنكيدو» حارس الغابة
لقد ارتجفت من سيفه جبال لبنان (حرمون) [3]
وأصبحت الجبال جميعها . . .
وأصبحت جميع التلال . . .
. . . . (أربعة أسطر غير واضحة)
لقد كشف عن المسكن السري لآلهة «الانوناكي»
في حين أن جلجامش قطع الأشجار، وحفر أنكيدو الـ «اورمازيلي؟؟»
وقال أنكيدو لجلجامش . .
يا جلجامش . . . لقد اقتلعت أشجار الأرز
(البقية مشوهة لا تصلح للترجمة)

اللوح السابع :

اكتشف في الموضع الأثري المسمى «سلطانتبة» (القريب من حران في تركية) جزء من اللوح السابع يحتوي بهيئة غير كاملة على بقية كلام «أنكيدو» الموجه إلى الباب، ويكمل هذا النص الجديد النص المخروم الذي يسبق العمود الثالث من اللوح

السابع ووجد ما يضاهي نص «سلطان ثبة» كسرة يرجع عهدها إلى العصر البابلي الحديث [4]، وفيما يلي ترجمة الواضح من هذا النص الجديد: ـ

(من بعد بضعة أسطر مشوهة يستمر كلام «أنكيدو» الموجه الى الباب): ـ

أيها الباب إنني أنا الذي صنعتك وأنا الذي رفعتك
لعل ملكاً ممن سيأتي من بعدي
ولعل إله . . . .
عسى أن يزيل اسمي ويضع إسمه بدلاً منه
. . . . لقد مزق وحطم . . . .
وبينما كان يستمع إلى كلامه . . . أسرع . . .
وبينما كان جلجامش يصغى إلى كلام صديقه أنكيدو
أنهمرت دموعه
فتح جلجامش فاه وخاطب أنكيدو:
إن من يحوز على الحكمة قد يتفوه بأقوال غريبة
علام ياصديقي تصدر من قلبك أمور غريبة
لقد كان الحلم يتصف باليمن، ولكن كان الرعب عظيماً . .
ومع عظم الرعب والهلع فإن الحلم ينبأ باليمن
سيزول الهلع والرعب عن الأصحاء
لقد خلف الحلم الخوف عند الأصحاء

وإنني سأصلي وأدعو الآلهة العظام
(نحو 11سطراً مخروماً)
وحين ظهر ضوء النهار
رفع أنكيدو رأسه وهو يبكي أمام «شمش»
لقد جرت دموعه أمام ضوء شمش الباهر وخاطبه: ـ
أدعوك يا شمش من جهة الصياد الشرير.
إن الصياد الذي منعني من أن أصطاد كثيراً مثل صديقي
عساه ألا يجد صيداً كثيراً مثل صديقه

اللوح الثامن:

وقد إكتشف من هذا اللوح كسرة أيضاً في سلطان ثبة السالف الذكر [5] ويتضمن كلام جلجامش إلى أنكيدو وهو يسليه ويخفف ومن وطأة الحلم الذي رآه عن إقتراب موته:

وعندما نور النهار قال جلجامش لصديقه
يا أنكيدو أن أمك ظبية وأبوك حمار الوحش
قد زوداك. . . .
ولقد رباك من لهم ذيول الماشية
في البرية وفي المراعي
عسى آثارك في غابة الأرز
أن تبكي من أجلك ليل نهار
وعسى أن ينوح عليك شيوخ «أوروك» المسورة

وعسى أن يبكيك الأصبع الذي باركنا من ورائنا
وعسى أن يتردد صدى البكاء في الأرياف
وكأنه بكاء أمك . . .
وعسى أن يندبك الدب والضبع
والنمر والظبي والفهد والأسد والعجول والضباء
وجميع وحوش البرية
وعسى أن يبكيك نهر «اولا»
الذي مشينا على ضفافه
وعسى أن يندبك الفرات الطاهر الذي كنا نسقى منه بالقرب
ومحاربو «أوروك» المسورة الواسعة
لقد ذبحنا الثور ـ عسى أن يندبك
وعسى أن يندبك من عظم اسمك في «أريدو»
ويبكيك من أطعمك الخبز
ومن مسح ظهرك بالزيت
ويندبك من سقاك الجعة
وتبكيك البغي التي طيبتك بالزيت العطر
وأن يندبك من جلب إليك الزوجة والخاتم (الحلقة)
التي إخترت
وعسى أن يبكيك الإخوة كالأخوات وأن يطيلوا شعورهم من أجلك

(ثم تأتي أسطر مشوهة يعقبها إصدار جلجامش أوامره إلى الصناع والصاغة والنحاتين يصيغوا لصديقه تمثالاً من اللازورد مما هو مثبت في الترجمة).

الهوامش :

(1) ANET (1969), p. 50.

(2) أنظر:

Th. Bauer in Journal of Near Eastern Studies, XVI (1957) 254 ff.

وكذلك:

Speiser in ANET (1969).

(3) إسم هذا الجبل هنا وفي النصوص المسمارية الأخرى «ساريا» (SARIA).

(4)حول نص سلطان تبة انظر:

O. R. Gureny in Joumal of Guneiform Studies (VIII, 1954) 78 ff.

وكذلك

A. K. Grayson in Ancient Near Eastem Texts (1969), p. 305 ff.

(5)أنظر:

Gurney in journal of Cuneiform Studies VIII (1954), 90 ff.

ANET (1969), 506.

الملحق الثالث

قصص وأساطير أخرى عن جلجامش

1 ـ موت جلجامش

الأسطورة أو القصة التي تدور على موت البطل جلجامش جاءتنا بهيئة قصيدة سومرية لم يبق منها إلا جزء قليل، حيث لا يعلم مقدار طولها بالأصل وقد جاء الجزء الباقي منها في ألواح (ثلاثة) من نفر ويرجع زمنها إلى العصر البابلي القديم (مطلع الألف الثاني ق. م.) ولكن على الرغم من قلة ما بقي سالما من النص فإنه يلقي ضوءا كاشفا على جانب مهم من عقائد القوم في عالم ما بعد الموت.

وقد قسم الباحث (كرامر)[1] النص إلى قسمين دعاهما في ترجمته A و B ، ولم يستطع ربطهما إذ توجد ما بينهما خروم لا يعلم مقدارها.

وخلاصة النص (A) أن جلجامش أدرك الحقيقة المقدرة على البشر أي الموت وأنه لا سبيل له للحصول على الخلود، وعليه أن يرضي بنصيبه ويكفيه أن الإله «أنليل» منحه الملوكية والبطولة ورفعة الشأن وخلود الذكر. ويعقب ذلك موت

جلجامش وقد جاء في عشرة أسطر باقية من النص وينتهي بالندب والنوح على جلجامش.

وخـلاصـة القسـم الثاني (B) الـذي يتألـف ما بقـي منه من 42 سطـراً أنه يتضمـن قائمة أو ثبتـا بأفراد أسرة جلجامـش وحاشيتـه وأتباعه وخدمه ممن ذهب معه إلى العالم الأسفل. ثم ثبتا بالهدايا التي قدمها جلجامش لآلهة العالـم الأسفــل وفي مقدمتهـم ملكــة ذلـك العالــم «ايريشكيكَال».

وهنا تتوارد إلى الذهن جملة إحتمالات مهمة لتفسير هذا المورد من النص منها أن جلجامش صار ملك العالم الأسفل وأن الإتباع والحاشية الذين يعددهم النص على أنهم اصطحبوه إلى ذلك العالم قد دفنوا معه أحياء، الأمر الذي يؤيد التفسير الذي ارتآه المنقب «وولي» عن المقبرة الملكية الشهيرة في أور [2] من أن ممارسة دفن الأتباع مع الأمير والحاكم معه.

ويجـدر أن نلاحـظ بهـذا الصـدد أن زمــن جلجــامش بصفته شخصيــة تأريخيـة يقع في حـدود زمن المقبـرة الملكيـة في أور أي قبيـل الـدور الثالــث مـمـا يسمـى عصـر السلالات في العـراق القديـم، أو أواخـر الدور الثـانـي مـن ذلك الـعصـر (فــي حـــدود 2500 ق. م.).

الترجمة:

1ـ القسم الأول (A)

وندرج فيما يلي ترجمة الأسطر الواضحة من هذا القسم من النص حيث تكون الأسطر الأولى من 1 إلى 24 مشوهة ولم يبق منها سوى كلمات متقطعة لا تصلح للترجمة: ـ

. . . ابن أوتو
في العالم الأسفل، موضع الظلمة، إنه سيضيء حقاً
والبشر مهما كثرت أسماؤهم وأنواعهم.
فمن غيره من سيكون مثل هيئته إلى قابل الأيام؟
والأبطال العظام، والعرافون. إنهم كالهلال حقاً. .
30ـ من غيره من وجد القوة والمقدرة قبلهم (قدامهم). . .
32ـ وفي شهر آب. . . الأرواح (الأشباح). . .
33ـ لا يكون ضوء أمامهم بدونه
34ـ إن «انليل»، الجبل العظيم، أب الآلهة . . .
35ـ إن مغزى حلمك يا أيها السيد جلجامش
لقد قدر مصيرك أن تحوز على الملوكية يا جلجامش
أما الحياة الخالدة فلم تقدر لك
ولكن لا يحزن قلبك من أجل تلك الحياة. . .
ولا تبتأس ولا تقنط وتحزن
ومن ارتكب الخطيئة من بني الإنسان
ومن المحرمات أطلق قيدك؟

لقد وهبك نور البشر وظلمتهم
ووهبك السيادة على البشر
وقدر لك النصر في المعركة التي لا يسلم منها أحد
وقدر لك النصر في الهجوم التي لا يسلم منه أحد

. . . .

وعليك أن . . . قدام الإله «أوتو»
. . . خروم من نحو أحد عشر سطراً
ومن . . . الشر. . . انه يضطجع ولا يقوم.
ومن مكن العدل في البلاد يضطجع ولا يقوم

. . . .

والشديد القوي يضطجع ولا يقوم. .
ان سيد «كلاب» [3] يضطجع ولن يقوم
والحكيم الوسيم يضطجع ولا يقوم
ومن إرتقى الجبال معه يضطجع ولا يقوم.
على فراش المنية المقدرة يضطجع ولا يقوم
وعلى السرير. . المزركش يضطجع ولا يقوم
القائمون غير صامتين والقاعدون غير صامتين.
لقد أقاموا ندبا ومناحة [4]
ومن يتناول طعاماً لم يسكت ومن يشرب الماء لم يسكت
لقد أقاموا مناحة
و «نمتار» [5] غير صامت

وكالسمكة قد مد . . .
وكالغزال الذي وقع فريسة لسلاح «كَشِيُرُو» (6)
«نمتار» الذي لا أيدي له ولا أرجل ولا يشرب الماء
ولا يأكل الطعام
(بقية الأسطر وعددها زهاء عشرة أسطر مخرومة لا تصلح للترجمة)

القسم الثاني (B):
زوجته المحبوبة و إبنه الحبيب
. . . الزوجة . . محظيته (سريته) المحبوبة
موسيقاره، نديمه المحبوب
حاجبه الأمين
أسرته المحبوبة وأتباع قصره وحارسه الحبيب
القصر المطهر. . . قلب «أوروك» وكل من يضطجع معه
في ذلك الموضع
جلجامش إبن الآلهة «نِنسنُ»
كلهم وزنوا وقدموا قرابينهم إلى «ايريشكيگال»
وقدموا هداياهم إلى «نمتار»
ووزنوا وقدموا هداياهم إلى «دِمپيكُكَ»
وزنوا قرابينهم من الخبز إلى «نيتي» (7)
لقد وزنوا قرابين الخبز إلى «ننكشزيدا» و «دموزي»

وقدموا إلى «أنكى» و «ننكي» و «اينمُل» و «نِنمُل»
وإلى «اندكُكَا» و «ننِدُكُكَا»
وإلى «انندا شُرّيمانو» و «ننداشرينما»

. . . .

آباء الإله «أنليل»
وإلى «شلياءا» ، رئيس الطعام (الخوان)
وسموقان و «ننخرساكَ»
وإلى انوناكي العائدين إلى «دوكگ»
وإلى «ايكَيكَي» الـ «دوكگ»
وإلى الأموات . . . وإلى «سنكَو» و «انتو»

. . . .

لقد وزن السيد جلجامش قرابينهم من الطعام
جلجامش إبن «نِنسُن»
وفي موضع سكب الماء المقدس ، قرب خمر التمر
. . . . (ستة أسطر مخرومة)
الذي لا يضارعه منافس ولا نظير له
يا جلجامش يا سيد «كُلاَّب» إن مديحك خير وبركة

2ـ جلجامش و «أكّا»

من قصص الملاحم القصيرة التي تدور أحداثها على البطل جلجامش وأحد حكام مدينة كيش المعاصر له وهو «أكّا»

قصة أو قصيدة سومرية تروي النزاع ما بين هذين الحاكمين أي «جلجامش» الذي كان من الناحية التأريخية خامس ملوك الوركاء الأولى (بحسب جداول الملوك السومرية) [8] و «أَكّا» (Agga) آخر ملوك سلالة كيش الأولى (بحسب تلك الجداول أيضاً) [8] وكلاهما حكم في أواخر عصر السلالات الثاني في حدود 2500 ق . م .

وقد جاءت هذه القصة مدونة على إحدى عشرة قطعة من ألواح الطين وكسر الألواح، عثر على عشر منها في تنقيبات المدينة السومرية نفر، والقطعة الحادية عشرة من معثر مجهول، وكلها ترجع في زمنها إلى ما يسمى بالعصر البابلي القديم (من النصف الأول من الألف الثاني ق . م .) [9].

وبالإضافة إلى طرافة هذه القصة من الناحية الروائية والدرامية ورغم قصرها فإنها على قدر كبير من الأهمية السياسية فإنها تصور لنا أحوال ذلك العصر السياسية أي عصر دول المدن أو عصر السلالات الذي تميز من الناحية السياسية بالنزاع والإحتراب ما بين دول المدن التي كان الكثير منها متعاصراً [10]. وخلاصة القصة أن «أَكّا»، ملك كيش أراد أن يبسط سلطانه على دولة مدينة الوركاء، وكان يحكم فيها كما قلنا (جلجامش) وقبل أن يشن الحرب على الوركاء أرسل سفارة إلى جلجامش تحمل إنذارا له بأن يخضع له ويعترف بسيادة كيش على الوركاء. وهنا تروي القصة حدثاً سياسياً

مهما هو أن دويلة الوركاء كان يصرف أمورها وشؤونها المهمة مجلس شورى أو برلمان مؤلف من قسمين، أحدهما مجلس شيوخ المدينة وثانيهما مجلس الرجال المحاربين. ولما كان جلجامش لا يستطيع أن يقرر وحده شؤون الدولة الخطيرة مثل الحرب والسلم فإنه استدعى أولا مجلس شيوخ المدينة وعرض عليهم إنذار «أكّا» وحثهم على عدم الرضوخ إلى مطاليبه بل مقاومته بالحرب. ولكن المجلس رأى الرضوخ والإستسلام بدلاً من الحرب، فامتعض جلجامش وعرض الأمر على المجلس المؤلف من رجال المدينة المحاربين كما نوهنا وكرر عليهم تحريضه على عدم الإستسلام لملك كيش بل المقاومة والحرب. فأستجاب هؤلاء وقرروا الحرب دون التفريط بإستقلالهم وحريتهم. وتستمر الملحمة من بعد خروم.

فتقدم المشهد الثاني من الحوادث بقدوم «أكّا» على رأس جيشه لحرب الوركاء وحصاره لها، ويبدو من سياق النص أن المدافعين على المدينة قد أخذتهم المفاجئة بغتة ودب فيهم الخذلان، فأضطر جلجامش إلى التسليم وقبول المفاوضة والصلح، ومع النواقص والخروم فإنه يبدو من سياق القصة أن «أكّا» قبل الصلح ورفع الحصار على أسوار الوركاء، كما يشير إلى ذلك الخطاب الذي وجهه جلجامش إلى «أكّا»، وهو ثناء ومديح له. وتنتهي القصيدة السومرية المؤلفة من زهاء 115 سطراً بتمجيد البطل جلجامش.

وندرج فيما يلي ترجمة للأسطر الواضحة منها : ـ
«إن رُسُل «أَكّا» بن «إينمر براكَيسي» [11]
شرعوا بالسفر من كيش إلى «جلجامش» في الوركاء
فعرض الحاكم جلجامش الأمر على (مجلس) شيوخ مدينته
(عرض) الأمر عليهم وطلب منهم المشورة قائلاً : ـ
علينا ألا نخضع لبيت كيش بل لنحارب بالسلاح
ونرفض أعمال السخرة وحفر الابار
فأجاب مجلس شيوخ المدينة وقالوا لجلجامش : ـ
«لنخضع لبيت كيش ولا نحارب بالسلاح
لنخضع لأعمال السخرة وحفر الأبار
أما جلجامش سيد «كُلاَب» [12]
والذي حقق أعمال البطولة للآلهة «انانا»
فلم يرض جلجامش ويسر بكلام شيوخ مدينته
إن «جلجامش» سيد كلاب، مرة أخرى
عرض الأمر على رجال مدينته (المحاربين) وطلب منهم النصح والمشورة قائلاً :
لاتذعنوا لبيت كيش بل علينا أن نحارب بالسلاح
فأجاب رجال المدينة المحاربون وقالوا لجلجامش :
لاتذعن وتستسلم لبيت كيش .

أيها القائمون والقاعدون لا ترضخوا لبت كيش
أنتم الذين ربيتهم مع أبناء الملك
لاتخضعوا لبيت كيش بل دعونا نقاوم بالسلاح
إن «أوروك» المدينة التي شيدتها الآلهة
و «اي ـ أنا» (13)، البيت الذي هبط من المساء
إن الآلهة العظام هم الذين صمموا وأقاموا أجزاءه
وأن سورها الذي يناطح المساء
وأن بيتها السامي الذي أسسه «آنو»
أنت يا (جلجامش) الذي رعيته، أنت الملك والبطل
أنت الأمير الذي يحبه «آنو»
فكيف خفت من إقترابه (14)
فإن جيشه مبعثر صغير
وأن رجاله ليسوا جنوداً شجعانا
وعندئذ فرح وسر «جلجامش»، سيد «كُلاَب» لكلام رجال مدينته
وقال لتابعه «أنكيدو»
عليك أن تهيأ الآن الـ «شكارا» (15) يوم تشتد المعركة
أجمع آلات القتال
ودعها تحدث الرعب والهلع

أما عن «أَكَّا» فإن الخوف مني سيتسلط عليه
وسوف يضطرب أمره ويحل به الوهن»
ولم يكد يمض أكثر من عشرة أيام وأكثر من خمسة أيام
حتى وصل «أَكَّا» بن «اينميركارا» وضرب الحصار على «أوروك»
وحل الوهن والرعب في «أوروك»

. . . .

ويعقب ذلك أسطر مخرومة غير كاملة، ولكن يستدل من الكلمات المتقطعة الباقية منها أن المدافعين عن مدينة الوركاء من محاربي جلجامش قد أخذوا بغتة فأضطر جلجامش إلى إرسال رسولين إلى «أَكَّا» عارضاً عليه الرضوخ والصلح، وقد أسر أحد الرسولين، ولكن أرسل مبعوثاً آخر وقبل «أَكَّا» الصلح ورفع الحصار عن أسوار الوركاء كما يشير إلى ذلك الخطاب الذي وجهه جلجامش إلى «أَكَّا» ويعترف فيه بسيادته ويكيل له المديح والثناء، ثم تنتهي هذه القصيدة السومرية المؤلفة من 115 سطراً كما قلنا بتمجيد البطل جلجامش.

3 ـ جلجامش وأرض الحياة

وجاءت إلينا قصة سومرية ملحمية ثالثة تروي طرفاً من أعمال جلجامش البطولية وتضاهي إلى حد كبير ما جاء في

ملحمة جلجامش البابلية وهو الحدث المتعلق بسفره مع تابعه أنكيدو إلى غابات الأرز وقتل العفريت «خمبابا» أو «خواوا» بحيث يصح القول أنها أحد الأصول السومرية لملحمة جلجامش البابلية.

وقد أمكن جمع هذه الملحمة من نحو 14 لوحا وكسر من ألواح عثر على معظمها في تنقيبات المدينة السومرية الشهيرة «نفر» (القريبة من عفك)، ووجدت قطعة منها في مدينة كيش (القريبة من بابل بنحو 10 أميال إلى الشرق). ويرجع زمن هذه الألواح إلى ما يسمى في تأريخ العراق القديم بالعصر البابلي القديم (النصف الأول من الألف الثاني. ق. م.)، ويؤلف النص الذي بقي سالماً فيها قصيدة سومرية يبلغ عدد أسطرها 175 سطراً[16].

وتدور أحداث هذه الملحمة كما قلنا على مغامرة لجلجامش وصديقه أنكيدو في جبال الأرز وقتلهما لحارس الغابة العفريت «خواوا» فإن جلجامش وقد أدرك أن مصيره إلى الموت مثل البشر الآخرين وأن لا سبيل له لبلوغ الخلود المادي، عزم على إتيان بعض الأعمال البطولية التي تخلد اسمه قبل أن يوافيه الأجل المحتوم. وكان من بين الأعمال أنه قرر أن يذهب إلى أرض الحياة [17]، ويقطع أشجار الأشجار، وعندما بلّغ عزمه هذا إلى صاحبه وتابعه «أنكيدو» نصحه هذا بالعدول وصور له الأهوال والمخاطر التي ستصدر منها، ولما أصر على السفر

نصحه أن يستشير الإله «أوتو». (شمش) ويلتمس منه العون، لأن غابات الأرز تحت سلطانه وحمايته. فأبدى له «أوتو» العون والحماية في سفره المحفوف بالأخطار عبر الجبال. وقبل أن يشرع جلجامش بالسفر جمع لحملته خمسين متطوعاً من رجال الوركاء وشبابها ممن لا تربطهم رابطة عائلية.

وبعد أن هيأ أسلحة مختلفة شرع بالسفر وعبر سبع سلاسل من الجبال الصعبة العبور. ولا يعلم سير الحملة من بعد اجتياز تلك الجبال لإنخرام النص. ولكن بعد أن يصبح النص واضحاً نجد جلجامش وقد غط في سبات عميق ولم يواصل سفره، ولما أن أيقظه أنكيدو أقسم بحياة أمه الالهة «نِنسن» وأبيه «لوكَابندا» انه سيدخل أرض الحياة. وهنا نجد صديقه أنكيدو يحاول مرة أخرى أن يثني صديقه عن عزمه لما سيلاقيه من المخاطر، ولا سيما ملاقاة «خواوا»، حارس الغابة الذي لا قبل لأحد على ملاقاته وصد هجومه، وبعد أن شجع جلجامش صديقه واصل الإثنان سيرهما ووصلا إلى غابة الأرز أو «أرض الحياة» واقتطعا سبع أشجار منها. وعندما إقترب جلجامش من مربض العفريت خمبابا جبن إزاءه خلافاً لما كان متوقعاً من بطشه وأخذ يتضرع إليه أن يبقيه حياً ومتضرعاً إلى الإله «أوتو» فرق قلب جلجامش له وكاد أن يعفو عنه، ولكن «أنكيدو» حذره وحرضه على قتله، فقتله وقطع رأسه،

وقررا أن يقـدما جثتـه هدية إلى الإله «أنليل» وزوجته الألهة «ننليل».

وندرج فيما يلي الترجمة للأسطر الواضحة المحفوظة من الملحمة : ـ

إلى «أرض الحياة» وجه السيد عزمه
السيد جلجامش وجه عزمه إلى «أرض الحياة»
فقال لتابعه «أنكيدو» :
يا «أنكيدو» بما أن الأجر وختم الأجر قد أحلا النهاية المحتومة (18)
فإنني اعتزمت أن أدخل إلى «أرض الحياة» وأسجل إسمي
في المواضع التي لم تسجل فيها أسماء . سأضع اسمي
فأجابه تابعه «أنكيدو» قائلاً :
إذا اعتزمت دخول أرض (الحياة) فأنبيء الإله «أوتو»
أجل بلغ البطل «أوتو»
. . . فإن تلك الأرض بعهده «أوتو»
أجل إن «أرض الأرز» بعهدة «أوتو» فأخبر «أوتو»
فأمسك جلجامش بجدي أبيض بيده
ووضع جدياً أسمر على صدره ليكونا قربانا
وأمسك بالصولجان الفضي بيده
وقال «لأوتو» السماوي :

«يا أوتو لقد اعتزمت على أن أدخل أرض الحياة
فكن حليفي وعوني
عزمت على أن أدخل أرض الأرز المقطوع (؟) فكن حليفي وعوني
فأجاب «أتو» السماوي:
. . . انك حقا . . . . ولكن ما شأنك بأرض الحياة؟
(فأجابه جلجامش): يا أوتو أريد أن أكلمك فأصغ لكلمتي.
في أرضي (مدينتي) يموت الرجل وهو حزين القلب
إن الرجل يهلك وقلبه مثقل بالألم
ها أنذا أنظر من فوق الأسوار
فأشاهد هياكل الموتى وهي طافية في النهر»
وأنا سيكون مصيري هكذا حقاً
والإنسان مهما استطال لا يمكنه أن يبلغ السماء
وبما أن الأجل الموعود لما يحل . . .
فأنني عزمت عن أن أدخل أرض الحياة وأخلد اسمي
وفي المواضع التي تسجل فيها أسماء سوف أسجل أسماء الآلهة
وتقبل منه «أوتو» تضرعه ودموعه على أنها قرابين وظهر الرحمة والعطف عليه.

. . . .

(يعقب ذلك عدة أسطر غير واضحة المعنى). ولكن يبدو من النص الواضح أن جلجامش جند لحملته وسفره إلى غابة الأرز وأرض الحياة خمسين متطوعاً من رجال مدينة الوركاء لا تربطهم روابط عائلية وعلى أتم الإستعداد لمرافقته. وعندئذ هيأ جلجامش العدة ومنها الأسلحة وشرع بالسفر وعبرت الحملة سبعة سلاسل من الجبال). وفيما يلي ترجمة الأسطر التالية الواضحة:

الأبطال السبعة أبناء أم واحدة
لقد أجتاز هؤلاء الأبطال السبعة الجبال
وأسقطوا أشجار الأرز
لقد جمع البطل جلجامش خمسين بطلا معه وجهزهم بالعدة والسلاح
ولما عبروا الجبل السابع
شرع جلجامش بقطع أشجار الأرز
ولكنه من بعد ذلك، غط في نوم عميق ولم يستيقظ
فخاطبه تابعه ولكنه لم يجب.
«أيها النائم، أيها المضطجع
يا أيها البطل جلجامش، يا ابن «كلاَّب»[19] إلى متى ستظل نائماً
ها أن الأرض قد لفها الظلام وغدت مظلمة
وحل الفجر بضيائه

وذهب «أوتو»، وهو رافع الرأس، إلى حضن أمه الإلهة «ننكَال»

فإلى متى ستظل نائماً يا جلجامش؟

فلا تجعل أبناء مدينتك الذين إصطحبوك

يقفون في سفح الجبال ينتظرونك

ولا تدع أمك التي ولدتك تساق إلى ساحة المدينة (!!)

لقد إستمع جلجامش و إستيقظ

واستل سيفه وجعله كالرداء الذي يلفه ويحميه

ووقف على الأرض العظيمة كالثور

وضع فمه على الأرض واصطكت أسنانه وأقسم قائلاً :

«وحياة أمي نِنسن التي ولدتني» وحياة أبي «لوكَال بندا» الطاهر

وكرر القسم قائلاً :

إلى أن أقاتل ذلك الرجل إن كان رجلا

و إلى أن أصارعه إن كان إلها

فإنني وجهت خطاي إلى أرض الحياة ولن أتوجه إلى المدينة

ولكن خادمه توسل إليه وقال له : ـ

يا سيدي ! أنت الذي لم تر الرجل (20) لا تخاف

ولكنني أنا الذي شاهدت الرجل يشلني الخوف

إنه بطل (مارد)، أسنانه أسنان «تنين»

ووجهه وجه أسد

إنه الطوفان الجارف

ومن مقدمة رأسه التي تبتلع الأشجار والقصب لا يسلم أحد

فيا سيدي سر إلى «أرض الحياة» أما أنا فسأسير إلى المدينة

وسأخبر أمك بأمجادك فتجهر بتمجيدك

وسأبلغها بموتك المتوقع وستذرف الدموع الغزيرة

. . . .

(عشرة أسطر غير واضحة المعنى فلا تصلح للترجمة) وعندما يصبح النص واضح المعنى نجد جلجامش يخاطب تابعه «أنكيدو» قائلاً: ـ

هلم نتقدم معا ودعنا ننظر إليه

وسيحل بنا الرعب والخوف ولكن لنتغلب عليهما.

(وسنجد) خواوا في بيته بين أشجار الأرز. . .

وصوب خواوا نظره عليه، وكانت نظرته الموت

لقد هز رأسه عليه وأمأ إليه

(. . . نقص من عدة أسطر) ثم يستمر جلجامش في كلامه قائلاً: ـ

وحياة أمي «ننسن» التي ولدتني وحياة أبي الطاهر «لو كَال بندا»

لقد عرفت أن مسكنك في هذه الأرض (أرض الحياة)

. . . .

ثم أنه قطع الشجرة الأولى بنفسه
وقطع أبناء مدينته الذين رافقوه تاجها
وربطوه ووضعوه في سفح الجبل
وبعد أن قطع الشجرة السابعة . . إقترب من مخدعه
ولطمه على خده لطمة شديدة (كمن يضغط بقبلته)
فأصطكت أسنان «خواوا»
وأراد أن يصد جلجامش (وخاطب الإله أوتو قائلاً» :
« يا أوتو إنني لا أعرف الأم التي ولدتني ولا الأب الذي أنجبني ، فأنت الذي ولدتني في «الأرض» وربيتني .
وتعوذ من جلجامش بحياة السماء والأرض وحياة الأرض السفلى
فرق له قلب جلجامش وقال لتابعه «أنكيدو» :
«لندع الطائر الذي أمسكنا به يعود إلى موضعه
وندع الرجل الذي أسرناه يرجع إلى حضن أمه
فأجاب «أنكيدو» جلجامش :
الرجل الذي لا حكمة له . . . مهما كبر

. . . .

وإن الطائر الذي أمسكنا به لو عاد إلى عشه
وإذا عاد الرجل الذي أسرناه إلى حضن أمه
فسوف لن ترجع أنت إلى مدينة أمك التي ولدتك
فقال «خواوا» لأنكيدو:

«لقد نطقت بالشر علي يا «أنكيدو»
وحين تفوه هكذا بادراه وقطعاً رقبته
وقدماه (قربانا) إلى أنليل ونناليل

ويعقب ذلك بضعة أسطر مخرومة ولكن نهاية القصيدة معلومة وهي قتل العفريت خواوا من جانب جلجامش وصديقه أنكيدو.

الهوامش :

(1) أنظر:

S.N Kramer in Ancient Near Eastern Texts (1969), 50 ff.

———— ; in BASOR, No 44 (1944), 2 ff.

(2) أنظر خلاصة هذا الموضوع في كتابي الموسوم «مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة» الجزء الأول ، الطبعة الثالثة (1973) ص 275 فما بعد.

(3) كلاب أحد الجزئين الرئسين من أجزاء مدينة الوركاء.

(4) لعل الإشارة هنا إلى أعضاء مجلس شورى المدينة.

(5) نمتار أحد آلهة الموت والقدر ومن آلهة العالم الأسفل ويعني اسمه «القدر» أو «المنية».

(6) كشبرو» (Gishburru) سلاح يستعمل في صيد الظباء

(7) نيتي ، أحد حراس العالم الأسفل.

(8) حول هذه الجداول المهمة التي تعدد السلالات الحاكمة وملوكها منذ عصور ما قبل الطوفان إلى نهاية سلالة «ايسن» أنظر كتابي: «مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة»، الجزء الأول (1973).

(9) أحدث ترجمة لهذا النص قام بها الأستاذ «كرامر» (S.N. Kramer) في Ancient Near Eastern Textes (1969), 44ff. وفيها الإشارات إلى البحوث والدراسات السابقة وأهمها:

(1) Th. Jacobsen in Journal of Near Eastern Studies II, (1943).

(2) W. Witzel in Orientalia (1936) . 331 ff.

(3) Kramer and Jacobsen in American Journal of Archaeology, LIII ,1ff.

(10) عن إيجاز الأحوال السياسية في العراق القديم في هذا العصر أنظر كتابي: «مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة» الجزء الأول، (الطبعة الثالثة 1973).

(11) يحتمل كثيراً أن المقطع الأول من إسم هذا الحاكم أي «أين» هو لقب سياسي يعني الحاكم، وأن إسمه «براكَيسي».

(12) مر بنا أن «كلاب» أحد القسمين الرئيسين من مدينة الوركاء.

(13) أي ـ أنا (E- Anna) ومعناه بيت السماء أو البيت السماوي أو بيت آنو، المعبد الرئيسي في الوركاء الذي خصص لعبادة الإله «أنانا» والآلهة «آنو» (أبيها).

(14) أي اقتراب «أكا» ملك كيش.

(15) الآت الـ «شكارا» (Shukara) بالسومرية ضرب من الآت الحرب كالحصار ونحوه.

(16) راجع عنها: ـ

S.N. Kramer in Journal of Cuneiform Studies, I (1947)

3 ff, in Ancient Near Easterm Textes (1969), 47 ff.

(17) هذا هو العنوان الذي عنون به القصيدة الباحث المعروف «كرامر» (أنظر المصادر في الصفحة السابقة)، ويصح أن تعنون أيضاً «أرض الأرز» أو غابة «الأرز وخواوا».

(18) حرفها: وبما أن الآجر وختم الأجر لم يحلا النهاية المقدرة.

(19) سبق إن قلنا أن كلاب كانت أحد القسمين الرئيسين من مدينة الوركاء.

(20) الرجل إشارة إلى العفريت خواوا.

الملحق الرابع

قصص وأساطير عن الطوفان

أولا ـ رواية الطوفان السومرية «زيو ـ سدرا»

لم يصل إلينا عن الطوفان في اللغة السومرية سوى نص واحد مدون في لوح طيني يرجح كثيراً أنه عثر عليه في المدينة الشهيرة «نفر» (بالقرب من عفك). ومع أن هذا اللوح غفل من التاريخ بيد أن لغته وشكل خطه المسماري يشيران إلى أنه يرقى في تأريخه إلى ما يسمى في تأريخ العراق القديم بالعصر البابلي القديم (منذ مطلع الألف الثاني ق. م. إلى منتصفه).

وإذا أخرجنا من حسابنا صدفة الإكتشاف فإن إقتصار رواية الطوفان باللغة السومرية على لوح واحد يشير إلى أن موضوع الطوفان لم يكن جزءا مهما من المآثر الأدبية السومرية.

وكان الباحث الشهير «أرنو بوبل» Arno Poedel أول من نشر هذا اللوح عام 1914، ثم أعقبه باحثون آخرون أشهرهم الأستاذ «كرامر».

خلاصة الرواية:

تعرف هذه القصة بين الباحثين بإسم ملحمة أو قصة «زيو سدرا» (Ziusudra). وزيو سدرا صيغة سومرية يرجح أن يكون معناها «الخالد» أو «ذو الحياة الطويلة»، مثل الإسم البابلي لبطل الطوفان الوارد في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش أي «أوتو ـ نبشتم»[2].

وخلاصة القصة أن «زيو ـ سدرا» كان ملكاً صالحاً يخاف الآلهة ويعبدها، وأنه كان على ما يرجح يحكم في مدينة «شروباك» (تل فاره الآن بالقرب من الوركاء)، وهي المدينة التي كانت موطن بطل الطوفان البابلي «أوتو ـ نبشتم» (كما جاء في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش)، كما أنها كانت من المدن الخمس التي حكمت فيها سلالة في أزمان ما قبل الطوفان كما جاء ذلك في جداول الملوك السومرية[3].

ويبدأ دور الملك «زيو سدرا» من بعد مقدمة قصيرة ناقصة تروي طرفاً عن الخليقة، حيث الآلهة العظام «آنو» و «أنليل» و «أنكي» والآلهة «ننخرساكَك»، خلقوا البشر والحيوانات والنباتات ثم أنزلت «الملوكية» من بعد ذلك من السماء، وقدرت الأقدار والمصائر، وأسست المدن الخمس وحلت فيها الملوكية وهي: «أريدو» و «باد ـ بيرا» و «لرك» و «سبار» و «شروباك». ويعقب ذلك إنخرام في النص (نحو 37 سطراً)، يرجح أنه يتضمن وقوع الطوفان. وبعد وضوح النص نجد

الإله «أنكي» ينبري لتخليص بعض البشر من فناء الطوفان، فيخبر بطل الطوفان «زيو ـ سدرا» من وراء الجدار بقرار الآلهة في إحداث الطوفان وإفناء البشر، ويأمره بأن يبني فلكاً ينجو به من الهلاك. ثم هاجت الأعاصير وهطلت الأمطار الغزيرة «وجرف الطوفان البلاد طوال سبعة أيام وسبع ليال»، وتقلبت السفينة العظيمة فوق الأمواج، ثم خفت شدة الطوفان وظهر الإله «أوتو» (شمش) ناشرا نوره في أنحاء الأرض فسجد أمامه «زيو ـ سدرا»، وضحى الأضاحي. وبعد نقص آخر في الملحمة (مقداره نحو 39 سطراً) نجد البطل «زيو ـ سدرا» يسجد للإلهين «آنو» و «أنليل» ويمنحانه الحياة الخالدة حيث يدخلانه في مجمع الآلهة وينقلانه إلى أرض «دلمون»[4]، الموضع الذي تشرق منه الشمس. ويلي ذلك خاتمة الأسطورة وهي مخرومة.

ترجمة الاسطورة:

(الأسطر من 1 إلى 37 مخرومة)

«أريد إيقاف تدمير أناسي من البشر

«ومن أجل نتو أريد إيقاف هلاك خلقي

فلتشيد مدنهم، وتستقر أشباحهم (أرواحهم)

وليوضع آجر جميع المدن في مواضع مقدسة

ليستقر الجميع ... في أماكن مقدسة

والماء العذب الذي يطفيء الظالمأ ساعده هناك
لقد أكملت الأحكام والفروض (الأقدار) المقدسة
وستروى الأرض، وعزمت على أن يعم السلام
وبعد أن خلق «آنو» و «أنليل» و «ننخرساگ»
ذوي الرؤوس السود (البشر)
تكاثرت الحيوانات في كل مكان
وأوجدت الحيوانات من ذوات الأربع ومن كل صنف
وأزينت بها السهول

. . . .

(نقص في النص)
«أريد أن أقدر وأرعى جهودهم المضنية
وعلى بنائي البلاد أن يحفروا أسسا متينة
وحين هبطت الملوكية من السماء
من بعد أن أنزل تاج الملوكية السامي من السماء
أسست المدن
(بعد أن) عينت مواضعها وسميت بأسمائها
فأولى تلك المدن كانت «أريدو» التي خصصت إلى «نو دِمُدّ» (5)
والثانية «باد ـ تبيرا» (Bad- Tabira) خصصت إلى نوكَگ) (Nugig)
والثالثة «لرَاك» (Larakig) إلى «پابل ساگ» (Pablisag)

والرابعة «سيار»، إلى البطل «أوتو»

والخامسة «شروباك» (Shiruppak) خصصت إلى «سُد» (Sud)

لقد نظم تطهير القنوات الصغيرة وجداول الري

(. . . . . . إنخرام في النص يبدو أنه يتضمن خبر حدوث الطوفان)

ثم أن «ننتو» . . . . خلقها

لقد ناحت «إنانا» المقدسة من أجل الناس

وفكر «أنكي» في الأمر مليا

و «آنو» و «أنليل» و «أنكي» و «ننخرساگ»

وأقسم آلهة الكون بإسم «آنو» و «أنليل»

وفي ذلك الحين كان (يحكم) الملك «زيو ـ سدرا» الممسوح بالزيت

وكان تقياً ورعا يكثر من الدعاء والتضرع . . .

كان يقوم على الدوام خاشعاً (للآلهة)

ولم يكن ما سمعه حلماً

تعوذ منه بالسماء والأرض السفلى . . ؟

(سطر غير واضح المعنى ولكن ورد فيه الجدار الذي يبدو ان الإله «أنكي» خاطبه من ورائه)

. . . .

وسمع «زيو ـ سدرا» وهو واقف إلى جانبه[6]

كان يقف الى الجانب الأيسر من الجدار:

«يا جدار أريد أن أكلمك فاستمع لكلامي
وتفهم قولي وإرشادي :
ستهب عاصفة الطوفان وتجرف المدن والمنازل
وان تدمير نسل البشرية
هو القرار المحتوم من مجمع (الآلهة)
إنه القرار الذي أصدره «آنو» و «أنليل» و «ننخرساگ»
والقضاء على الملوكية . . . .
(انخرام في النص . .)
تجمعت كل الرياح والعواطف المدمرة
وجرف عباب الطوفان جميع المدن
وبعد أن ظل الطوفان يجرف البلاد طوال سبعةأيام وسبع ليال
وجرفت العواصف المدمرة السفينة الضخمة وسيرتها في المياه العالية
أشرقت الشمس وأضاءت الأرض والسماء
وأحدث «زيو ـ سدرا» فتحة في السفينة الضخمة
ودخلت أشعة الشمس إلى السفينة العظيمة
وسجد الملك «زيو ـ سدرا» على الأرض، أمام الإله ـ الشمس
وقرب الملك عدداً كبيراً من البقر والظأن
(إنخرام في النص)
أدعوك بحق السماء والأرض السفلى

أتوسل إلى «آنو» و «أنليل» بالسماء والأرض السفلى
وأخرجت الحيوانات وتجمعت من الأرض
وسجد الملك «زيو ـ سدرا» أمام «آنو» و «أنليل»
اللذين منحاه الحياة الخالدة مثل الآلهة
وحافظ الملك «زيو ـ سدرا» على ذرية البشر من الفناء
لقد أسكناه في أرض عبر البحار، في المشرق، في أرض «دلمون»
(النهاية مخرومة)

ثانياً ـ رواية «بيروسس» عن الطوفان

من هو «بيروسس»؟

كان «بيروسس» (Berossus) [7] أحد كهنة مدينة بابل، ولعله كان كاهن كبير آلهتها «مردوخ» في القرن الثالث ق.م. وقد إقتصرت معرفتنا به على المصادر الكلاسيكية (اليونانية والرومانية)، ولذلك لا نعرف بالضبط صيغة اسمه البابلية، ولعله «برعوشا» أو «برخوشا». وقد عاش فترة من الزمن في بلاد اليونان، في جزيرة «كوس» (Cos) وأسس فيها مدرسة للتعليم، ويروى نقلا عنه أنه عاصر الإسكندر الكبير، ولكنه بقي في الحياة من بعده، لأن الإسكندر مات شابًا (في عام 323 ق. م، وبسن 33 عاماً).

وقد ألف «بيروسس» باليونانية كتاباً ضمنه تاريخ بلاد بابل منذ الخليقة حتى حكم الإسكندر، وأهدى مؤلفه إلى خليفة

الإسكندر في حكم بلاد الشام والعراق وأيران وهو «انطيوخس الأول» (Antiochus) (292 ـ 261 ق. م.) وعنونه بعنوان «بلاد بابل» (Babyloniaca) و (Chaldaica) وقصد من ذلك أن يقدم إلى اليونان تأريخ بلاده العريق في القدم.

لقد ضاع مؤلف «بيروسس» ويا للأسف ولم يصل إلينا منه سوى اقتباسات نقلها بعض مشاهير الكتاب اليونان وأشهرهم «الإسكندر يوليهستر» (Alexander Polyhistor) (القرن الأول ق. م.) الذي اقتبس منه كثيراً ومن بين ذلك رواية الطوفان ولكن ضاع النص الأصلي لهذه الرواية ولم تصل إلينا إلا في اقتباسات «يوسبيوس» (Eusebius) [8] ولا سيما مؤلفه المعنون « الأخبار» (Chronicles) [8] وهو الكتاب الذي حفظ عن طريق الترجمة الأرمنية. ولكن الرواية المتعلقة بالطوفان البابلي قد إقتبسها باليونانية المؤرخ البيزنطي «سنكليوس» (Syncellus).

ومن كتاب الذين رووا قصة الطوفان عن «بيروسس» الكاتب المسمى «ابيدنيوس» (Abydenus) الذي لا يعرف زمنه على وجه التأكيد.

رواية الطوفان [9]

جاءت رواية الطوفان في الجزء الثاني من كتاب «بيروسس» الذي قلنا أنه معنون بعنوان «بلاد بابل» (Babyloniaca) وأنه حدث من بعد حكم الملوك العشرة والحكماء، وكان آخر

ملكين منهم «أوتيارتس» (Otiartes) أو «أرداتس» (Ardates) وهو اسم يرجح كثيراً أنه محرف عن الإسم البابلي «أوبار - توتو» (Ubar - Tutu) الذي ورد ذكره في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش على أنه أبو «أوتو - نبشتم» ، بطل الطوفان البابلي وثاني هذين الملكين جاء بهيئة «خيسشروس» (Xisthrus) المحرف عن «زيو - سدار» الذي مر بنا أنه ورد في رواية الطوفان السومرية على أنه بطل الطوفان. وذكر هذان الملكان على أنهما حكماً في مدينة «لراك» (Larak)، وكانت إحدى المدن الخمس التي حكمت فيها سلالات ما قبل الطوفان وبحسب رواية «بوليهستر» ذكر بيروس أن الملك «خيسشروس» حكم من بعد موت أبيه الملك «أرداتس»، وأنه حكم ثمانية عشرة «سارا» من السنين [10]، وحدث في عهده طوفان عظيم على النحو الآتي: -

«ظهر له الإله «كرونوس» [11] في الحلم وأنبأه أن الطوفان سيحدث في اليوم الخامس عشر من شهر «دسيوس» [12]، وأن الطوفان سيفنى البشر، ولذلك أمره أن يحفر حفرة في مدينة «سپار»، مدينة الإله الشمس، ويدفن فيها الكتابات التي تدون جميع الأشياء (المعارف) من بداياتها وأواسطها وأواخرها. وأمره كذلك أن يبني فلكا ويركب فيه مع أهله وذوى قرباه وصحبه وعليه أن يخزن الطعام والشراب، ويجمع معه الطيور والحيوانات ويسيرها من بعد أن يكون كل شيء جاهزاً. وإذا

سئل إلى أين هو مبحر فعليه أن يجيب: «إنني أزمعت السفر إلى الآلهة لأسألها الخير والبركة للناس».

إنه لم بعصِ أمر الإله بل أنه صنع السفينة، وكان طولها خمس «إستادات»[13]، وعرضها «إستادان». وبعد أن جهز كل شيء أركب في السفينة زوجه وأبناءه وصحبه، وحدث الطوفان، ولما بدأ الطوفان بالإنحسار أطلق «خيسشروس» بعض الطيور، وعندما لم تجد طعاماً ولا موضعاً تحيط عليه عادت إلى السفينة.

وبعد بضعة أيام أطلق «خيسشروس» طيوراً أيضاً رجعت إلى السفينة، ولكنها كانت في هذه المرة وقد تلطخت أرجلها بالطين، وحين أطلقت الطيور للمرة الثالثة لم تعد إلى السفينة، فعرف «خيسشروس» ان اليابسة قد ظهرت، وعندما فتح كوة في السفينة فشاهد أن السفينة جنحت على الأرض اليابسة، فوق أحد الجبال، فنزل من السفينة مع زوجه وإبنته وملاحه، وسجد على الأرض، وأقام مذبحاً وقرب القرابين للآلهة، ثم إختفى مع الأخرين الذين هبطوا من السفينة. ولما لم يعد «خيسشروس» وجماعته، فإن مع من بقي في السفينة نزلوا منها وصاروا يفتشون عنه وينادونه بإسمه، ولكنه لم يظهر لهم وإنما سمعوا صوتاً في الهواء يكلمهم ويرشدهم أن يعبدوا الآلهة، وأنه هو نفسه سيعيش مع الآلهة جزاء صلاحه وتقواه، وأن زوجه وإبنته وملاحه سيشاركونه النعمة نفسها. وأمرهم كذلك

أن يعودوا إلى بلاد بابل، وكما هو مقدر عليهم أن يستخرجوا الكتابات المحفوظة والمدفوعة في مدينة «سپار» وينشروها ما بين الناس، وأخبرهم كذلك أنهم كانوا في بلاد أرمينية. ولما سمعوا ذلك ضحوا للآلهة وساروا إلى بلاد بابل مشياً على الأقدام. وأن أجزاء من السفينة التي إستقرت على جبال «غورديان» (Gordyaean) في أرمينية لا تزال باقية، وأن بعض الناس يقشطون القير منها ويستعملونه عوذا.

ولما عادوا إلى بابل حفروا الكتابات من سپار. وإنهم من بعد أن أسسو مدنا كثيرة وأقاموا المعابد، أعادوا تأسيس بابل من جديد [14].

ملاحظات على هذه الرواية:

1 ــ توجد بعض الإختلافات عن رواية «يولبهستر» وردت في كتابات الكاتب المسمى «أبيدينس» (Abydenus) ومن ذلك أن الناس في أرمينية يستعملون خشب السفينة وليس قيرها في صنع العوذ والتمائم، وأن المجموعة الأولى من الطيور قد أطلقت من بعد ثلاثة أيام على إنقطاع الأمطار.

2 ــ تختلف رواية «بيروسس» عن جميع الروايات الواردة عن الطوفان في النصوص المسمارية في نقطتين مهمتين هما: أنه حدد الشهر الذي وقع فيه الطوفان في اليوم الخامس عشر من شهر «دسيوس» الذي قلنا أنه يقابل الشهر الثاني من الأشهر

البابلية وهو أيار، ويضاهي هذا تحديد وقت الطوفان في التوراة. وثانياً تفرد «بيروسس» في روايته عن دفن الكتابات في مدينة «سپار»، وأنه عبر عن جميع المآثر المدونة بعبارته: «بدايات الكتابات وأواسطها ونهاياتها». كما يرجح أن يكون تخصيص مدينة «سپار» لدفن المآثر المدونة فيها يسير إلى إحتمال أن أصل روايته من مصدر محلي من «سپار».

الهوامش

(1)راجع:

1 - Poebel in Publications of The Babylonian Section University of Penn sylvania, V, n° . 1, pls. LXXXIV: IV . 1, 7 - 70

2 - S. N . Kramer in Ancient Near Eastern Texts (1969).

(2) الصيغة السومرية «زيو ـ سدرا» والصيغة البابلية «أوتو نبشتم» أو «أوتا ـ تبشتم» التي يحتمل أنها ترجمة الصيغة السومرية ومعناها «رأيت أو وجدت الحياة»، كما ذكرنا في كلامنا على (أوتو ـ نبشتم). وقد احتفظ بإسم «زيوسدرا» في المصادر الكلاسيكية (اليونانية والرومانية بهيئة «خيستروس» Cxisuthros الذي أخبره الإله «كرونوس» بقرب حدوث الطوفان كما سيأتي ذكر ذلك في رواية «بيروسس» عن الطوفان.

(3) أنظر الملحق السادس والصفحة التالية، وعن هذه الجداول أنظر خلاصتها في كتابي الموسوم: «مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة» الجزء الأول (1973).

(4) أصبح من المؤكد تقريباً تعيين «دلون» بأنها في البحرين، وقد جاء ذكر دلون أيضاً

في أساطير سومرية أخرى أشهرها اسطورة «أنكي» و ننخر ساك» وفي بعض الكتابات الأشورية ولا سيما كتابات سرجون الاشوري، أنظر كتابي «مقدمة في أدب العراق القديم» (1976) الص88. وكذلك «مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة» الجزء الأول (1973). والجزء الثاني (1955).

(5) الإله «نودمد» (Nudimmud) من أسماء الإله «أنكي» (ايا) إله الماء والحكمة الذي كان مركز عبادته «اريدو» (ابز شهرين على بعد نحو 25كم إلى الجنوب الغربي من أور).
أما أسماء الالهة الاخرى التي تعقب ذلك فهي الالهة التي اختص كل منها بإحدى المدن الخمس. حول هذه المدن الخمس ومواضعها والسلالات التي حكمت فيها في أزمان ما قبل الطوفان انظر تحليل ما يسمى بجداول الملوك السومرية في كتابي الموسوم: «مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة» الجزء الأول (1973).

(6) أي إلى جانب الجدار.

(7) عن موجز ما نعرفه عن «بيروسس» وما خلفه من مقتبسات من كتاباته ومنها رواية الطوفان في مؤلفات اليونان والرومان أنظر المرجعين الأساسيين:

1 - Lambert et Millard, Atra- Hasis The Babylonia in Story of the Flood (1969), 134 ff.

2 - P. Schnabel, Berossus und die Babylonichs - Hellenis- Tische Literatur (1928).

(8) بوسيبوس أسقف قيصرية في فلسطين (265_340) ومؤلفه «الأخبار» المذكور عبارة عن تاريخ عام، وقد ضمنه جداول بالحوادث المهمة في التاريخ اليوناني والروماني إلى عام 325 م.

(9) أنظر:

Lambert and Millard, Op. Cit., 134 ff.

(10) «السار» (SAR) رقم يساوي 3600، فيكون هذا الملك قد حكم 64800 عاماً!!

(11) الاله «كرونوس» (Cronus) كبير الالهة اليونانية ويأتي من بعد الاله السماء

«أورانوس»، وهو أبو الاله «زوس» حيث قضى عليه واستبد بحكم الكون، ولعله يقابل هنا الاله هنا «أنليل» أو «آنو».

(12) شهر دسيوس(Daisios) المقدوني يقابل شهرايار البابلي والذي كان الشهر الثاني في السنة البابلية.

(13) Stades جمع Staduim مقياس يوناني طوله نحو 202يارده.

(14) أنظر النص اليوناني في:

Jacoby, Die Fragmente der griechischen Historiker, III, C. 378 ff.

الملحق الخامس

ملحة «أترا ـ حاسس» ورواية الطوفان

خلاصه الملحمة

الرواية الأخرى المهمة عن الطوفان، بالإضافة إلى ملحمة جلجامش وملحمة «زيو ـ سدرا» و «رواية بيروسس» التي مر ذكرهما، قصيدة بابلية مطولة نوعاً ما إذ يبلغ عدد أبياتها نحو من (1300) بيت موزعة على ثلاثة ألواح، وقد عرفت لدي الباحثين بإسم ملحمة «أترا ـ حاسس» (Atra- Hasis) وجاء الإسم نفسه في إحدي نسخ الملحمة من العصر البابلي القديم بصيغة «اترام ـ حاسس» (Atram- Hasis). أما الكتبة البابليون فقد عنونوها بعنوان «حينما الإله مثل الإنسان» (وفي اللغة البابلية (enûma ilu awilum) ويرجح أن يكون إسم «أترا ـ حاسس» صفة مركبة تعني «المتناهي في الحكمة»، وأنها صفة لبطل الطوفان «أوتو ـ نبشتم» أو «أوتا ـ نبشتم» كما في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش.

جاءت إلينا القصيدة في عدة نسخ على ألواح وكسر من ألواح تؤلف كما قلنا ثلاثة ألواح، أقدمها ترجع في زمنها إلى

حكم الملك البابلي «عمي ـ صادوقا» (من سلالة بابل الأولى 1646 ـ 1626 ق. م.) وبعضها من العهد الأشوري الحديث (في حدود 700 ـ650 ق. م.) وورد إسم الناسخ أو الجامع بهيئة «كو ـ آيا» «كو ـ آي» (Ku- Aya) ويرجح أنها كانت تنشد أو تغني في بعض المناسبات [1]، أما من حيث موضوع الطوفان فإن هذه الملحمة أوفى وصفاً وتفصيلاً من اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش، ولعلها أصل الرواية الواردة في هذا اللوح. وإلى هذا فإنها تبدأ منذ الأزمان التي لم يكن في أثنائها سوى الآلهة في الوجود وتروي من بعد ذلك خلق الإنسان وتسليط الآلهة ولا سيما الإله «أنليل»، الطوفان لإفناء «البشر لأنهم أقلقوا الألهة بضوضائهم وصخبهم» على حد تعبير الملحمة. ونورد فيما يلي موجزاً وافياً عنها :

الآلهة وخلق الإنسان :

تبدأ الرواية كما ذكرنا بمقدمة نصف الأزمان القديمة التي لم يكن موجوداً في أثنائها في الكون سوى الآلهة العظام، فكان على الآلهة ولا سيما الآلهة الصغار أي من ذوي المراتب الدنيا أن يضطلعوا بأنفسهم في تهيئة ما يحتاجون إليه في شؤون الحياة المختلفة. وقد تم الإتفاق بين ثلاثة من الآلهة العظام وهم «آنو» و «أنليل» و «ايا»، على تقسيم الكون فيما بينهم، وعهد الإله أنليل إلى الآلهة الصغيري الشأن أن يتولوا شؤون الأرض

مثل حفر الجداول والأنهار. ولكن بعد حين إستثقل أولئك الآلهة عبء الأعمال التي فرضت عليهم فتذمروا واحتجوا بل أنهم أظهروا العصيان والثورة فتجمهروا ليلاً حول معبد «أنليل» وهم يحملون المشاعل. ولما شاهد هذا الإله تجمع الآلهة الثائرين إستشار الآلهة العظام فأشاروا عليه أن يبعث برسوله المسمى «نسكو» (Nusku) إلى الثوار ويستطلع جلية الأمر فقالوا له أن الأعمال التي فرضت عليهم قد أرهقتهم فلا قبل لهم بها. وعند ذاك أراد الإله أنليل أن يوقع العقاب بهم ولا سيما أحد الآلهة الذي يبدو أنه تزعم الثورة. ولكن «أنو» ينصح أنليل أن يعدل عن العقاب لأنه رأى أن لثورة الآلهة ما يبررها. وهنا إنبرى الإله «ايا» (أنكي) فأقترح لحل تلك المشكلة الكونية أن يخلق الإنسان ليقوم بدلاً من الآلهة بعبء العمل، فأستحسن جميع الآلهة هذا التدبير السديد وعهدوا إلى الآلهة الخالقة «ماما» أو «مامي» (وترد في النص أيضاً بإسم «ننتو»، وبعلة ـ أيلي، أي سيدة الآلهة) أن تأخذ على عاتقها خلق الإنسان من الطين وخلطه بلحم ودم أحد الآلهة فأختاروا الضحية إلها غير معروف في مجموعة الآلهة إسمه «وي» (Wê) أو «وى ـ ايلا» (We - ila). وقد أسهم الإله «ايا» في عملية الخلق إذ صحب الآلهة الخالقة إلى «بيت الأقدار» حيث ساعدتها أربع عشرة آلهة من آلهات الولادة، وسحق الإله «ايا» الطين بقدميه ثم قسمت الالهات الطين إلى أربع عشرة قطعة صنعن من كل منها سبع

صور إناث وسبع صور ذكور، وفصل ما بين المجموعتين بآجر اللبن. ومما يؤسف له أن ما يعقب ذلك مخروم من النص، ولكن يبدو من البقية القليلة السالمة أن «الرحم الخالق انفتح فجاء الإنسان». ثم تعدد الأسطورة النصائح والإرشادات عن الزواج والولادة لأن من أغراض النص على ما يبدو أنه كان يستعمل بمثابة تعويذة للولادة، وقد أطلق على أول بشر خلقته الآلهة اسم «لُلُّو» المركب من المقطعين السومريين «لو» ويعنى الرجل و «ألا» Ulla ويعنى الأول، ويكون المعنى الإنسان الأول.

من بعد النقص الذي أشرنا إليه في النص تنتهي المقدمة التي خصصت لخلق الإنسان كما بينا، ويبدأ المشهد الثاني من الرواية حين كثر عدد البشر وصارت ضوضاؤهم وضجيجهم وصخبهم تزعج الإله «أنليل» بحيث أنه حرم من النوم والراحة، فقرر أن يقلل من عددهم فسلط عليهم أولاً الطاعون بأن أمر إله الطاعون «نمتارا» (Namtara)[2] أن يتولى تنفيذ الخطة فسلط على الناس الأوبئة والأمراض المختلفة. ولكن سرعان ما تدخل الإله «أيا» في الأمر، وهو الإله الذي إشتهر في مآثر حضارة وادي الرافدين بالتزامه جانب الإنسان في محنته ومصائبه. فحاول أن يخفف من شدة وطأة الطاعون. وهنا يظهر لأول مرة دور بطل الرواية «أترا ـ حاسس» ولا يعلم هل ورد إسمه في المواطن السابقة المخرومة من النص. ومهما

كان الأمر فإن الإله «ايا» نصحه بأن يوعز لشيوخ المدينة أن يجمعوا الناس ويتضرعوا إلى إله الطاعون، فأستجاب لهم وخفف من وقع الطاعون، فلم يفن جميع الناس.

ولكن بعد فترة إزداد البشر مرة أخرى وعاودوا صخبهم الذي أزعج «أنليل» وحرمه من الراحة، وهنا لجأ هذا الإله إلى وسيلة أخرى للقضاء على البشر أو التقليل من عددهم على الأقل، فسلط القحط والمجاعة بأن أمر إله الأمطار «أدد» أن يحبس الأمطار عن الأرض فجفت الحقول وسلطت على التربة العطشى الأملاح ومات كل نبات في الأرض. وحلت المجاعة وهلك الكثير من الخلق. ولكن «أترا ـ حاسس» يلجأ مرة أخرى إلى حامي البشر «ايا» فينصحه هذا أن يتوسل إلى إله المطر. فأستجاب «أدد» لتضرعه وأنزل المطر بدون أن يحس الإله «أنليل» بالأمر. ولما تكاثر البشر مرة أخرى وأزعجوا الإله أنليل بصخبهم، أدرك هذا الإله أن فشل الوسائل التي لجأ اليها لإفناء البشر يرجع إلى تدخل بعض الآلهة، فأصدر أوامره المشددة بأن يستمر الجفاف والقحط، وعين بعض الآلهة ليراقبوا تنفيذ أوامره في انحباس الأمطار عن الأرض، فعهد مثلاً إلى الإلهين «أنو» و «أدد» حراسة منافذ السموات وتولى بنفسه [3] حراسة الأرض، وأناط بالإله «ايا» مراقبة ينابيع المياه الجوفية. هكذا أعيد الجفاف والقحط والمجاعة، وكانت الوطأة في هذه المرة شديدة ودامت بحسب الروايات ست أو

سبع سنوات، وأضطر البشر إلى أكل بعضهم البعض، و «صار البيت يأكل أطفاله»، ولكن مع ذلك تدخل الإله «ايا» في الأمر واستطاع أن يخفف من وطأة الجفاف والمجاعة، فلجأ الإله «أنليل» إلى وسيلة أخرى للقضاء على البشر بأن سلط عليهم الطوفان. وهنا تسرد الرواية خبر الطوفان وهو يضاهي بوجه أساسي قصة الطوفان الواردة في ملحمة جلجامش.

ومما يجدر ذكره في ختام كلامنا على ملحمة «أترا ـ حاسس» أن الرواية التي وصلت إلينا عنها من العصر الأشوري الحديث (القرن السابع ق. م.) دونت على ثلاثة ألواح كما قلنا، يتضمن اللوح الأول منها مجرد أصوات بهيئة مقاطع مسمارية، وقد فسر بعض الباحثين دمجها بالملحمة بأنها تعبر عن الأصوات الأولى التي نطق بها البشر من بعد خلقهم كما جاء في مقدمة الرواية، أي بعبارة أخرى إنها تمثل «لغة الإنسان الأولى» بحسب ما ارتآه مؤلفو الأساطير في حضارة وادي الرافدين [4].

. . .

ترجمة الملحمة [5]

اللوح الأول: ـ

حينما كان الآلهة مثل البشر

يضطلعون بالعمل ويقاسون الكد والعناء

(أجل) كان عبء الآلهة ثقيلاً جسيماً
كان العمل ثقيلاً والمقاساة شديدة
إن الألهة «الأنوناكي» [6] السبعة العظام
جعلو آلهة الـ «ايكَيكَي» يقاسون من العمل
وكان الملك أباهم «آنو»
ومستشارهم (مشاورهم)، «أنليل» المحارب
وان حاجبهم (وزيرهم) «ننورتا»
ومنفذ أوامرهم «إنوكَي» (Ennugi) (إيا)
لقد تعاهد الآلهة وأمسك أحدهم بيد الآخر
وإقترعوا وتقاسموا فيما بينهم السلطات
فأخذ «آنو» السماء وارتقى إليها
. . . والأرض إلى أتباعه
وخصصوا للإله «أنكي» مقاليد البحر وسدوده
وبعد أن عرج «آنو» إلى السماء
ونزل «انكي» إلى الـ «أبسو» [7]

. . . .

(الأسطر من 18إلى 34 مخرومة ويستبان من الكلمات القليلة الباقية منها أنها تدور على وصف الأعمال الشاقة التي فرضها الآلهة الكبار على الآلهة الصغار الـ «ايكَيكَي»، مثل حفر الأنهار وكري الجداول، ويعقب ذلك النص الواضح إبتداء من السطر 34): ـ

لقد عدوا سني الأعمال الشاقة
. . . . الهور الكبير
لقد حسبوا سني العمل
فكانت مفرطة شاقة . . طوال 40 عاماً
لقد قاسوا من العمل ليل نهار
فكانوا يتذمرون ويشكون
كانوا ساخطين متذمرين وهم يحفرون ويقولون :
لنواجه الحاجب
عساه أن يخلصنا من عملنا المضني
لنقابل البطل مستشار الآلهة .
ولنغلبه ونوهنه وهو في مسكنه
«أنليل» البطل ، مستشار الآلهة
لنوهن عزيمته وهو في مسكنه
لنعلن الحرب ونشرع بالقتال
لقد استمع الآلهة إلى كلماته (؟)
وأشعلوا النار في أدواتهم
أضرموا النار في مرارهم (ومساحيهم)
وسلطوا اللهب على أدواتهم وسلالهم
ورفعوها كالمشاعل وهم يسيرون
واتجهوا إلى باب معبد الإله البطل «أنليل»
وكان ذلك في منتصف الليل [8]

وأحاطوا بالمعبد «إي ـ كور» ولم يعلم أنليل
ولكن الحارس «كلكل(Kalkal) شاهد ذلك فاضطرب
ووضع المزلاج وأخذ يراقب
وأيقظ «كلكل» «نسكو» [9]
وأخذا يصغيان إلى الجلبة والضوضاء . . .
فأيقظ «نسكو» سيده من فراشه وقال له :
«يا سيدي إن معبدك محاط ، محاصر
و إقترب القتال من بوابتك
يا أنليل إن معبدك محاصر
وبلغ القتال بوابتك
ففتح «أنليل» فاه ، وكلم وزيره «نسكو» قائلاً : ـ
«يا نسكو أغلق بابك بالمزلاج
وهيىء سلاحك وقف أمامي
فأحكم «نسكو» غلق بابه بالمزلاج
وأخذ سلاحه ووقف أمام «أنليل»
وفتح «نسكو» فاه وقال لأنليل :
«يا سيدي إنهم أبناؤك
فعلام تخاف من أبنائك؟
أرسل و إستدعي «آنو» ليأتي إليك .
وأحضر «انكي» إليك أيضاً
فأحضر «آنو» ، ملك السماء

وحضر «انكي» ملك الـ «أپسو»
وحضر معهم آلهة الـ «انوناكي» العظام
نهض «أنليل» وفتح فاه وقال مخاطباً الآلهة العظام:
هل هذه الأعمال موجهة ضدي؟
وهل ينبغي أن أدخل في المعركة؟
فماذا ترى عيناي!
إنني أرى المعركة وصلت إلى بابي.
ففتح «آنو» فاه، وخاطب «أنليل»، البطل:
عن الأسباب التي دعت آلهة الـ «إيكَيكَي» يحاصرون بابك
ليذهب «نسكو» فيستطلع الخبر.

. . . .

ففتح «أنليل» فاه وقال مخاطباً وزيره «نسكو»:
«يا نسكوأفتح بوابتك وخذ سلاحك
وفي مجمع كل الآلهة
قف و انحن وانقل لهم كلامنا وقل لهم:
لقد أرسلني «آنو»، أبوكم
ومستشاركم البطل «أنليل»
ونَنورتا وزيركم
و «انوكَي»، عميدكم. أرسلوني لأقول لكم:
من المحرض على القتال؟
ومن أثار العداء والحرب؟

فذهب «نسكو» إلى مجمع الآلهة وكلمهم بما قال له «أنليل»
فأجابه الآلهة قائلين :
إن كل واحد منا نحن الآلهه ، قد أعلن الحرب :

. . . .

لقد قتلنا عبء العمل الشاق
كان عملنا تقيلاً ، وعناؤنا كبيرا
ولما أن أبلغ «أنليل» بكلامهم .
سالت دموعه
وخاطب «أنليل» ، «آنو» المحارب :
عرج إلى السماء بكامل قدرتك وسلطاتك
وحين يجتمع آلهة الـ «أنوناكي» بك
أحضر إليك أحد الآلهة وليقتل أمامك
وفتح «آنو» فاه وخاطب إخوته الآلهة :
بأي جريرة نتهمهم ؟
حقاً كان عملهم شاقاً وعناؤهم كبيراً
وتعالت شكواهم حتى سمعناها»
وكذلك خاطب «إيا» إخوته الآلهة قائلاً :
أي جرم نحملهم؟
لقد كان عملهم شاقاً وعناؤهم كبيراً
وما دامت «بعلة» الآلهة ، آلهة الولادة حاضرة
فلتخلق «آلهة الولادة» قربانا (مخلوقا)

دعها تخلق الإنسان «لولو» (Lullu) [10]
وليحمل النير، ويقوم بعبء عمل الآلهة
فاستدعوا «مامي» الحكيمة، قابلة الآلهة وقالوا لها:
«أنت إلهة الولادة، وخالقة البشر
فاخلقي الـ «لولو» [10] (الإنسان)، لكي يحمل عبء (العمل)
ليحمل العبء الذي فرضه «أنليل»
ليحمل الإنسان عناء عمل الآلهة
ففتحت «ننتو» [10] فاها وخاطبت الآلهة العظام قائلة:
ليس بمقدوري أن أصنع الأشياء
فإن القدرة والمهارة عند «أنكي» (إيا)
لأنه يستطيع أن يطهر كل شيء
فليعطني الطين لكي أصنع منه»
ففتح «أنكي» فاه وخاطب الآلهة العظام قائلاً:
في اليوم الأول والسابع والخامس عشر من الشهر
سأقيم حوضاً للتطهير.
فليضحِ أحد الآلهة
لكي يتطهر جميع الآلهة بالغطس
ولتخلط «ننتو» الطين بلحمه ودمه
ليمتزج الآلهة والإنسان بالطين
حتى نستطيع أن نسمع صوت الطبل في كل الأوقات (؟!)

ولتكن روح من مادة الإله
وليكن الإنسان الحي علامتها ومظهرها
ومن أجل أن لا ينسى ذلك لتكن روح
وقال المجمع (مجمع الآلهة)،
نعم أنهم الأنوناكي الذين يقدرون المصائر
وفي اليوم الأول والسابع والخامس عشر من الشهر
أقام «أنكي» حوض تطهير
وذبح الآلهة في مجمعهم «وي ـ إيلا» (We - ila)
الذي كان جسماً مشخصاً ؟
ومزجت «ننتو» الطين بلحمه ودمه
وصاروا يسمعون صوت الطبل على الدوام
ومن لحم الآلهة ظهرت الروح
وانبثق منها الإنسان الحي، علامة على وجودها[11]
وبعد أن خلطت الطين
دعت الـ «أنوناكي»، الآلهة العظام
وآلهة الـ «ايكَيكَي» العظام
(وبمحضرهم) بصقت على الطين
وفتحت «مامي» فاها وخاطبت الآلهة العظام قائلة:
لقد عهدتم إلي بعمل وقد أكملته
لقد ذبحتم إلها بكامل شخصيته
وأنا أنقذتكم من أعمالكم الثقيلة

وفرضت عناء عملكم على الإنسان ليحمله
وتعالت أصواتكم من أجل البشرية
لقد أرخيت النير وحققت الحرية
هرعوا إليها وقبلوا قدميها قائلين :
كنا ندعوك فيما مضى «مامي»
والآن ليكن اسمك «سيدة كل الآلهة» [12]
لقد دخلا بيت المصائر
أجل دخل «إيا» و «مامي» الحكيمة
ومع آلهات الولادة المجتمعات
أخذ يدوس على الطين بحضورها [13]
وكانت تتلو التعويذة
وجلس قدامها «إيا» وهو يحثها
وبعد أن أتمت تلاوة التعويذة
إقتطعت أربع عشرة قطعة من الطين
ووضعت سبعاً منها إلى اليمين، وسبعاً أخرى إلى اليسار
ووصلت ما بينها بالأجر
. . . . حبل السرة . . . .
وتجمعت سبع وسبع آلهات من آلهات الولادة
وخلقت سبع منهن الذكور
وسبع منهن خلقن الإناث

. . . .

(من بعد هذا يأتي عدة مواضع في الملحمة مخرومة غير واضحة المعنى، ولكن يبدو من سياق ما بقي منها أن بضعة أسطر منها قد خصصت لتكون تعويذة للحوامل، لتساعد تلاوتها الحامل في مخاضها. ثم يبدأ النص بالوضوح قليلاً في بيان كيف أن البشر تكاثروا في الأرض، وأقلقوا راحة الآلهة بصخبهم وأعمالهم. وندرج فيما يلي الترجمة إبتداء من السطر 352 من اللوح الأول، بحسب ترقيم (Lambert, Op. Cit.):

لم تكد تنقضي ستمائة وستمائة عام
حتى أتسعت البلاد وتكاثر الناس
وكانت البلاد تجأر وتخور كالثور
فأزعجت الآلهة بضجيجها وصخبها
سمع أنليل الضجيج فخاطب الآلهة العظام قائلاً:
«لقد ضقت ذرعاً بضوضاء البشر
فحرمني ضجيجهم النوم
(أربعة أسطر مخرومة)

. . . .

وكان «أترا ـ حاسس» [14] يبلغ آلهة «أنكي» ويخاطبه:
فتح «أترا ـ حاسس» فاه وخاطب سيده:
«هل سيواصلون تسليط الأمراض والوباء علينا إلى الأبد
ففتح «أنكي» فاه وكلم خادمه (أترا ـ حاسس):
لتأمر أن يعلن المنادون في البلاد بأصوات عالية:

«لاتبجلوا آلهتكم

«ولا تصلوا لآلهاتكم

«بل أقصدوا باب «نمتارا» [15]

وأحضروا معكم رغيفاً من الخبز

ولعله سيسر بقرابين من طعام السمسم

فيستحي من هداياكم ويرفع يده عنكم

تلقى «أترا ـ حاسس» الأمر

وجمع في بوابته الشيوخ وخاطبهم قائلاً :

«لتجعلوا المنادين يطوفون ويعلنون بصوت عال في البلاد :

«لا تبجلوا آلهتكم

ولا تصلوا لآلهاتكم

بل أقصدوا باب «نمتارا»

وإجلبوا إليه رغيفاً من الخبز

وعسى أن يسر بقرابين طعام السمسم

وعندئذ سيستحي من هداياكم ويرفع يده عنكم

فأستمع الشيوخ إلى كلماته

وأقاموا معبداً لنمتارا في المدينة

وأطلقوا المنادين يعلنون بأصوات عالية في البلاد :

ولم يبجلوا آلهتهم

ولم يصلوا لآلهاتهم

بل قصدوا باب «نمتارا»

وقدموا رغيفاً من الخبز، وقربانا من طعام السمسم
فأستحى من قرابينهم
ورفع عنهم الوباء

اللوح الثاني : ـ
(الأسطر الثمانية الأولى من هذا اللوح تكرار لما تقدم وهي) : ـ
لم تكد تمضي ستمائة عام وستمائة عام
حتى أتسعت البلاد وتكاثر الناس
وصارت البلاد تجأر وتخور كالثور
فأنزعج الإله بضوضائهم وصخبهم
لقد سمع أنليل صخبهم وضجيجهم
فخاطب الآلهة العظام وكلمهم قائلاً : ـ
إن ضوضاء البشر قد ثقلت علي فلا أتحملها
لقد حرمني ضجيجهم النوم
فلتنقطع المؤن عن الناس
ولتحل الندرة في النباتات حتى لا تكفيهم لسد جوعهم
وليحبس الإله «أدد» أمطاره
ولينقطع إرتفاع مياة العمق من الأسفل
ولتهب الرياح اللافحة فتحرق الحقول
ولتتكاثف السحب ولكن ليمتنع هطول المطر

ولتنقص الحقول من غلالها
ولتوقف الآلهة «نصابا» (نتاج) ثدييها [16]
ولتزل الأفراح من بينهم
(باقي أسطر الحقل الأول من اللوح الثاني مخرومة، وكذلك الأسطر السبعة الأولى من الحقل الثاني، وحينما يصبح النص واضحاً، تبدأ أوامر الإله «أنكي» (إيا) على الوجه الآتي: ـ
«ليعلن المنادون بأصوات عالية في البلاد:
لا تبجلوا آلهتكم
ولا تصلوا لآلهاتكم
بل أقصدوا باب الإله «أدد» [17]
وخذوا معكم رغيف خبز إليه
ولعل قرابين السمسم ستسره
فيخجل من قرابينكم ويرفع يده عنكم
ولعله سينزل طلا وضباباً في الصباح
وينزل الطل خلسة في المساء
فتنتج الحقول الغلال خلسة»
لقد أقاموا في المدينة معبداً للإله «أدد»
ولم يبجلوا آلهتهم
ولم يصلوا لآلهاتهم
بل قصدوا باب «أدد»
وقدموا إليه رغيفاً من الخبز

وسر بقربان طعام السمسم
واستحى مما قرب له وكف عن الأذى
وفي الصباح نزل الضباب
وأمطر طلا في المساء خلسة
ونتجت الحقول الغلال خلسة
(يعقب ذلك خروم كثيرة في النص إلى بداية الحقل الرابع من اللوح الثاني) : ـ

. . . .

في الأعالي .. وفي الأسفل لم يرتفع الطوفان من الأعماق
لم يحمل رحم الأرض فلم تظهر النباتات
ولم يشاهد الناس . . . .
وغدت الحقول السوداء بيضاء
وغطى الملح السهول الواسعة
وأكلوا «الثيل» (؟) طوال سنة واحدة
وفي السنة الثانية قاسوا الحك
وظهرت القشور على وجوههم كالبقول
وشارفوا على أبواب الموت
وصاروا يمشون في الدروب وهم محنيو الظهور
وصغرت أكتافهم العريضة
وقصرت أرجلهم الطويلة

(خمسة أسطر مخرومة لا تصلح للترجمة إلى الحقل الخامس والأسطر الأولى مخرومة منه أيضاً حتى السطر 12):

لقد غضب [18] على آلهة «ايكَيكَي» وقال :

«نحن آلهة الـ «أنوناكي» العظام قد قررنا معاً

وان «آنـو» و «أدد» قد عهـدت إليهمـا حراسة المناطق العليا

وحرست أنا الأرض السفلى

(ولكن) حيثما ذهب «أنكي» فإنه كان يرفع النير ويجلب الحرية

ويسبغ الخيرات على الناس»

فتح «أنليل» فاه وخاطب وزيره «نسكو» قائلاً : ـ

ليحضروا إلي . ليرسلوهم لي

ولما حضروا إليه، خاطبهم البطل «أنليل» : ـ

نحن آلهة الـ «انو ناكي» العظام

قد قررنا جميعاً

أن يعهد إلى «آنو» و «أدد» حراسة المناطق العليا

وحرست أنا الأرض السفلى

ولكنـك حيثمـا ذهبـت أرخيت [19] النيـر وأحللت الحرية

وعمت الخيرات والوفرة على الناس

. . . .

الحقل السادس

(بداية الحقل مخرومة إلى السطر العاشر):

أنزل الإله «أدد» المطر، وملأ الحقول

وغطت السحب . . . .

لاتطعموا أناسه

ولا تزودوهم بالغلال فيعيشوا عليها

فنهض الإله وقد أتعبه القعود

وغلبه الضحك في مجلس الآلهة

أتعب «أنكي» الجلوس

وغلبه الضحك في مجلس الآلهة

الحقل السابع

(الأسطر الأولى مخرومة، كما أن أسطر من 31 حتى 40 غير واضحة المعنى فلا تصلح للترجمة. وحينها يصبح النص واضحاً نجد الإله «انكي» يخاطب الآلهة قائلاً: ـ

علام توثقونني بقسم

هل علي أن أدمر خلقي (أناسي) بيدي؟

إن الطوفان الذي أمرتموني به

هل سأكون أنا محدث الطوفان؟

إذا هذا واجب «أنليل» .

فليتقدم إلى الأمام «شلات» و «خانيش» [20]

وليقلع الإله «إيراكلاَّ» الدعائم [21]
وليفتق الإله «ننورتا» السدود لتفيض

الحقل الثامن:

(لم يبق من هذا الحقل من اللوح الثامن سوى بضعة أسطر هي):

«أراد الآلهة الفناء والتدمير
ولقد أراد «أنليل» الشر بالناس وهلاكهم

. . . .

فتح «أترا ـ حاسس» فاه
وخاطب سيده قائلاً:

(هذان السطران هما السطران الأولان من اللوح الثالث من ألواح الملحمة الثلاثة)!

اللوح الثالث:

(ويتضمن رواية الطوفان)

«فتح أترا ـ حاسس» فاه
وخاطب سيده قائلاً:
«عبر لي عن معنى الرؤيا
حتى أعرف مغزاها ونتيجتها
ففتح أنكي فاه، وقال مخاطباً عبده:

«أنت تريد أن تعرف مغزى الرؤيا

فأنتبه إلى المعنى الذي سأبلغك به:

«يا حائط! إسمعني يا حائط!

يا كوخ القصب، تفهم كلماتي

أنقض بيتك وإبن لك فلكا

أنبذ المال وانج بحياتك

والسفينة التي ستبني

(الأسطر 26 إلى 28 مخرومة)

سقفها وأحكم بناءها كمياه الاپسو

بحيث لا ترى الشمس داخلها

وأحكم سقفها من الأعلى والأسفل

ولتكن حبالها متينة قوية

وليكن القير نخينا لتكون السفينة قوية.

وأنا سأمطركم بوافر من الطيور والأسماك [22]

«لقد فتح الساعة المائية [23] وملأها

«لقد بلغه بوقوع الطوفان لليلة السابعة

إانصاعأاتر ـ حاسس للأمر

وجمع الشيوخ عند بابه

وفتح أترا ـ حاسس فاه وخاطب الشيوخ قائلاً:

«إن إلهي على خلاف مع إلهكم

«إن أنكي» و «أنليل» غاضب أحدهما على الآخر

لقد أخرجاني وطرداني من بيتي

ولأنني أخص أنكي بالتبجيل

فإنه أخبرني بالأمر

ولذلك فلن أستطيع العيش في مدينتكم

ولا أستطيع أن أضع قدمي على أرض «أنليل»

بل مع الآلهة . . . وهذا ما أخبرني به

. . . .

(عدة أسطر مخرومة تتضمن جمع العمال والنجارين وتهيئة المواد لصنع السفينة) :

. . . .

كل ما عليك . . . .

ومن الحيونات الطاهرة . . .

والحيوانات السمينة . . .

وأطيار السماء . . . والماشية وحيوان البر . . . إجمعها في السفينة

دعا الناس . . . إلى وليمة

وأركب عائلته في السفينة

أكلوا وشربوا . . .

وكان يدخل ويخرج على الدوام ولا يستطيع الجلوس ولا النوم

لأن قلبه قد تحطم، وصار يتقيأ المرارة ؛

وتبدلت هيئة الجو
وأرعد الإله «أدد» في السحاب
وحالما سمع صوت «أدد»
أحضر القير ليسد بابه
وبعد أن غلق بابه
كان «أدد» لا يزال في السحاب
وإزدادت الرياح في شدة هبوبها حينما إستيقظ
فقطع المرساة وأطلق السفينة

. . . .

(عدة أسطر مخرومة)
وصار الطائر «زو» [24] يمزق السماء بمخلبه
لقد حطم صوته . . . كما تحطم الجره
. . . . وجاء الطوفان
وفتك في شدته بالناس كالحرب العوان
وصار الأخ لا يرى أخاه
ولم يكن الناس ليميزوا من هول الهلاك
وخار عباب الطوفان كالثور الوحشي
وكان صوت الطوفان كنهيق حمار الوحش
وغطى الناس الظلام الدامس، ولم تظهر الشمس

. . . .

(عدة أسطر مخرومة)

إستشاط «أنكي» غيظاً
وهو يرى أبناءه يسحقون ويهلكون
و «ننتو» السيدة العظيمة [25]
يبست شفتاها من الحرارة
والـ «أنوناكي» الآلهة العظام
جلسوا وهم عطشى وجياعى
وبكت الآلهة وهي تشاهد الكارثة؟
وقالت الحكيمة «مامي» ، قابلة الآلهة ،
ليعم الظلام النهار، وليعم البؤس والشقاء
(وأنا) في مجلس الآلهة
ماذا دهاني أني قررت معهم الهلاك والدمار
لقد تجاوز «أنليل» المدى في الشر والهلاك
ومثل الشيطان «تريرو» ، أمر بالشر والدمار
وأوقعت الأذى بنفسي عندما أصغيت إلى ضوضائهم
وإن ذريتي ـ وقد قطعت عني ـ غدت كالذباب
وأنا أصبحت كالساكنة في بيت النذب والبكاء
فلا يسمع نحيبي وعويلي
فهل سأرقى إلى السماء
وكأني سأعيش في بيت الكنز» ؟
إلى أين ذهب كبيرهم «آنو» ؟
(آنو) الذي يطيع أمره أبناؤه الأقداس

إنه الذي لم يترو فأحدث الطوفان
وأسلم الناس إلى الهلاك والفناء
(عدة أسطر مخرومة)
لقد ملأوا النهر كأنهم اليعاسيب
صاروا كالأرماث الطائفة في النهر (؟)
لقد شاهدتهم وبكيت من أجلهم
أجل إنتحبت من أجلهم
حتى استنفدت رثائي وندبي من أجلهم
«لقد ناحت «ننتو» بكل حرارة عاطفتها
وبكى الآلهة معها من أجل البلاد
لقد ملكها الحزن وأصابها الظمأ إلى الجعة
وحينما جلست جلسوا معها يبكون
وملأوا الحوض كأنهم الغنم
ويبست شفاههم من شدة الظمأ
وحل بهم الضعف والشلل من شدة الجوع
وطوال سبعة أيام وسبع ليال:
عم الطوفان والزوابع.
(نحو 27 سطراً مخرومة، ونحو 29 سطراً من الحقل التالي).
. . . . إلى الرياح الأربعة
وجهز الطعام . . . .

وشم الآلهة طعام الوليمة
فتجمعوا كالذباب على القرابين
نهضت «ننتـو» ، وهي غاضبة على الجميع فقـالت :
إلى أين ذهب «آنو» ، كبير الآلهة .
هل حضر «أنليل» إلى البخور والقرابين؟
إنهما اللذان لم يترويا فأحدثا الطوفان
وسلطا على الناس الدمار والهلاك
«لقد أردتم الهلاك الشامل ،
والآن غدت وجوههم النظيفة كدرة مغبرة
ثم أمسكت بالذباب الكبير
وهي التي صنعها لها «آنو» وكانت تحملها
وقالت : «إن حزنه حزني ، والآن قرر مصيري
ليخلصني من هذا الحزن والغم .
وليكن هذا الذباب أحجار اللازورد التي جيدي
لا تذكر بها كل يوم وإلى الأبد [26]
لقد شاهد البطل «أنليل» السفينة
واستشاط غيظاً على آلهة الـ «يكَيكَي» وقال :
نحن آلهة الـ «أنوناكي» العظام
قد قررنا وأقسمنا على ذلك
فكيف نجا بعض الأحياء ! ؟
وكيف سلم الإنسان من الهلاك

ففتح «آنو» فاه وخاطب أنليل قائلاً :

«من غير «انكي» من يستطيع أن يفعل ذلك ؟

«أنا لم أفش سر القرار.

ففتح «أنكي» فاه وخاطب الآلهة العظام قائلاً :

«لقد فعلت ذلك حقا بمحضركم

أنا المسؤول عن نجاة الحياة

(عدة سطور مخرومة)

فليعاقب المذنب بوزر ذنبه

وكل من يخالف أوامرك

ففتح «أنليل» فاه وخاطب «أنكي» قائلاً : ـ

هلم ! إحضر «ننتو» إلهة الولادة

أنت وهي حضرتما الإجتماع

. . . .

(وهنا ينخرم النص ، ولكن الأسطر القليلة الباقية تنتهي بها الملحمة بخلق الآلهة «ننتو» صنفاً ثالثاً غريباً من البشر هو جنس الإناث اللواتي لا يحملن، وخلق أنواع من الشياطين) .

وننهي كلامنا على ملحمة «أترا ـ حاسس» بالتنويه بأن النص الآشوري يسجل لنا إحدى مظاهر إشتداد القحط والجوع قبل إحلال الطوفان هو التجاء الناس إلى أكل بعضهم بعضاً (27).

إشارات الى الطوفان في النصوص المسماوية

بعد أن أوردنا النصوص المسمارية المطولة التي خصصت لرواية أحداث الطوفان وهي :

1 - اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش.

2- النص السومري: ملحمة «زيو ـ سدرا».

3 – رواية «بروسس».

4ـ ملحمة «أترا ـ حاسس» «حين (كان) الآلهة مثل الانسان».

ننهي كلامنا عن الطوفان في مدونات حضارة وادي الرافدين في التنويه بالإشارات التي وردت الى الطوفان في أشهر النصوص المسمارية الأخرى بالإضافة الى الروايات أو القصص الكاملة التي أثبتنا ترجمتها.

ونذكر فيما يلي هذه النصوص:

1 ـــ جداول الملوك السومرية

سبقت الإشارة مرارا إلى مايسمى بإثبات أو جداول الملوك السومرية (Sumerian King - List)[28]، وقد عنونت بالسومرية بمصطلح «الملوكية» (نام ـ لوكال)(Nam Lugal)، وهي أطول جداول تتضمن أسماء السلالات وحكامها وملوكها مع عدد سنيها وسني كل ملك فيها منذ عصور ما قبل الطوفان والسلالات التي أعقبت هذا الحدث إلى آخر ملوك سلالة «إيسن» التي صدرت في أواخر عهدها أحدث نشرة بهذه

الجدول، وكانت أولى نشرة لها في بداية عهد السلالة السومرية السابقة وهي سلالة «أور الثالثة» (2112ـ2095 ق . م.) وعلى وجه التخصيص كما يرجح في حكم الملك السومرية الشهير «أوتو ـ حيكَال» الذي اشتهر بتحرير البلاد من سيطرة الكوتيين البرابرة وتأسيسه سلالة حاكمة في الوركاء هي سلالتها الخامسة ولكن إقتصرت على حكمه حيث انتزع الحكم منه مؤسس «أور» الثالثة المسمى «أور ـ نمو» .

والذي يهمنا من أمر هذه الجداول فيما يتعلق بالموضوع الذي بين أيدينا أن هذه الجداول تقسم تأريخ البلاد أو بالأحرى تأريخ العالم أو التأريخ العام إلى حقيقتين متميزتين ومنفصلتين، أقدمها أزمان ما قبل الطوفان ثم أزمان ما بعد الطوفان. وقد خصصت تلك الجداول للحقبة الأولى خمس سلالات وثمانية ملوك حكموا في خمس مدن قديمة دام حكمهم رقماً أسطورياً هو 000 ر 241 عام !! أما تلك المدن الخمس فهي : ـ

1 ـ أريدو (أبو شهرين الآن إلى الجنوب الغربي من أور بنحو 25 كم).

2 ـ مدينة «باد ـ تيبرا» (Bad - Tibira) (ولعل موضعها الآن البقايا التي تعرف بإسم المدينة في منطقة لجش).

3ـ سيار (أبو حبة الآن بالقرب من صدر اليوسفية).

4 ـ شروپاك (تل فاره الآن في منطقة الوركاء) وهي مدينة

بطل الطوفان «أوتو ـ نبشتم» بحسب رواية الطوفان في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش.

5 ـ لَرَك (ويرجح ان موقعها الآن في منطقة الحسينية في محافظة واسط الكوت).

ويعقب سلالات هذه المدن الخمس في تلك الجداول عبارة: «ثم حل الطوفان وجرف البلاد، ومن بعد الطوفان هبطت الملوكية من السماء وحلت في مدينة كيش» وتعدد الجداول أسماء ملوكها وعدد سني حكمهم، ويعقب ذلك السلالات الأخرى وعددها عشرون سلالة إلى آخر ملوك سلالة «إيسن» التي قلنا أن في عهدها صدرت آخر نشرة لتلك الجداول.

وقد أطلق على الطوفان في هذه الجداول وكذلك في غيرها من النصوص المسمارية التي تضمنت رواية الطوفان أو التي ورد فيها ذكر الطوفان المصطلح السومري: «آ ـ ما ـ رو» (A - MA - RU) ومرادفه في الأكدية (البابلية والآشورية) «أبوبو» الذي يكاد أن يكون من المؤكد أنه يرادف الكلمة العربية «عُباب» أو «أباب» . وتضاهيها الكلمة العبرانية التي تطلق على الطوفان كما جاء في التوراة «مابول» أو «مَبّوُل».

وإكمالاً لهذه الملاحظة عن كلمة الطوفان في السومرية والبابلية ننوه بأن العبارة التي وردت في النصوص المسمارية:

«من بعد الطوفان» أو «من بعد أن حل الطوفان» وردت بعدة أشكال في السومرية أشهرها : ـ

1 ـ من بعد أن هاج الطوفان وبالتعبير السومرية

EGIRA- MA - RU - U -RA -TA

2 ـ عبارة من بعد أن وقع أو حل الطوفان وبالسومرية : (29)

EGIR - A - MA - RU - BA - GAR - RATA

2 ـ جدول ملوك سلالة «لجش» :

من الالغاز التاريخية في تأريخ العراق القديم التي لم تحل حلا شافياً أن جداول الملوك السومرية التي ذكرناها لا تذكر حكام أو ملوك سلالة شهيرة حكمت فيما يسمى بعصر السلالات الثالث في حدود 2400 ق . م . وقد أسسها الملك السومري في مدينة لجش «أور ـ ناتشة» ، وكان آخر ملوكها المصلح الشهير «أورو ـ كاجنبا» . وقد خلف لنا ملوك هذه السلالة مجموعات مهمة من مآثرهم المدونة والبقايا الأثرية من أبنية وفنون نحت كما أظهرت ذلك التنقيبات الفرنسية في منطقة «تلو» . وقد أظهرت الدراسات الحديثة لنصوص ملوك هذه السلالة جدولاً خاصاً بملوك هذه السلالة ، وهو يبدأ كذلك بالعبارة الواردة في جداول الملوك السومرية أي عبارة «من بعد الطوفان» .

3ـ الحكماء السبعة :

شاعت في أدب حضارة وادي الرافدين أسطورة طريفة عن الحكماء السبعة [30] ومن ذلك ماورد في ديباجة ملحمة جلجامش على أنهم هم الذين وضعوا أسس مدينة الوركاء وأسوارها ، وهم الذين علموا البشر أصول العمران في أقدم سبع مدن في البلاد .

وبالإضافة إلى مثل هذه الاشارات إلى الحكماء السبعة جاء ذكرهم في لوح طيني عثـر عليه في تنقيبات مدينة الوركـاء . حـيث يذكـر هذا اللوح الحكماء السبعة أنهم يطابقون أو يضاهون الملوك السبعة الذين حكموا قبـل الطـوفان [31] .

وجاء ذكر الحكماء السبعة والطوفان في نص مسماري مزدوج اللغة (Bilingual) أي بالسومرية والبابلية [32] وذكر الحكماء السبعة وأنهم عاشوا قبل الطوفان في ذيل لنص طبي [32] وبالعبارة : «طبق الحكماء السبعة القدماء في ما قبل الطوفان» وبالنص البابلي [33] :

Sha pi apkalle (NUN - ME - mesh) labiruti sha lâm abûbi (A- MA) - URU

ونختتم هذه الملاحظات الموجزة عن ورود الطوفان في النصوص المسمارية بالإشارة إلى ما جاء في ترجمة حياة آخر الملوك الاشوريين وهو «آشور ـ بانيبال (القرن السابع ق.

م.)، ونختار من هذه السيرة الشخصية الطريفة (Autobiography) العبارة الآتية : ـ

«لقد درست نقوش الأحجار مما قبل الطرفان وهي عويصة وعسرة الفهم . . . » .

الهوامش :

(1) ـ انظر ترجماتها المعتمدة في :

1 - Speiser in ANET, (1969) , 104 ff.

2 - Grayson, in IBID ., 512 ff.

3 - Lambert and Millard, Atra- Hasis. The Babylonian Story of the Deluge (1969).

ويجدر أن ننوه بأن إسم المؤلف أو الجامع أي «كو - آي» أو «كو - ايا» مركب في كلمتين هما (كوك) التي تعني الفضة ومجازا (الضوء) أو (اللمعان) والكلمة (آيا) وهي إسم زوجة الإله شمس .

(2) ـ الشائع عن «نمتارا» أنه أحد آلهة العالم الاسفل، أما إله الطاعون «أيرا» و«نرجال» أيضًا .

(3) ـ وفي رواية أخرى الاله «نرجال» .

(4) ـ تبدأ هذه الأصوات بالمقاطع : مي - مي با - با

(me - me -pa $_4$ - pa $_4$ (HU - HU)

راجع تعليل الأستاذ «كاد» (Gadd) المشار إليه في بحث «كرايسون» (Grayson) المنشور في : ANET., (1969), 512, n. 61 وقد عثر مؤلف هذا البحث في أثناء اشرافه على التنقيبات الأثرية في تل حرمل (1945 - 1960) على أسطوانة من الطين المشوي وهي مدونة بهذه الأصوات ويرجع زمنها الى العصر البابلي القديم (مطلع الألف الثاني ق.

م) انظر مجلة «سومر» المجلد الثاني (1946)، القسم الإنكليزي، وقد فسرتها يومذاك بانها من قبيل «النوطة» الموسيقية.

(5)- إعتمدت الترجمة بالدرجة الأولى على الترجمتين الاتيتين:

(1) Lambert and Millard, Atra - Hasis. the Babylonian Story of the Flood (1969).

(2) Speiser, Ancient Near Eastern Texts (1969).

(6) — آلهة «الأنوناكي» (Anunnaki) والـ «ايكيكي» (Igigi) إسما خبس أطلقهما العراقيون القدماء على مجموعة آلهة السماء والأرض، وقد لا يميزون في خص احدى هاتين التسميتين على آلهة معينة، ولكن يغلب إطلاق مصطلح الـ «أنوناكي» على آلهة السماء والـ «ايكيكي» على آلهة الأرض كما في هذه الملحمة وهم الآله الصغار الذين كانوا يخدمون الآلهة الكبار ويعملون لهم، كما قد يطلقون مصطلح الـ «أيكيكي» على آلهة السماء.

(7)ـ الـ «أيسو»(Apsu)، المياه السفلى التي يحكم فيها «أنكى» ولذلك دعى معبده في «أريدو» بإسم «أي – أيسو»، أي بيت العمق، واشتقت من هذه الكلمة الكلمة الإغريقية والإنجليزية (Abyss) التي تعني المياه الأولى، والعماء الذي منه خلقت الأشياء.

(8) ـ منتصف ساعات الحراسة.

(9) ـ الاله «نسكو»(Nusku)-حاجب الاله انليل ووزيره

(10) ـ «ننتو» من أسماء «مامي» وكلتاهما آلهة الولادة. ومعنى ننتو في السومرية «سيدة الولادة» وتلقب كما رأينا بأنها قابلة الآلهة. وقد سبق أن ذكرنا في خلاصة الملحمة أن إسم أول بز أي (اللو يعني الانسان الأول، أو الانسان القديم).

(11)- في أساطير أخرى بابلية مثل أسطورة الخليقة البابلية «انما عيلش» ثم خلق الإنسان من دم إله بدون طين، وكان الاله الذي خلق من دمه الإنسان إلها مذنبا وهو «كَنكو» الذي حارب الالهة في صفوف تيامة وصار زوجها.

(12) - أي بحضور مامي.

(13)- وفي اللغة البابلية «بعلة كل - ايلي» (Belet - Kala - ili).

(14)- لأول مرة يرد اسم بطل الطوفان في الملحمة، وكذلك بدء تسليط الآلهة ولاسيما الإله «أنليل» والعقوبات المختلفة على البشر جزاء ضوضائهم وضجيجهم، كما تقول الملحمة.

(15)- نمتارا أو نمتاز إله القدر والنصيب أو يبدو أن وظيفته هنا بصفته اله الطاعون والوباء.

(16) - الآلهة «نصابا» آلهة الغلال.

(17) - سبق أن مر بنا إسم «أدد» على أنه آله الجو والرياح والأمطار.

(18)- الضمير يعود الى الإله «أنليل» الذي أراد تدمير البشر.

(19)- الخطاب موجه هنا الى الآله «أنكي» (أيا).

(20) - في اللوح الحادي عشر في ملحمة جلجامش الذي جاء فيه رواية الطوفان ورد اسما «شلات» (Shullat) وخانيش (Hanish) على أنهما رسولا الاله أدد «اللذان كان يسيران قدامه وهما ينذران في السهول والجبال في أثناء زوابع الطوفان.

(21)- الدعائم هنا أعمدة العالم الاسفل التي تحبس المياه السفلى و«ايرا - كلاّ»، الاله الموكل بذلك العالم ودعائمه، (أنظر اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش).

(22) - وردت هذه التورية نفسها في اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش عن الطوفان.

(23) ـ إستعملت أنواع من الساعات المائية والشمسية في العراق القديم لضبط ساعات الليل والنهار. والمصطلح المستعمل للساعة المائية الكلمة البابلية «ملتكتو» (maltaku)

(24) ـ الطائر زوبا او «أنزو» طائر اسطوري كالملاك أو الشيطان وورد ذكره في الأساطير، ومنها أسطورة طريفة تروى كيف انه سرق الواح القدر من الاله «انليل» أو مردوخ، أنظر خلاصة الأسطورة في كتابي «مقدمة في أدب العراق القديم» (1976).

(25) ـ سبق ان مر بنا أن «ننتو» أو «مامي» كانت الهة خالقة وآلهة الولادة والآلهة التي ناحت على هلاك البشر في ملحمة جلجامش هي «عشتار» التي يمكن اعتبار «ننتو» و«مامي» من أسمائها.

(26) ـ يبدو كما هو واضح ان الذباب هنا كناية عن قلادة احجار اللازورد التي كانت تتحلى بها «ننتو» أو عشتار ويحتمل ان اشكال تلك الأحجار كانت على هيئة الذباب قارن هذه الإشارة بما قالته الالهة «عشتار» من بعد زوال الطوفان، حيث جعلت قلادتها التي صنعها لها أبوها «آنو» بمثابة العهد أو الموثق تتذكر به كارثة الطوفان فلا يتكرر.

(27) ـ النص الاشوري للملحمة «اتر ـ حاسس» تكرار لما ذكرناه بإستثناء ما ذكرناه عن ممارسة أكل لحم البشر من الجوع انظر:

Lambert and Millard, Op. Cit., p. 113.

(28) ـ أنظر ترجمة هذه الإثبات والتعليق عليها في : ـ

1 - Th. Jacobsen, The Sumerian King - List (1949).

2 - ________ Ancient Near Eastern Texts (1969)

«مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة» الجزء الأول (1973).

(29) ـ راجع

Lambert and Millard, Atra - Hasis The Babylonien Story Of the Flood (1969), 15 ff.

(30)ـ سبق ان علقنا في ترجمة ملحمة جلجامش على أن أسطورة الحكماء السبعة إنتشرت إلى الأمم القديمة الأخرى ومنهم اليونان حيث وردت في آدابهم فكرة الحكماء السبعة (The Seven Sagas) ومنهم الحكيم طاليس (القرن السادس ق. م) والمشرع اليوناني الشهير «صولون».

(31) أنظر:

Lambert and :illard . Op. Cit., p. 25.

(32) E. Reiner, in Orientalia, XXX, p. 1 ff.

(33) R C Thompson, Assyrian Medical Texts 105. 22.

الملحق السادس

خبر الطوفان كما جاء في التوراة

(سفر التكوين: الإصحاح السادس ـ التاسع)

الإصحاح السادس

«ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض. وأن تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض. وتأسف في قلبه. فقال الرب أمحُ عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء. لأني حزنت أني عملتهم. وأما نوح فوجد نعمة في عين الرب.

هذه مواليد نوح: كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله. وسار نوح مع الله. وولد نوح ثلاثة بنين: ساما وحاما ويافث. وفسدت الأرض أمام الله، وإمتلأت الأرض ظلماً. ورأى الله فإذا هي فسدت. إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض.

فقال الله لنوح: نهاية كل بشر قد أتت أمامي. لأن الأرض إمتلأت ظلماً منهم. فها أنا مهلكهم مع الأرض. أصنع

لنفسك فلكا من خشب جُفْر. تجعل الفلك مساكن. وتطليه من داخل ومن خارج بالقار. وهكذا تصنعه: ثلثمائة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعاً عرضه وثلاثين ذراعاً إرتفاعه. وتصنع كوى للفلك، وتكمله إلى حد ذراع من فوق. وتضع باب الفلك في جانبه. مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله. فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء. كل ما في الأرض يموت. ولكن أقيم عهدي معك. فتدخل الفلك أنت وبنوك ومرأتك ونساء بنيك معك. ومن كل حي، من كل ذي جسد إثنين من كل تدخل إلى الفلك لإستبقائها معك. تكون ذكرا وأنثى. من الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها ومن كل دبابات الأرض كأجناسها. إثنين من كل تدخل إليك لإستبقائها. وأنت فخذ لنفسك من كل طعام يؤكل وأجمعه عندك. فيكون لك ولها طعاماً. ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله. هكذا فعل.

الإصحاح السابع:

وقال الرب لنوح أدخل أنت وجميع أهل بيتك إلى الفلك. لأني إياك رأيت باراً لدي في هذا الجيل. من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى. ومن البهائم التي ليست بطاهرة إثنين ذكرا وأنثى. ومن طيور السماء أيضاً سبعة

سبعة، ذكرا وأنثى لاستبقاء نسل على وجه الأرض. لأني بعد سبعة أيام أيضاً أمطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة. وأمحو عن وجه الأرض كل قائم عملته. ففعل نوح حسب كل ما أمره به الرب. ولما كان نوح إبن ست مئة سنة صار طوفان الماء على الأرض. فدخل نوح وبنوه وإمرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان. ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة ومن الطيور وكل ما يدب على الأرض دخل إثنان إثنان إلى نوح، إلى الفلك، ذكراً وأنثى. كما أمر الله نوحاً.

وحدث بعد السبعة الأيام أن مياه الطوفان صارت على الأرض في سنة ست مئة من حياة نوح، في الشهر الثاني. في اليوم السابع عشر من الشهر. في ذلك اليوم إنفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء. وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة. في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث، بنو نوح وإمرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم إلى الفلك. هم وكل الوحوش كأجناسها وكل البهائم كأجناسها وكل الدبابات التي تدب على الأرض كأجناسها، وكل الطيور كأجناسها، كل عصفور، كل ذي جناح. ودخلت إلى نوح، إلى الفلك إثنين إثنين من كل جسد فيه روح حياة. والداخلات دخلت ذكراً وأنثى، من كل ذي جسد، كما أمره الله. وأغلق الرب عليه.

وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض. وتكاثرت المياه ورفعت الفلك، فأرتفع عن الأرض. وتعاظمت المياه وتكاثرت جداً على الأرض. فكان الفلك يسير على وجه الماء. وتعاظمت المياه جداً على الأرض. فتغطت جميع الجبال الشامخة التى تحت السماء خمس عشرة ذراعاً في الإرتفاع تعاظمت المياه، فتغطت الجبال. فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض. من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس. كل ما في أنفه نسمة روح حياة، من كل ما في اليابسة مات. فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض. الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء، فانمحت من الأرض. وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط. وتعاظمت المياه على الأرض مئة وخمسين يوماً.

الإصحاح الثامن:

«ثم ذكر الله نوحا وكل الوحوش وكل البهائم التي معه في الفلك. وأجاز الله ريحا على الأرض فهدأت المياه. وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء. فأمتنع المطر من السماء. ورجعت المياه عن الأرض رجوعاً متوالياً. وبعد مئة وخمسين يوماً نقصت المياه. وإستقر الفلك في الشهر السابع، في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط. وكانت المياه

تنقص نقصاً متوالياً إلى الشهر العاشر. وفي العاشر، في أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال.

وحدث من بعد أربعين يوماً أن نوحا فتح طاقة الفلك التي كان قد عملها وأرسل الغراب. فخرج متردداً حتى نشفت المياه عن الأرض، ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض فلم تجد الحمامة مقراً لرجلها فرجعت إليه إلى الفلك، لأن مياها كانت على وجه كل الأرض، فمد يده وأخذها وأدخلها عنده إلى الفلك فلبث أيضاً سبعة أيام أخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك. فأتت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها. فعلم نوح أن المياه قد قلت على الأرض. فلبث أيضاً سبعة أيام أخر وأرسل الحمامة فلم ترجع إليه أيضاً.

وكانت في السنة الواحدة والست مئة في الشهر الأول في أول الشهر أن المياه نشفت عن الأرض فكشف نوح الغطاء على الفلك ونظر فإذا وجه الأرض قد نشفت. وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين من الشهر جفت الأرض.

وكلم الله نوحا قائلاً: أخرج من الفلك أنت وإمرأتك وبنوك ونساء بنيك معك. وكل الحيوانات التي معك، من كل ذي جسد، الطيور والبهائم وكل الدبابات التي تدب على الأرض أخرجها معك. ولتتوالد في الأرض وتثمر وتكثر على الأرض. فخرج نوح وبنوه وإمرأته ونساء بنيه معه. وكل

الحيوانات ، كل الدبابات وكل الطيور، كل ما يدب على الأرض كأنواعها خرجت من الفلك.

وبنى نوح مذبحاً للرب، وأخذ كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذابح. فتنسم الرب رائحة الرضاء وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته، ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت. مدة كل أيام الأرض زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل لا تزال.

الاصحاح التاسع 8 : 17 :

«وكلم الله نوحاً وبنيه معه قائلاً: ها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم، ومع كل ذوات الأنفس الحية التي معكم. الطيور والبهائم وكل وحوش الأرض التي معكم من جميع الخارجين من الفلك حتى كل حيوان الأرض. أقيم ميثاقي، فلا ينقرض كل ذي جسد أيضاً بمياه الطوفان. ولا يكون أيضاً طوفان ليخرب الأرض. وقال الله هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحية التي معكم إلى أجيال الدهر، وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض. فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض ويظهر القوس في السحاب اني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حية في كل جسد فلا تكون

أيضاً المياه طوفانها لتهلك كل ذي جسد. فمتى كانت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبديا بين الله وبين كل ذي نفس حية في كل جسد على الأرض وقال الله لنوح: هذه علامة الميثاق الذي أنا أقمته بيني وبين كل ذي جسد على الأرض».

الملحق السابع

ثبت بالأدوار الحضارية

1 ـ عصور ما قبل التاريخ : (Pre - Historic Periods)

أولا: العصر الحجري الـ «ابوليثي» (Eolithic)

دور حجري قديم غير واضح ، يقع زمنه في بداية دهر البلايستوسين (Pleistocene)، وتعزي . إليه طائفة من الأدوات الحجرية البدائية تسمى الأدوات الحصوية (Pebble Tools) لم يعثر عليها في العراق ولكن وجدت نماذج منها في إفريقية وأجزاء أخرى قليلة من الأرض .

ثانياً : العصر الحجري القديم (Palaeolithic)

زمنه منتصف دهر «البلايستوسين» إلى نهاية العصور الجليدية في أوربا ، أي من حدود000 , 500 إلى 10 ,000 ق . م، ويقسم إلى الأدوار التالية : ـ

أ ـ العصر الحجري القديم الأدنى (Lower Palaeolithic)

1 ـ الأبيفيلي (Abbevillian)

كان يدعى سابقاً الدور الشيلي (Chellean) ، وزمنه في أوربة في الفترة الجليدية الأولى [1] (كَنز ـ مندل Günz- Mindel). لم يعثر على أدواته في العراق لحد الآن، ولكنها وجدت في وادي النيل وشمالي إفريقيا وأجزاء أخرى من العالم. عاش فيه نوع الإنسان البائد «هايدل برج»، ونوع الإنسان الأطلسي (نسبة إلى جبال الأطلس في شمالي أفريقيا).

2 ـ الكلاكتوني (Clactonian)

زمنه الفترة الجليدية الثانية (مندل ـ رس). لم يعثر على أدواته في العراق لحد الآن.

3 ـ الآشولي (Acheulian)

أطول أدوار العصر الحجري القديم. إبداؤه في أوربا من الفترة الثانية إلى الفترة الثالثة. تسمى أطواره في شمالي أفريقية: الآشولي الأول والثاني والثالث. بعض الأدوات الحجرية منه وجدت في شمالي العراق (برده بلكا قرب جمجمال).

4 ـ اللفالوازي (Levalloisian)

زمنه في أواخر الفترة الجليدية الثالثة، وله صلة بالدور «الفالوازي ـ المستيرى» التالي.

ب ـ العصر الحجري القديم الاوسط (Middle Palaeolithie)

1 ـ لفالوازي ـ مستيري (Mousterian)

2ـ مستيري

زمنه في الفترة الجليدية واستمر إلى العصر الجليدي الرابع. عاش فيه نوع الإنسان القديم المسمى «نياندرتال» (Neanderthal) الذي وجدت نماذج كثيرة من هياكله العظيمة في أجزاء الكرة ومن بينها شمالي العراق (كهف شانيدر الطبقيـة D، وفيها أدوات الدور المستيري). يسمى في شمالي أفريقية «المستيري ـ العتيري».

جـ ـ العصر الحجري القديم الأعلى (Upper Paleolithie)

شغـل في أوربـا الجزء الأخير من دهر البلايستوسين (العصر الجليدي الرابع قبل نحو 50،000 أو 000 ر40) . ساد فيه نوع الإنسان الحديث المسمى «الإنسان العاقل» (Homo Sapiens) . أطلق على الأدوات الحجرية الممثلة لهذا الدور في شمالي العراق اسم دور «البرادوستي» (نسبة إلى جبال برادوست)، وتعود اليه الطبقة B في كهف شانيدر ووجدت أدواته أيضاً في كهفي «هزار ميرد» و «زرزي» (في منطقة جبال السليمانية). أطلق عليه في شمالي أفريقية الدور «القفصي» (الاجزاء الداخلية) و «الوهراني» (الأجزاء الساحلية). ويقسم في أوربا إلى أربعة أدوار: الاورغنيشي (Aurignacian) (2800 ـ 22000 ق.م.) والسلوترى (Solutrean) والمكدليني

(Magdalenian) الذي اشتهر في أوربا بفن الرسوم في الكهوف.

ثالثاً: العصر الحجري الوسيط (Mesolithic)

زمنه بعيد العصر الجليدي الرابع (الاخير)، ويسمى أيضا دور الادوات الحجرية الدقيقة (Microlithic)، واطلق عليه في شمالي العراق الدور «الزرزى» (نسبة الى كهف زرزى قرب السليمانية).

وجدت آلاته الحجرية الممثلة في الطبقة C من كهف شانيدار، كما وجدت آثاره في عدة مواقع اخرى في شمالي العراق أشهرها «زاوى جيمي» (على الزاب الأعلى بالقرب من كهف شانيدر) و«بالى كَورا»، وملفعات وكريم شهر. يسمى في بلاد الشام الدور «النطوفي». ظهرت فيه في شمالي العراق وبعض أجزاء الشرق الأدنى طلائع تدجين الحيوان والزراعة

.(Incipient food production)

رابعا: العصر الحجري الحديث:

بدايته في حدود الالف الثامن أو السابع الى 5600 ق.م. يمكن تقسيمه في شمالي العراق وبعض أجزاء الشرق الأدنى الى الأدوار التالية: -

1 ـ بداية الحجري الحديث أو أواخر الحجري الوسيط (- Proto Neolithic)

حيث وجدت آثاره الممثلة في الطبقات A, B من كهف شانيدر وفي زاوى جمي وكريم شهر وملفعات وكَرد جاى .

2 ـ دور ماقبل الفخار (Pre -Pottery Neolithic)

لم يظهر الفخار فيه، وتمثله الطبقات السفلية من «جرمـو» (16 -6) حيث الفخار وجد في الطبقات الخمس العليا، وكذلك في الطبقة العليا من زاوى جيمي وفي تل شمشارة (الطبقات 14-6) .

3ـ دور الفخار (Pottery Neolithic)

في جرمو الطبقات العليا 5 ـ 1 . والطبقات السفلى من تل حسونة، والطبقات السفلى من تل «الصوان» وجملة مواقع أخرى .

خامسا : العصر الحجري ـ المعدني : (Chalcolithic)

في حدود 5600ـ3500 ق . م ويقسم الى الادوار التالية :

أ ـ حجري ـ معدني قديم (Early Chalcolithic)

1 ـ دور حسونـة : في تل حسونة وتل الصوان وشمشارة وغيرها .

2ـ دور سامراء : في المواضع المذكورة في (1) وغيرها .

ب ـ حجري ـ معدني وسيط (Middle Chalcolithic) :

أ ـ دور حلف :

أ ـ حلف قديم : ماقبل الطبقة العاشرة في تل الأربجية ،

ب ـ حلف وسيط : الطبقات 10 ـ 7 من الاربجية .

جـ ـ حلف متأخر: الطبقة 6 من الاربجية .

2 ـ دور العبيد الأول: طور «أريدو» (الطبقات 19 ـ 15 في أريدو) .

3 ـ دور العبيد الثاني: طور فخار «حاج محمد» وفخار رأس العمية (قرب كيش) .

لم يعثر على آثار دور حلف في الاجزاء الوسطى والجنوبية من العراق ويعاصره دور العبيد الاول في الجنوب .

جـ ـ حجري ـ معدني متأخر (Late Cnalcolithic) :

1ـ دور العبيد الثالث (كان يسمى العبيد القديم سابقا) .

2ـ العبيد الرابع (العبيد المتأخر سابقا) .

3 ـ دور الوركاء: أ ـ الوركاء القديم (الطبقات 12 ـ 7 من الوركاء .

ب ـ الوركاء الوسيط (الطبقات 6ـ 5 من الوركاء) .

سادسا : العصر الشبيه بالكتابي أو الشبيه بالتأريخي 3500 ـ 2800 ق . م (Proto - Literate. Proto - Historic).

1 ـ دور الوركاء الاخير (في الوركاء الطبقات 5و4 أ، ب ، جـ) .

2 ـ دور جمدة نصر (3000 ـ 2900 ق . م) .

3 ـ عسر السلالات الاول (2900 ـ 2800 ق . م) .

2ـ العصور التاريخية

1ـ عصر السلالات أو عصر دول المدن

(Early Dynastic) 2800ـ2370 ق . م .

أـ عصر السلالات الثاني (2800ـ2600 ق . م) .

ميسلم ـ سلالة كيش الاولى ـ سلالة الوركاء الاولى ـ ألواح تل «فاره» .

ب ـ عصر السلالات الثالث (2800ـ2370 ق . م) .

المقبرة الملكية: مس ـ كلام ـ دوكَ، آ ـ كلام ـ دوكَ، جلجامش، سلالة لجش الأولى (سلالة أور ـ نانشه)، «اوما» وغيرها من المدن السومرية، سلالة «أزر الاولى» «ميسا نيدا»، لوكَال ـ زاكيزي .

2ـ العصر الأكدي (السلالة الاكدية) (2370ـ2230 ق . م .)، سرجون (2370ـ2316)، «نرام ـ سين» (2291ـ2255 ق . م) .

3 ـ الدور الكوتي وسلالة لجش الثانية (2230 ـ 2120 ق . م) عصر كَوديه .

4ـ سلالة أور الثالثة (2112ـ2004 ق . م)

أور ـ نمو (2112 ـ 2095 ق . م) شولكي(2094 ـ 2047 ق . م .) «امار ـ سين» أو « بور ـ سين» (2046 ـ 2038 ق . م .) . شو ـ سين (2037 ـ 2029 ق . م) . ابِّي ـ سين (2028ـ2004 ق . م) .

5ـ العصر البابلي القديم (2000ـ1500 ق . م)
أـ سلالة لارسا (2025ـ 1763 ق . م .) مؤسسها «نبلانم» .
ب ـ سلالة ايسن (2017 ـ 1794 ق . م .)، مؤسسها «اشبي ـ ايرا» .
جـ ـ سـلالة «أشنونا» (2000 ـ 1761 ق . م .). من مشاهير ملوكها «شمسي ـ ادد» الاول، وابالبيل الاول، و «نرام سين» و«دادوشا» وابالبيل الثاني (1790؟ـ1761 ق . م .)
و ـ بلاد آشور (2000؟ـ 1760 ق . م .)
«شمسي ـ ادد» الاول (1713ـ 1781 ق . م .) .
و ـ سلالة بابل الاولى (1794ـ 1595 ق . م .) .
مؤسسها «سومو ـ آبم» وسادس ملوكها «حمو رابي» (1792 ـ 1750) وآخر ملوكها «سمسو ـ ديتانا» (1625 ـ 1595 ق . م .).
6ـ العصر الكشي (1700؟ـ 1157 ق . م) :
الكشيون في بلاد بابل باسم سلالة بابل الثالثة (1 59 5 ـ 1157 ق . م .).
7ـ سلالة القطر البحري (سلالة بابل الثانية 1742 ـ؟)
8ـ العصر البابلي الوسيط (1500 ـ 627 ق . م) :
السلالة الكشية السابقة والسلالات البابلية من الرابعة الى العاشرة .

9ـ العصر البابلي الحديث (Neo-Bablonian)

(627 ـ 539 ق . م) سلالة بابل الحادية عشرة: نيوبولاصر (62 ـ 605 ق . م .) وابنه «نبو خذ نصر» (605 ـ 562 ق . م .) ونبو نيدس (555 ـ 539 ق . م .)، إستيلاء كورش على بلاد بابل (539 ق . م .).

10ـ العصر الفارسي الاخميني (في العراق 539ـ331 ق . م):

أشهر ملوكه: كورش الثاني (559ـ530 ق . م .) ودارا الأول (571ـ486 ق . م) وآخر ملوكه دارا الثالث (335ـ331 ق . م).

11 ـ الإسكندر الكبير والعصر السلوقي (331 ـ 138 / 126 ق . م):

ولد الاسكندر في 356 ق . م . ، وخلف أباه فيليب المكدوني في 336 ق . م . ، وبدأ فتوحه للشرق 334 ق . م، فتح العراق 331 ق . م . (موقعة اربيلا) وتوفي في بابل في حزيران 323 ق . م . بداية العهد السلوقي في العراق في نيسان 311 ق . م .

12 ـ العصر الفرثي: (البارثي، الأرشاقي، الأشغاني (الاشكاني)، ملوك الطوائف) 138 /126 ق . م ـ 227 م:

13ـ العصر الساساني (227ـ637 م)

أشهر ملوكه: اردشير الاول (226ـ234 م)، وشابور الأول (272.231م) وشابور الثاني (309 379م) وآخر ملوكه يزدجرد الثالث (633ـ 651م).

الادوار التاريخية في بلاد آشور

1ـ عصور ماقبل التأريخ : كما مر سابقا :

2ـ دور سيطرة دول الجنوب الى نهاية سلالة أور الثالثة (2500ـ 2000 ق . م) .

3ـ العصر الآشوري القديم (2000ـ 1500 ق . م) :

من مشاهير ملوكه: ايرشم ـ الاول. سرجون الأول (المستعمرة التجارية الاشورية في تركية في كول تبه، كانيش القديمة. شمسي ـ أدد الاول (1813 ـ 1871 ق . م .) .

4ـ العصر الاشوري الوسيط (1500ـ 911 ق . م) :

من مشاهير ملوكه آشور ـ اوبالط الاول (1365 ـ 1330 ق . م .) شيلمنصر الاول (1374ـ 1345 ق . م) وتوكلتي ـ ننورتا الاول (1344 ـ 1208 ق . م .)، وآشور ناصربال الاول (1050 ـ 1032 ق . م)

5ـ العصر الآشوري الحديث (911ـ 612 ق . م) .

أ ـ الامبراطورية الآشورية الاولى :

(911ـ 745 ق . م) من مشاهير ملوك العصر: ادد ـ نيرارى الثاني (991ـ 891ق . م .) وتوكلتي ـ ننورتا الثاني (890 ـ 884 ق . م) وأشور ناصر بال الثاني (883 ـ 859 ق . م) وشيلمنصر الثالث (858ـ 827 ق . م) . وتجلا تبليزر الثالث (744ـ 727 . ق . م)

ب ـ الامبراطورية الاشورية الثانية : (745 ـ612 ق . م .)

شيلمنصر الخامس (726 ـ 722 ق . م .) .

السلالة السرجونية : سرجون الثاني (761ـ705 ق . م .) .
سنحـاريب (704 ـ 681 ق . م .)، اسرحـدون (680 ـ 669 ق . م.) . آشور بانيبال (668ـ6 / 627 ق . م) . آخر ملوكها «آشور اوبالط» (611 ـ 609 ق . م .)، سقوط نينوى : 612 ق . م

الادوار العربية ـ الاسلامية

1ـ عهد الرسول والخلفاء الراشدين (600ـ 661 م) :
2ـ الامويون (41ـ132 هـ / 661ـ750 م) :
3ـ العباسيون (132ـ656 / 750ـ1258م) :

حكم منهم 37 خليفة، أولهم أبو العباس السفاح وآخرهم المستعصم :

أ ـ الدور العباسي الاول 132 ـ 232 هـ / 750ـ847 م :

دام زهاء 100 عام وحكم فيه تسعة خلفاء من السفاح الى الواثق. أسس المنصور بغداد (145 ـ 149 هـ/ 762 ـ 766م) . تأسيس سامراء في عهد المعتصم (221ـ 279 هـ/ 836 ـ 892 م)

ب ـ الدور الثاني 232ـ333 هـ/ 847ـ944 م :

نفوذ القواد الاتراك . بدء انحلال الامبراطورية . حكم في هذا الدور ثلاثة عشرة خليفة . ظهور حركة القرامطة 278 هـ/ 1 / 892، وحركة الزنج (250ـ261 هـ) .

جـ ـ الدور الثالث : 333 ـ 447 هـ / 944 ـ 1031 م :

حكم فيه خمسة خلفاء من المستكفي الى القادر بالله . تسلط البويهيين (من الديلم)، وطردهم من جانب الاتراك السلاجقة . الحمدانيون في الموصل وتكريت .

د ـ الدور الرابع : 447 ـ 547 هـ / 1031 ـ 1152م :

حكم فيه خمسة خلفاء . تسلط الاتراك السلاجقة، استيلاء طغرك بك على بغداد 462 هـ ـ 1071 م . بداية الحرب الصليبية 466 هـ / 1074 م . سلالة الاتابكة في الموصل على يد عماد الدين زنكي أحد قواد ملكشاه السلجوقي .

هـ ـ الدور الخامس : 530ـ656هـ/ 1136ـ1258م:

سقوط بغداد على يد المغول (هولاكو) 656 هـ/ 1258 م .

السلالات المغولية والتركمانية والفارسية :

1ـ الإيلخانيون 656 ـ 738 هـ / 1258 ـ 1338 م .

2ـ الجلائريون 738 ـ 814 هـ / 1338 ـ 1411م

3ـ القره قوينلو 914ـ 974 هـ / 1411 ـ 1468م .

(الخروف الاسود، الشاه محمد بن قره يوسف) .

4ـ الآق قوينلو 874ـ 914 هـ / 1469 ـ 1508م .

(حسن الطويل اوزون) .

5ـ الصفويون 914ـ 930 هـ/ 1508ـ 1523 م .

الشاه إسماعيل 1508 ـ 1523، الشاه طهماسب .

الصفويون مرة ثانية 936ـ941 هـ / 1529ـ 1534م .

6ـ الاتراك العثمانيون 1534 ـ 1917م .

الهوامش :

(1) أسماء العصور الجليدية في أوربا واطوالها الزمنية التقريبية :

1ـ كَنز (Günz): 000, 600 ـ 000, 540

فترة الـ «كنز ـ مندل» : 000, 540 ـ 000, 480

2ـ مندل (Mindel) 000, 480 ـ 000, 430

فترة الـ «مندل ـ رس» : 000, 430 ـ 000, 240

3ـ رس (Riss) 000, 240 ـ 000, 180

فترة الـ «رس ـ ورم» (Riss-Würm) : 000, 180 ـ 000, 170

4ـ ورم (Würm): 000, 120 ـ 000, 15 أو 000, 10 ق. م.

ملاحظة: يقابل العصور الجليدية الاوروبية عصور ممطرة (Pluvials) في الأجزاء الوسطى والجنوبية من الأرض ومنها الشرق الادنى وشمالي افريقية. ويقابل الفترات الجليدية الاوروبية عصور جفاف في تلك المناطق.

المحتويات

ديباجة الملحمة

1. .... ša) nak-ba i-mu-ru (lu-še-id)-di ma-a-ti
2. [ša kul-la]-ti i-du-u ka-la-[ma lu-šal-mi]-ṣa
3. .... -ma mit-ḫa-riš i-(za-azu?)
4. .... ni-me-ki ša ka-la-a-mi i(-du-u) (il)gilgameš
5. (ni-)-ṣir-ta i-mur-ma ka-ti-im-tu.....
6. ub-la ṭe-e-ma ša la-am a-bu-bi........
7. (ur-)ḫa ru-uk-ta il-li-kam-ma a-ni-iḫ u.....
8. (iḫ-ru)-uṣ i-na(abnu) nâri ka-lu ma-na-aḫ-ti
9. u-še-piš dûri ša uruk[ki] su-pu-ri
10. ša E-AN-NA kud-du-ši šu-tum-mi el-lim
11. a-mur du-ur-šu ša ki-ma ki-e ni-iḫ-(ši?)
12. i-pa-la-as sa-me-ta-šu ša la u-maš-ša-lu man-ma
13. ṣa-bat-ma(abnu) askuppati ša ul-tu ul-la-nu
14. kit-ru-ub ana E-AN-NA šu-bat [il]ištar
15. ša šarru ar-ku-u la u-maš-ša-lu amelu man-ma
16. e-li-ma ana eli dûri ša uruk[ki] im-tal-lak
17. te-me-en-nu ḫi-iṭ-ma libitta ṣu-ub-bu
18. išid libitti-šu la a-gur-rat
19. uš-šu-šu la id-du-u vii (mun-tal-ki)

ديباجة الملحمة

من كلام « اوتو ـ نبشتم » لجلجامش يخبره فيه ان كل ما يعمله الانســان ـ زائل لا يدوم .

26. im-ma-ti-ma ni-ip-pu-šá bîti im-ma-ti-ma ni-kan-na-(ak)

27. im-ma-ti-ma aḫu i-zu-uz-(zu)

28. im-ma-ti-ma zi-ru-tum i-ba-ši ina (nakri)

29. im-ma-ti-ma nâru iš-ša-a mela ub-(bal)

30. ku-li-li ki-rip-pa a.....

31. pa-nu ša i-na-aṭ-ṭa-lu pa-an[il] šamši

32. ul-tu ul-la-nu-um-ma ul i-ba-aš-(ši....)

33. sal-lu u mi-tum ki-i a-ḫa-meš (šu-nu)

34. ša mu-ti ul iṣ-ṣi-ru ṣa-lam-šu

35. amelu-u (am) e-til: ul-tu ik-ru-bu (ana šimti-šu)

36. [il] A-nun-na-ki ilâni rabûti paḫ-(ru?)

37. [il] ma-am-me-tum ba-na-at šim-ti itti-šu-nu ši-ma-tam i-sim-(mi)

38. iš-tak-nu mu-ta u ba-la-ṭa

39. ša mu-ti ul ud-du-u ume-šu

من كلام « اوتو ـ نبشتم » لجلجامش مبينا له ان كل ما يعمله الانسان زائل لا يدوم

طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية

وحدة الرغاية، الجزائر

2007

Achevé d'Imprimer sur les Presses
ENAG, Réghaïa
- Algerie -

Bp. 75 Z.I. Réghaïa Tél. : 021 84 80 10/84 86 11



ملحمة كلكامش

... وبكلمة واحدة كانت رحلة كَلكَامش رحلة الإنسان من حيث هو إنسان في كل عصوره الماضية والآتية بغضِّ النَّظر عن لونه وعرقه ووطنه.

وإذا كانت الرِّحلة تحمل كلّ هذه المعاني، فذلك هو سبب خلودها، وذلك هو الأدب الإنساني الخالد.

محمد حسين الأعرجي


Bibliotheca Alexandrina
0548163
09
1
nal
7

ISBN 978-9961-62-548-4
9 789961 625484



Designer : Med ZOUAOUI